تم الطالب بتصحيح ما طلب منه
بركات عبد الفتاح دويدار

د. فاروق أحمد دسوقي

٣٠١٠٢٠٠٠٠٦٦٦٥

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا - قسم العقيدة

الإمام أبو بكر الباقلاني وآراؤه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب
جودي صلاح الدين النشاه

إشراف الدكتور
فاروق أحمد الدسوقي

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

تمهيـــــد :-

في هذا الفصل سنتحدث عن الصفات الخبرية ، ورأي الامام الباقلاني فيها ، وهذه الصفات تسمى خبرية لأن طريق اثباتها لله تعالى هو الخبر الصادق الذي جاء به الكتاب أو السنة الصحيحة ، ولا مجال للعقل فيها سوى التصديق بها بعد ثبوتها بطريق الوحي .

وقد وردت نصوص قرآنية كثيرة في اثبات بعض هذه الصفات كذلك جاءت السنة الصحيحة باثبات ما أثبته القرآن الكريم ، وباثبات بعض الصفات الاخرى التي لم يرد فيها نص قرآني ، وعلى هذا فكل الصفات الخبرية يجب التصديق بها لانه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى.

وقد اختلفت آراء الناس في اثبات هذه الصفات فمنهم من أثبتها ومنهم من نفاها ، وسنتحدث باختصار عن آراء الفرق في ذلك :-

أولا :- النفاة : ويتمثل هذا في الجهمية والمعتزلة وبعض الاشاعرة .

١- الجهمية : وقد تقدم الحديث عنهم بأنهم قد نفوا جميع الصفات العقلية منها والخبرية بحجة أن في اثباتها تشبيها لله بخلقه وهم أكثر الناس غلوا في التعطيل والنفي .

قال الامام أحمد في بيان مذهب الجهم في الصفات :(وزعم - يعني الجهم - أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرا كثيرا من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد (١) بالبصرة) (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر) (٣)

---

(١) عمرو بن عبيد بن باب ،التميمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة في عصره ،واليه تنسب الفرقة العمروية من المعتزلة ،ولد سنة ٨٠هـ،وتوفي بمران قرب مكة سنة ١٤٤هـ،ومن أقوال هذه الفرقة تفسيق الفريقين من أصحاب الجمل وأنهم خالدون في النار،ولا يقبلون شهادة أحد منهم ،وغير ذلك من الاقوال الضالة.

انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٨٤، والتبصير في الدين للاسفرايني ص ٦٩ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٣١، والاعلام للزركلي ٨١/٥

(٢) الرد على الجهمية للامام أحمد تحقيق د/ عميرة ص ١٠٤

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٢١

ومن المعروف عن الجهمية أنهم كانوا أشد الناس تعطيلا فلا يثبتون له تعالى شيئا من الاسماء والصفات بما في ذلك الصفات الخبرية .

وفي بيان ذلك يقول الامام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في قصيدته النونية :ـ

جهم بن صفوان وشيعته الاولى xxxx جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السموات العلى xxxx وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربنا سمع ولا xxxx بصر ولا وجه فكيف يدان(١)

وقد ذكر ابن القيم أيضا أن توحيد الجهمية مشتق من توحيد الفلاسفة وهو نفي صفات الرب كعلمه ، وكلامه ، وسمعه ، وبصره ، وعلوه على عرشه ونفي وجهه ويديه وجحد حقائق اسمائه وصفاته (٢)

٢ـ المعتزلة : ويذهب هؤلاء أيضا الى نفي الصفات الخبرية وتأويل النصوص الواردة بها ، قال ابن تيمية : (وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات ويقاربون قول جهم) (٣)

وقد بين الامام الباقلاني مذهبهم في نفي الصفات الخبرية فقال : (وزعموا جميعا ـ أي المعتزلة ـ أنه لا وجه لله تعالى مع قوله عز وجل: ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (٤) وأنه لا يد له مع قوله عز وجل: ((بل يداه مبسوطتان)) (٥) وقوله تعالى : ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) (٦))(٧)

والذي دفعهم الى تأويل هذه الصفات أنهم يرون أن الادلة التي ثبتت بها هذه الصفات وهي النصوص الشرعية من الكتاب والسنة غير كافية لاثبات هذه الصفات ، لانها حسب زعمهم أدلة ظنية ، وما لم يقم على اثباته دليل عقلي ـ الذي هو الدليل القطعي عندهم ـ فلا يجوز اثباته .

---

(١) القصيدة النونية الكافية الشافية لابن القيم ص ١٢

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة ١٠٧/١

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٢٢

(٤) الرحمن الاية ٢٧

(٥) المائدة الاية ٦٤

(٦) ص الاية ٧٥

(٧) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٢ـ٢٥٣

ويرون أن العقل اذا جزم بشيء وورد في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بُدَّ له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل .

لذلك فقد أولوا الاستواء بالاستيلاء ، والعين بالعلم ، والوجه بالذات ، واليد بالقوة ، والساق بالشدة (١) الى غير ذلك من التأويلات الباطلة .

٣- الاشاعرة : اتفق الاشاعرة على اثبات الصفات العقلية - كما مر معنا - لكنهم اختلفوا في اثبات الصفات الخبرية .

- فالمتأخرون منهم : كأبي المعالي الجويني والغزالي والرازي لا يثبتونها ، ويؤولون ما ورد فيها من آيات وأحاديث صحيحة بحجة أنها أدلة ظنية وليست عقلية على حد رأيهم ، وبأن في اثباتها تشبيه لله بخلقه وبناء على هذا فقد اختلفوا تجاه النصوص الشرعية المثبتة للصفات الخبرية على رأيين :-

= الاول : تفويض العلم بمعانيها الى الله عزوجل .

= الثاني : تأويل تلك النصوص بصرفها عن ظواهرها الى معان تليق بذاته تعالى على حد زعمهم .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن أول من اشتهر عنه نفي الصفات الخبرية هو أبو المعالي الجويني موافقة للمعتزلة والجهمية (٢) ونسب اليه قولان رجع عن أحدهما وانتهى الى الثاني. أما الأول: الذي رجع عنه فهو موافق فيه لمذهب المعتزلة الذي يعتمد على تأويل نصوصها وقد ذكر ذلك في الارشاد حيث قال : (ذهب بعض أئمتنا الى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى ، والسبيل الى اثباتها السمع دون قضية العقل ، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة ، وحمل العينين على البصر ، وحمل الوجه على الوجود) (٣)

الا انه رجع عن التأويل وبين اجماع السلف على تحريم التأويل واختار التفويض (٤)

---

(١) انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٢٦-٢٢٩

(٢) انظر درء التعارض لابن تيمية ١٨/٢، ٣٨١/٣، ٢٤٩/٥

(٣) الارشاد للجويني ص ١٥٥

(٤) انظر درء التعارض لابن تيمية ١٨/٢، ٣٨١/٣، ٢٤٩/٥

وهو القول الثاني الذي انتهى اليه كما ذكره في الرسالة النظامية حيث قال : (وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها الى الرب تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين لله به عقلا اتباع سلف الامة) (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وأما الجويني ومن سلك طريقته فمالوا الى مذهب المعتزلة ، فان أبا المعالى الجويني كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم قليل المعرفة بالآثار ، فأثر فيه مجموع الآمرين) (٢)

أما الغزالي فقال عنه ابن تيمية : (وأبو حامد تارة يثبت الصفات العقلية متابعة للاشعري وأصحابه ، وتارة ينفيها أو يردها الى العلم موافقة للمتفلسفة ، وتارة يقف ، وهو آخر أحواله ثم يعتصم بالسنة ،ويشتغل بالحديث وعلى ذلك مات) (٣)

أما في باب الصفات الخبرية فقد ورد عن الغزالي تأويل هذه الصفات(٤)

أما الامام الرازي فقد أيد مذهب تأويل الصفات الخبرية في معظم مؤلفاته ، وصنف مؤلفا في هذا الغرض وهو كتاب أساس التقديس ، وقد ظهرت نزعة الرازي التأويلية حتى في خطبة الكتاب حيث قال : (الحمد لله ..... المتعالى عن شوائب التشبيه والتعطيل صفاته وأسماؤه ، فاستواؤه قهره واستيلاؤه ، ونزوله بره وعطاؤه ، ومجيئه حكمه وقضاؤه ، ووجهه وجوده أو وجود أحباؤه ، وعينه حفظه ، وعونه اجتباؤه ، وضحكه عفوه .... ويده انعامه واكرامه واصطفاؤه ، لا يجري في الدارين من أفعاله الا ما يريده ويشاؤه العظمة أزاره والكبرياء رداؤه) (٥)

قال الدكتور الهراس : (والمعروف أن من اشتغل بتأويلها - أي الصفات الخبرية - من الاشاعرة هو ابن فورك في كتابه التأويلات ثم تبعه على ذلك متأخرو الاشعرية كامام الحرمين والغزالي والرازي

---

(١) العقيدة النظامية للجويني ص ٣٢

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٢/٦

(٣) درء التعارض لابن تيمية ٢٤٩/٥

(٤) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٣٦ـ ٤٠

(٥) أساس التقديس للرازي ص ٢

والحليمي (١) والآمدي (٢) وابن عقيل وابن الجوزي وغيرهم)(٣)

يبدوا لنا مما تقدم أن المتأخرين من الاشاعرة وقفوا تجاه النصوص الواردة في اثبات الصفات الخبرية مواقف متعددة ، فمعظمهم قال بتأويلها وذهب بعضهم الى التفويض فيها ، كما أن منهم من رجع عن ذلك الى اثباتها على ما ذهب اليه السلف كما ذكر ذلك ابن تيمية عن الرازي وغيره (٤)

- أما المتقدمون من الاشاعرة : وعلى رأسهم شيخهم الذي اليه ينتسبون الامام أبو الحسن الاشعري ، والامام أبو بكر الباقلاني ، وابن مجاهد وغيرهم ، فانهم يثبتون الصفات الخبرية من الاستواء والوجه واليدين وغيرهما مما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة .

قال ابن تيمية : (والاشعري ، وأئمة أصحابه ، كأبي الحسن الطبري ، وأبي عبد الله بن مجاهد الباهلي ، والقاضي أبي بكر - يعني الباقلاني - متفقون على اثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليد ، وابطال تأويلها ، ليس له في ذلك قولان أصلا ولم يذكر أحد عن الاشعري في ذلك قولين أصلا بل جميع من يحكي المقالات من أتباعه وغيرهم

---

(١) القاضي أبو عبد الله الحليمي ،الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الفقيه الشافعي،صاحب التصانيف وهو صاحب وجه في المذهب،ولد سنة ٣٣٨هـ،وتوفي سنة ٤٠٣هـ ،وكان اماما متقنا من المحدثين،من تصانيفه شعب الايمان كتاب عظيم في نحو ثلاث مجلدات،وآيات الساعة وغير ذلك
انظر العبر للذهبي ٢٠٥/٢،والبداية والنهاية ٣٧٣/١١،وشذرات الذهب ١٦٧/٣

(٢) علي بن أبي علي محمد بن سالم التغلبي،الفقيه الاصولي الملقب بسيف الدين المكنى بأبي الحسن،ولد بآمد سنة ٥٥١هـ،ورحل كثيرا ولم يكن في زمانه من يجاريه في الاصلين،من مصنفاته الاحكام في اصول الاحكام ،وابكار الابكار في الكلام ،وغاية المرام وغير ذلك،توفي سنة ٦٣١هـ،ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق
انظر الفتح المبين للمراغي ٥٧/٢-٥٨،وأصول الفقه تاريخه ورجاله د/ شعبان اسماعيل ص ٢٣٧-٢٣٨ ،والاعلام للزركلي ٣٣٢/٤

(٣) دعوة التوحيد د/ محمد خليل هراس ص ٢٧٤

(٤) انظر درء التعارض لابن تيمية ١٥٩/١-١٦٠

يذكر أن ذلك قوله) (١)

وقال في موضع آخر :(وايضا فأئمة الصفاتية المتقدمون كأبن كلاب والحارث المحاسبي ، والاشعري ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي عبد الله بن مجاهد ، وأبي الحسن الطبري ، والقاضي أبي بكر الباقلاني ، وأبي اسحاق الاسفرايني ، وأبي بكر بن فورك ، وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية التي ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بها وكذلك سائر طوائف الاثبات كالسالمية والكرامية وغيرهم وهذا مذهب السلف والائمة) (٢)

وقال في الفتاوي الكبرى (والطبقة الثانية التي أخذت عن أصحابه - أي أصحاب الاشعري - كالقاضي أبي بكر إمام الطائفة - يعني الباقلاني - وأبي بكر بن فورك وأبي اسحاق الاسفرايني ، وأبي علي بن شاذان (٣) وغير هؤلاء ، اثبات الصفات الخبرية التي جاء بها القرآن أو السنن المتواترة كاستوائه على العرش ، والوجه واليد ، ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك ، وقد رأيت كلام كل من ذكرته من هؤلاء يثبت هذه الصفات ومن لم أذكره أيضا ، وكتبهم وكتب من نقل عنهم مملوءة بذلك ، وبالرد على من يتأول هذه الصفات والاخبار بأن تأويلها طريق الجهمية والمعتزلة ونحو ذلك)(٤)

فقد بين الامام ابن تيمية - رحمه الله - أن الاشعري والباقلاني وقدماء الاشعرية يثبتون الصفات الخبرية ، ولكن الذي تأولها هم المتأخرون من أمثال أبي المعالي والغزالي والرازي وغيرهم .

ونأخذ الدليل على ما تقدم من مصنفاتهم : يقول الامام الاشعري في كتاب الابانة عن أصول الديانة : (...... قولنا الذي نقول به ،وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون

---

(١) درء التعارض لابن تيمية ١٧/٢ ،وانظر نفس المصدر ٢٤٨/٥

(٢) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٩ ،وانظر درء التعارض له ٣٨٠/٣-٣٨١

(٣) أبو علي بن شاذان البزار ،الحسن بن أبي بكر أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان ، أحد علماء الحديث سمع كثيرا وصار مسند العراق ، ولد سنة ٣٣٩هـ وتوفي سنة ٤٢٦هـ عن سبع وثمانين سنة

انظر البداية والنهاية ٤١/١٢، والعبر للذهبي ٢٥٢/٢-٢٥٣، وشذرات الذهب ٢٢٨/٣-٢٢٩

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٣٤٥/٥

وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين ...... وجملة قولنا ..... وأن الله استوى على عرشه كما قال : ((الرحمن على العرش استوى)) (١) وأن له وجها بلا كيف كما قال : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام))(٢) وأن له يدين بلا كيف كما قال :((خلقت بيدي))(٣) وكما قال ((بل يداه مبسوطتان))(٤) وأن له عينا بلا كيف كما قال :((تجري بأعيننا))(٥))(٦)

الى آخر ما ذكره في كتاب الابانة مما يتفق مع مذهب السلف وقد ذكر مثل هذا في كتابه مقالات الاسلاميين (٧)

أما شيخنا الباقلاني فقد وصفه ابن تيمية بقوله : (وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده)(٨)

وقال عنه في اثباته للصفات الخبرية :(وابن الباقلاني أكثر اثباتا بعد الاشعري في الابانة ، وبعد ابن الباقلاني ابن فورك فانه أثبت بعض ما في القرآن) (٩)

وسيتضح لنا اثبات الامام الباقلاني لهذه الصفات في هذا الفصل ان شاء الله .

ثانيا : المثبتون للصفات الخبرية :-

١- المشبهة : وهؤلاء أثبتوا الصفات الخبرية الا انهم أجروا هذه الصفات على ظاهرها دون أن يميزوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق ،فأثبتوا هذه الايات والاحاديث الواردة في الصفات على نمط ما في الحوادث والممكنات.

فقالوا ان له تعالى وجها كوجوهنا ، ويدا كأيدينا ، وعينا كأعيننا ، وقدما وساقا كالتي للبشر .... الخ

---

(١) طه الاية ٥ ، (٢) الرحمن الاية ٢٧
(٣) ص الاية ٧٥ ، (٤) المائدة الاية ٦٤
(٥) القمر الاية ١٤
(٦) الابانة عن أصول الديانة للاشعري ص ١٧-١٨
(٧) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري ١/٣٤٥-٣٤٦
(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٩٨
(٩) المصدر السابق ٦/٥٢

وقد رد عليهم الامام الطحاوي - رحمه الله - بقوله :(وتعالى عن الحدود والغايات ، والاركان والاعضاء والأدوات) (١)

قال الشارح : (والشيخ - رحمه الله تعالى - أراد الرّد بهذا الكلام على المشبهة ، كداود الجواربي (٢) وأمثاله القائلين : ان الله جسم ، وانه جثة وأعضاء وغير ذلك، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)(٣)

وأشهر هؤلاء المشبهة الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي وأصحاب هشام بن سالم الجواليقي (٤) (٥) وداود الجواربي ومقاتل بن سليمان(٦)(٧) ويدخل في هذه الطائفة الكرامية أصحاب محمد بن كرام الذينغالوا في الاثبات

---

(١) متن العقيدة الطحاوية مع الشرح ص ٢٠٥

(٢) داود الجواربي وهو من جملة المشبهة المجسمة ،وقد وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الانسان الا الفرج واللحية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ،وأخذ هذا عن هشام بن سالم الجواليقي

انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٧٢ ،والتبصير في الدين للاسفرايني ص ١٢٠ ومقالات الاسلاميين للاشعري ٢٨٣/١ ،واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٩

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٦

(٤) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي،وهو من شيوخ الرافضة ،وكانت بينه وبين أبو علي الجبائي مناظرات في الامامة ،له كتاب الامامة ،وكتاب في نقض الامامة على أبي علي،واليه تنسب الفرقة الجواليقية من المشبهة المجسمة ،ويزعمون أن الله تعالى على صورة الانسان،وأنكروا أن يكون لحما ودما ،وقالوا انه ذو حواس خمسة كحواس الانسان تعالى الله عن ذلك

انظر الفهرست لابن النديم ص ٢٥٢ ،ومقالات الاسلاميين٢٨٣/١ ،واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٩٨ ، والتبصير في الدين ص ١٢٠

(٥) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري ١٠٦/١-١٠٩

(٦) مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر كذبوه وهجروه ،ورمي بالتجسيم ،قال عنه الذهبي: متروك الحديث وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرا في التفسير ،توفي في البصرة سنة ١٥٠ هـ ،من مصنفاته كتاب التفسير الكبير ،والناسخ والمنسوخ ،ومتشابه القرآن وغير ذلك

انظر الفهرست لابن النديم ص ٢٥٣-٢٥٤ ،وطبقات المفسرين للداودي ٣٣٠/٢-٣٣١ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢٧٩/١٠

(٧) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري ٢٨٣/١

الى حد التجسيم .

٢- السلف : وهم الفريق الآخر المثبت لهذه الصفات لله تعالى من غير تشبيه ولا تحريف ومن غير تعطيل ولا تكيف كما أثبتوا غيرها من الصفات لله تعالى على ما يليق بذاته تعالى .

قال شارح الطحاوية : (فالواجب أن ينظر في هذا الباب ، أعني باب الصفات ، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الالفاظ و المعاني ، وننفي ما نفته النصوص من الالفاظ والمعاني)(١)

وقال الامام أحمد - رحمه الله - : (لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث)(٢)

ويقرر الامام ابن تيمية مذهب السلف في الصفات الخبرية بقوله : (ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل) (٣)

فجاء مذهبهم بلا تعطيل وبلا تمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فلا يعطلون أسمائه وصفاته (٤)

وبذلك وفق السلف أهل السنة للعمل بجميع النصوص الواردة في الصفات نفيا واثباتا فأصابوا الحق والسداد

وسيأتي عند الكلام عن رأي الامام الباقلاني في الصفات الخبرية زيادة توضيح وبيان لمذهب السلف .

بعد هذا العرض للآراء حول الصفات الخبرية ، ننتقل الى عرض رأي الامام الباقلاني فيها ، حتى نتبين موقفه من هذه الصفات .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٦

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦/٥

(٣) نفس المصدر ٢٦/٥

(٤) انظر نفس المصدر ٢٧/٥

المبحث الاول

رأي الامام الباقلاني في صفات الذات الخبرية

رأي الامام الباقلاني في صفات الذات الخبرية :-

سبق لنا الحديث عن تقسيم الصفات الى ذاتية وفعلية وعقلية وخبرية ، وحديثنا في هذا المبحث عن رأي الامام الباقلاني في صفات الله عز وجل التي لا يمكن ادراكها الا بالوحي والتي لا تدل على فعل من أفعاله عز وجل وانما هي وصف لذاته سبحانه و تعالى .

فالصفات الخبرية هي التي طريق اثباتها لله تعالى عن طريق الخبر الصادق الذي جاء به الكتاب أو السنة الصحيحة ، وليس للعقل بهما دور سوى التصديق بها بعد أن ثبتت بطريق الوحي .

١- صفة الوجه :-

وهي من الصفات التي أثبتها الامام الباقلاني - رحمه الله - فقد ترجم لها بقوله : (باب في أن لله وجها ....) (١)

ثم قال : (فان قال قائل : فما الحجة في أن لله عز وجل وجها ...؟ قيل له : قوله تعالى : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام))(٢) ..... فأثبت لنفسه وجها ....) (٣)

وقال في موضع آخر في اثبات الوجه صفة لله تعالى :(وأخبر أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات كما قال عز وجل : ((كل شيء هالك الا وجهه)) (٤) وقال : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام))(٥))(٦)

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية كلامه في اثبات هذه الصفة في أكثر من موضع من كتبه ، واحتج بكلامه في اثبات الوجه واليدين نقلا عن كتاب الابانة للباقلاني وهو كتاب مفقود وغير موجود في الوقت الحاضر فقال : (قال في كتاب الابانة تصنيفه فان قال قائل : فما الدليل على أن لله وجها ويدا ؟ قيل له : قوله تعالى : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (٧) وقوله تعالى : ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) (٨) فأثبت لنفسه وجها ويدا .

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٨

(٢) الرحمن الاية ٢٧

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٨

(٤) القصص الاية ٨٨ ، (٥) الرحمن الاية ٢٧

(٦) الانصاف للباقلاني ص ٢٤

(٧) الرحمن الاية ٢٧

(٨) ص الاية ٧٥

فان قال : فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحه ان كنتم لا تعقلون وجها ويدا الا جارحة ؟ قلنا : لا يجب هذا كما لا يجب اذا لم نعقل حيا عالما قادرا الا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى وكما لا يجب في كل شيء قائما بذاته أن يكون جوهرا لأنا واياكم لم نجد قائما بنفسه في شاهدنا الا كذلك) (١)

واحتج أيضا بكلام الباقلاني في موضع آخر من كتبه حيث قال :(وهكذا ذكر القاضي أبو بكر بن الباقلاني في عامة كتبه مثل التمهيد ،والابانة ،وكتابه الذي سماه "كتاب الرد على من نسب الى الاشعري خلاف قوله " بعد فصول ذكرها قال: وكذلك قولنا في المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله تعالى اذا ثبتت بذلك الرواية من اثبات اليدين اللتين نطق بهما القرآن ، والوجه والعينين ....) (٢)

وهذا الرأي الذي ارتضاه الامام الباقلاني وسبقه اليه الاشعري وكثير من العلماء خالفهم فيه المعتزلة ومتأخرو الاشاعرة حيث ذهبوا الى تأويل الوجه بالذات قال البغدادي : (والصحيح عندنا أن وجهه ذاته)(٣) ويفسر قوله تعالى :((ويبقى وجه ربك))(٤) بأن معناه ويبقى ربك .

وذهب الجويني الى أن المراد بالوجه هو الوجود فقال:(والاظهر حمل الوجه على الوجود) (٥)

وقال الآمدي : (قوله :((ويبقى وجه ربك)) فانه يحتمل أن يكون المعنى بالوجه الذات ، ومجموع الصفات ، وحمله عليه أولى) (٦)

وهو قول المعتزلة وجمهور المتكلمين .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أبين أن الامام الباقلاني قد خالف ما قرره في عامة كتبه كالتمهيد والابانة والانصاف من اثبات الوجه لله تعالى اثباتا صريحا ، في ثنايا كتاب الانصاف في غير باب المسئلة عند تفسيره لقوله تعالى :((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (٧) حيث قال : (ويجب أن

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٨/٥ ،وانظر العقيدة الحموية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٦٢/١ ، واجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ١٩٣

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٤/٢

(٣) أصول الدين للبغدادي ص ١١٠

(٤) الرحمن الاية ٢٧

(٥) الارشاد للجويني ص ١٥٧

(٦) غاية المرام للآمدي ص ١٤٠

(٧) الرحمن الاية ٢٧

يعلم أن الله سبحانه باق ومعنىً ذلك أنه دائم الوجود والدليل عليه قوله تعالى : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (١) يعني ذات ربك وأيضا قوله تعالى : ((كل شيء هالك الا وجهه)) (٢) يعني ذاته ، ولأنه قد ثبت قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه) (٣)

وبعد ما تبين لنا اثبات الامام الباقلاني للوجه وكما شهد بذلك العلماء الاجلاء فليس لنا الا أن نحمل هذا على أنه يريد بأن الاية تثبت الوجه وفي اثبات الوجه اثبات للذات ، لأنه قد أثبت الوجه لله تعالى في نفس كتاب الانصاف بكل وضوح حيث قال : (وأخبر أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات كما قال عز وجل : ((كل شيء هالك الا وجهه)) (٤) وقال:((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (٥))(٦)

هذا ما يمكن أن يحمل عليه كلامه السابق وتفسيره للآيات والا يكون متناقضا ، وأيضا فان اثباته لصفة الوجه جاء في بابه تفصيلا ، وتفسيره للآيات جاء في غير موضعه عرضا في ثنايا بحث آخر .

بعد هذا نقول لا شك أن ما ذهب اليه الامام الباقلاني من اثبات صفة الوجه لله تعالى هو بعينه ما ذهب اليه السلف رضوان الله عليهم.

فانهم يثبتون صفة الوجه لله تعالى ويقرر أئمتهم أن لله تعالى وجها لا يشبه وجوه المخلوقين ولهم على ذلك أدلة كثيرة من القرآن والسنة نضيف بعضها على ما ذكره الامام الباقلاني منها :

قوله تعالى : ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)) (٧)

وقوله تعالى : ((ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)) (٨)

---

(١) الرحمن الاية ٢٧

(٢) القصص الاية ٨٨

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٣٧ـ٣٨

(٤) القصص الاية ٨٨

(٥) الرحمن الاية ٢٧

(٦) الانصاف للباقلاني ص ٢٤

(٧) الكهف الاية ٢٨

(٨) الانعام الاية ٥٢

قال الحافظ ابن خزيمة : (فأثبت الله لنفسه وجها وصفه بالجلال والاكرام وحكم لوجهه بالبقاء ، ونفى الهلاك عنه) (١)

ثم بين ابن خزيمة أن هذا مذهب السلف من كل الامصار الاسلامية فقال : (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا : انا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين......)(٢)

فالسلف يثبتون لله تعالى وجها هو صفة من صفاته حقيقة ، على وجه يليق به سبحانه وتعالى ، ولا يشبه وجه أحد من خلقه ولا يشبهه وجه من الوجوه تعالى وتقدس (٣)

ولا يلزم عند السلف أن يكون المراد في جميع الايات التي نسبت الوجه الى الله تعالى أن يكون الوجه الحقيقي الذي هو صفة من صفاته بل يأتي في كل مكان بحسب ما وضع له ، فقد يأتي بمعنى الجهة كقوله تعالى: ((فأينما تولوا فثم وجه الله)) (٤) فالمقصود هنا الجهة التي تستقبل للصلاة ، ويكون معنى الاية فأينما تستقبلوا فثم وجه الله تعالى (٥)

أما الاحاديث التي استدل بها السلف الواردة في اثبات الوجه لله تعالى فكثيرة جدا نذكر منها :-

١- ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت: ((قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم)) قال صلى الله عليه وسلم : ((أعوذ بوجهك قال أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو هذا أيسر)) (٦)

---

(١) التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ٢٥/١

(٢) نفس المصدر ٢٦/١

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٦٥ ، (٤) البقرة الاية ١١٥

(٥) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١٤٤/٣-١٤٥، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/٦-١٧، وتأويلات أهل السنة للماتريدي ٢٦٣/١

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ((قل هو القادر على أن يبعث عليكم)) ١٩٣/٥، وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ((كل شيء هالك الا وجهه)) ١٧١/٨، والترمذي في التفسير باب من سورة الانعام ٢٤٤/٥ وابن خزيمة في التوحيد ٢٧/١-٢٨

٢- وكذلك ما رواه البخاري بسنده عن أبي بكر بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن)) (١)

٣- وكذلك ما رواه مسلم عن أبي موسى الاشعري قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ... الى قوله ((حجابه النور أو النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه)) (٢)

والحاصل : أن في هذه الايات والاحاديث الصحيحة دليل على اثبات صفة الوجه لله تعالى حقيقة وهو ما ارتضاه سلفنا الصالح رضوان الله عليه وأخذه والتزم به الامام الباقلاني - رحمه الله -

ويرد على من قال ان المقصود بالوجه في الآيات هو الذات بأنه لو لم يكن له سبحانه وتعالى وجه حقيقة لما جاز استعماله في معنى الذات لأن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر الا اذا كان المعنى الاصلي ثابتا للموصوف ، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم الى لازمه

ويمكن دفع كلامهم بطريق آخر فيقال انه أسند البقاء الى الوجه ويلزم منه بقاء الذات بدلا من أن يقال أطلق الوجه وأراد الذات فقد ذكر البيهقي نقلا عن الخطابي (٣) أنه تعالى لما أضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال : ((و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (٤) دل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى:((وجوه يومئذ ناضرة ١٨٥/٨،وأخرجه مسلم في كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ١٦٣/١،والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة غرف الجنة ٥٨١/٤ وقال حديث حسن صحيح،وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٦/١ وابن خزيمة في التوحيد ٣٩/١،وابن منده في الرد على الجهمية ص ٩٤

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب قوله عليه السلام ان الله لا ينام ١٦١/١ وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ١٠/١،وأحمد في المسند ٣٩٥/٤،٤٠٥

(٣) هو أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن ابراهيم البستي الامام الخطابي العلامة المحدث،وأحد الفقهاء المجتهدين،من مصنفاته معالم السنن،وغريب الحديث وغير ذلك ، توفي سنة ٣٨٨هـ

انظر البداية والنهاية ٣٤٦/١١،وشذرات الذهب ١٢٧/٣-١٢٨،وطبقات الحفاظ ص ٤٠٤

(٤) الرحمن الاية ٢٧

على أن ذكر الوجه ليس بذات ، وان قوله ذو الجلال والاكرام صفة للوجه والوجه صفة للذات . (١)

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٦٥-٦٦ ، ولوامع الانوار البهية للسفاريني ٢٢٦/١

٢- صفة العين :-

وقد أثبت الامام الباقلاني - رحمه الله - هذه الصفة لله تعالى لورود الادلة من الكتاب والسنة على اثباتها .

حيث قال : (والعينين اللتين أفصح باثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه الصلاة والسلام فقال عز وجل : ((ولتصنع على عيني)) (١) وقال : ((تجري بأعيننا)) (٢) وأن عينه ليست بحاسة من الحواس ولا تشبه الجوارح والاجناس) (٣)

وقد نقل عنه شيخ الاسلام ابن تيمية اثباته لصفة العينين مع اثبات باقي الصفات الخبرية فقال : (قال - أي الباقلاني - وروي في الحديث من رواية ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الدجال قال: ((انه أعور ، وان ربكم ليس بأعور)) (٤) فأثبت له العينين وهذا حديث غير مختلف في صحته وهو في صحيح البخاري .....) (٥)

وهذا ما يراه السلف من اثبات عينين لله تعالى يرى بهما جميع المرئيات ، وعلى وجه يليق بجلاله وكماله .

ولا يقتضي هذا الاثبات أن تكونا جارحتين ، أو مركبتين بل هما عينان حقيقيتان لا كالاعين لائقتان به سبحانه .

يقول ابن خزيمة : (فالواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبته الخالق البارئ لنفسه ، من العينين ، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد أثبته في محكم تنزيله)(٦)

ويقول شارح الواسطية : (يثبت الله سبحانه لنفسه عينا يرى بها جميع المرئيات ، وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به فلا يقتضي اثباتها كونها جارحة مركبة من شحم وعصب وغيرهما) (٧)

---

(١) طه الاية ٣٩

(٢) القمر الاية ١٤

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٢٤

(٤) جزء من الحديث الاتي ص ٣٤٠ وسيأتي تخريجه هناك

(٥) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٤/٢

(٦) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٩٧/١

(٧) شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨

وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة نذكر بعضها ، اضافة لما استدل به الامام الباقلاني من باب تمام الفائدة كقوله تعالى : ((واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)) (١) وقوله تعالى : ((واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)) (٢)

وهناك أحاديث كثيرة منها :

ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من نبي الا وقد حذر أمته الاعور الكذاب ، الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كفر)) (٣)

وكذلك معظم الاحاديث التي ذكر فيها الدجال وهي كثيرة .

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على اثبات العينين لله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم ينفي عن الله تعالى العور لأنه نقص والله عز وجل كامل لا يعتريه نقص وهو المتصف بكل صفات الكمال المنزه عن كل صفات النقص .

ويرفض السلف تأويل هذه الصفة بأي شيء يخالف كونها صفة حقيقية لله تعالى ، كتأويل الاشاعرة وعلى رأسهم الجويني والبغدادي والرازي للعين بالرؤية أو بالحفظ والكلاءة ، أو التربية والرعاية (٤) ، وكما أول المعتزلة هذه الصفة بالعلم (٥) وكلها تأويلات فاسدة . وهذ كله نفي وتعطيل لصفات الباري تبارك وتعالى .

يقول الدكتور هراس :(وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفي وتعطيل ، وأما افرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر فلا حجة لهم فيه على نفيها ، فان لغة العرب تتسع لذلك ، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين ....)(٦)

---

(١) الطور الاية ٤٨ ، (٢) هود الاية ٣٧

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى ((ولتصنع على عيني٨/١٧٢ ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال ٤/٢٢٤٨ ، وأبو داود في السنة باب في الدجال ٥/١١٨،والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في علامة الدجال ٤/٤٤٠،وأحمد في المسند ٣/٢٢٨،٥/٣٨

(٤) انظر الارشاد للجويني ص ١٥٥،وأصول الدين للبغدادي ص ١٠٩،وأساس التقديس للرازي ص ١٢٠ـ١٢١

(٥) انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٢٧

(٦) شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨ـ٦٩،وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٣٦٥ـ٣٧٠

كما يقال رأيت بعينيّ وسمعت بأذني والمراد عيناي،وأذناي .

وقال - رحمه الله - ردا على المأولين لهذه الصفة : (على أنه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها الا بالنسبة لمن له عين حقيقية فهل يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا ان الله يمتدح بما ليس فيه فيثبت لنفسه عينا وهو عاطل عنها ؟ وهل يريدون أن يقولوا ان رؤيته للاشياء لا تقع بصفة خاصة بها بل يراها بذاته كلها كما تقول المعتزلة انه قادر بذاته ومريد بذاته ..... الخ) (١)

وحاصل الكلام أن ما ذهب اليه الامام الباقلاني من اثبات صفة العين لله تعالى هو مذهب السلف أهل السنة والحديث (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ٦٩

(٢) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري ١/٢٨٥،٢٩٠، ٣٤٥ ، والتوحيد لابن خزيمة ٩٦/١

٣- صفـــة اليديـــن :-

وهي من الصفات التي أثبتها الامام الباقلاني وترجم لها في كتاب التمهيد بقوله : (باب في أن لله وجها ويدين) (١)

واستدل على اثباتها بقوله تعالى : ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) (٢) قال : (فأثبت لنفسه يدين)(٣)

وقال : (واليدين اللتين نطق باثباتهما له القرآن في قوله عز وجل : ((بل يداه مبسوطتان)) (٤) وقوله :((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) (٥) وأنهما ليستا بجارحتين ولا ذوي صورة وهيئة) (٦)

ونقل الامام ابن تيمية عن أبي القاسم النيسابوري شارح كتاب الارشاد للامام الجويني تعليقا على تأويل الجويني للصفات الخبرية :(واعلم أن مذهب شيخنا أبي الحسن أن اليدين صفتان ثابتان زائدتان على وجود الاله سبحانه وتعالى ، ونحو ذلك قال عبد الله بن سعيد، ومال القاضي أبو بكر - يعني الباقلاني - في الهداية الى هذا المذهب) ثم بين ابن تيمية أن هذا هو قول الباقلاني في جميع كتبه كالتمهيد والابانة وغيرهما (٧)

وهو بهذا موافق لما عليه السلف من اثبات اليدين صفة حقيقية لله تعالى تليق بجلاله وعظمته لا تشبه يد المخلوق ولا يشبها شيء .

وقد ذهب الاشاعرة الى تأويل النصوص الواردة في اثبات اليد كل موضع بحسبه ، ففي بعض النصوص أولوا اليد بالنعمة وفي بعضها بالقدرة كما فعل الرازي والآمدي والبغدادي وغيرهم (٨)

وكلها تأويلات واضحة الفساد لأن مذهب السلف حمل اليد على معنى الصفة الحقيقية لله تعالى وهو ما ذهب اليه الامام الاشعري (٩)

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٨

(٢) ص الاية ٧٥

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٨

(٤) المائدة الاية ٣٨ ، (٥) ص الاية ٧٥

(٦) الانصاف للباقلاني ص ٢٤

(٧) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٧٩/١-٨٠، والفتاوى الكبرى له ٢٨٧/٥

(٨) انظر أساس التقديس للرازي ص ١٢٥-١٢٦،وغاية المرام للآمدي ص ١٣٩-١٤٠ وأصول الدين للبغدادي ص ١١٠-١١١،

(٩) انظر الابانة للاشعري ص ٩٧-٩٨

ونقل اجماع السلف على ذلك فقال : (وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى وأن له تعالى يدان مبسوطتان ، وأن الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ..... وأن يديه تعالى غير نعمته ، وقد دل على ذلك تشريفه لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده ، وتقريعه لابليس على الاستكبار عن السجود على ما شرفه به بقوله : ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي))(١))(٢)

وكذلك شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) وقد صرح بذلك أيضا الحافظ ابن خزيمة فقال : (باب ذكر اثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في حكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه) (٤) وساق الادلة على ذلك من الكتاب والسنة .

ومن الايات التي تثبت صفة اليد لله تعالى اضافة لما ذكرنا عن الامام الباقلاني :

قوله تعالى : ((يد الله فوق أيديهم))(٥) وقوله تعالى: ((فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون))(٦) وقوله تعالى :((أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم مالكون))(٧)

وقوله تعالى : ((والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه))(٨)

ومن الادلة من السنة :

ما رواه الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى قال: موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك

---

(١) ص الاية ٧٥

(٢) رسالة اهل الثغر للاشعري ص ٧٢-٧٣

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٢/٦-٣٦٣

(٤)كتاب التوحيد لابن خزيمة ١١٨/١

(٥) الفتح الاية ١٠

(٦) يس الاية ٨٣

(٧) يس الاية ٧١

(٨) الزمر الاية ٦٧

ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض ...... الخ الحديث)) (١)

واحتج بهذا الحديث في اثبات صفة اليدين الأئمة كابن خزيمة (٢) وابن منده (٣) والآجري (٤) (٥) والبيهقي (٦)

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : ((ان الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها)) (٧)

وقد استدل بهذا الحديث الامام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨) والاحاديث في هذا كثيرة جدا .

وقد يقول قائل : ان النصوص الواردة في اثبات صفة اليدين جاءت بذكر اليد بالافراد في بعض الآيات ، وفي بعضها بالتثنية ، وفي البعض الآخر بلفظ الجمع فلا دليل يخصص ما ذهب اليه السلف من اثبات اليدين لله تعالى حقيقة دون أيد كثيرة أو يدا واحدة .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ((وجوه يومئذ ناضرة)) ١٨٣/٨ ،ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ٢٠٤٣/٤ ،والترمذي في كتاب القدر باب ما جاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٣٨٦/٤-٣٨٧ ،وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ،وأحمد في المسند ٢٤٨/٢ ،وابن ماجه في المقدمة ٣١/١

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة ١٢٠/١

(٣) انظر الرد على الجهمية لابن منده ص ٦٩-٧٠

(٤) هو الامام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري نسبة الى آجر من قرى بغداد فقيه شافعي وقيل حنبلي ،محدث حدث ببغداد ،ثم انتقل الى مكة وتوفي فيها سنة ٣٦٠ هـ ،وله التصانيف الكثيرة منها كتاب الشريعة ،وأخلاق العلماء وغير ذلك انظر البداية والنهاية ٢٨٨/١١ ، والعبر للذهبي ١٠٧/٢ ، وشذرات الذهب ٥٣/٣ والاعلام للزركلي ٩٧/٦

(٥) انظر الشريعة للآجري ص ٣٢٣-٣٢٤

(٦) انظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ٣١٥-٣١٦

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب قبول التوبة ٢١١٣/٤ وأحمد في المسند ٣٩٥/٤ ، ٤٠٤ ، من حديث أبي موسى الاشعري

(٨) انظر شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٤١٤/٣

يقال : قد أجمع على بطلان قول من أثبت لله تعالى أيدي كثيرة أو يدا واحدة ، فان الله تعالى قد ذكر أيدي وأراد يدين لأن القرآن على ظاهره فلا يعدل عنه الا بحجة ، وحجة العدول عن اثبات الايدي أو اليد الواحدة هي الاجماع فيبقى اثبات اليدين لله تعالى على حقيقته لأنه هو الظاهر الذي لم يأت ما يزيله عن ظاهره (١)

وأيضا فان لغة العرب واسعة ويصح أن يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ، ويقوم الواحد مقام الاثنين ، فان ما يصنع بالاثنين قد ينسب الى الواحد ، تقول رأيت بعيني وسمعت بأذني والمراد عيناي وأذناي وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثنى أحيانا كقوله تعالى : ((ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما)) (٢) والمراد قلباكما (٣)

وأما ما ذهب اليه الاشاعرة والمعتزلة من تأويل اليد بالنعمة أو القدرة فقد رد عليهم الامام الباقلاني وأبدع في الرد فقال :(فان قالوا فما أنكرتم أن يكون المعنى في قوله :((خلقت بيدي)) أنه خلقه بقدرته أو بنعمته ؟ لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنى النعمة وبمعنى القدرة كما يقال "لي عند فلان يد بيضاء" يراد به نعمة وكما يقال "هذا الشيء في يد فلان وتحت يد فلان" يراد به أنه تحت قدرته وفي ملكه ، ويقال " رجل أيد" اذا كان قادرا ..... فكذلك قوله :((خلقت بيدي)) يعني بقدرتي أو نعمتي)(٤)

وبعد بيان قولهم هذا أخذ الامام الباقلاني بسرد الردود عليهم وبدأ بمن قال أن معنى قوله ((خلقت بيدي)) أي بقدرتي .

وبين أن هذا قول باطل لأن قوله ((بيدي)) يقتضي اثبات يدين هما صفة له ، ولو كان المراد بهما القدرة ، لوجب أن يكون له قدرتان وأنتم أيها المأولة من المعتزلة لا تقولون بأن للباري تعالى قدرة واحدة فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين ؟ (٥)

ثم قال : (وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان فبطل ما قلتم .....)(٦)

---

(١) انظر الابانة للاشعري ص ١٠٤ـ١٠٥

(٢) التحريم الاية ٤

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية ص٦٧ـ٦٩،ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٥/٦ـ٣٧٠

(٤) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٦٧

(٥) انظر نفس المصدر ص ٢٥٩

(٦) نفس المصدر ص ٢٥٩

ثم قال : (ويدل على فساد تأويلهم أيضا أنه لو كان الامر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك ابليس وعن أن يقول : " وأي فضل لآدم عليّ يقتضي أن أسجد له ، وأنا أيضا بيدك خلقتني ، التي هي قدرتك ، وبنعمتك خلقتني؟ " وفي العلم بأن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه دليل على فساد ما قالوه)(١) وهذا بعينه ما رد به الامام الاشعري على المأولين لصفة اليد بالقدرة (٢) وهو نفس ردود علماء السلف على المأولين أيضا يقول الامام ابن خزيمة : (والدليل على نقض دعواهم هذه ، أن نعم الله كثيرة لا يحصيها الا الخالق البارىء ، ولله يدان لا أكثر منهما ، كما قال لابليس عليه لعنة الله :((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي))(٣) فأعلمنا جل وعلا أنه خلق آدم بيديه فمن زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مبدلا لكلام الله)(٤)

وقال شارح الواسطية : (ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة فان الاشياء جميعا حتى ابليس خلقها الله بقدرته فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها) (٥)

ثم رد الامام الباقلاني على من أوّل اليد في النصوص الواردة بذلك على أنها بمعنى النعمة فقال : (ولا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين لأنّ نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى ، ولأن القائل لا يجوز أن يقول " رفعت الشيء بيدي ، أو وضعته بيدي ، أو توليته بيدي " وهو يعني نعمته ، وكذلك لا يجوز أن يقال " لي عند فلان يدان " ويعني نعمتين وانما يقال : " لي عنده يدان بيضاوان" لأنّ القول "يد" لا تستعمل الا في اليد التي هي صفة للذات) (٦)

والامام الباقلاني في رده هذا موافق تمام الموافقة لمذهب السلف في ردودهم على من أوّل اليد بالنعمة وفي اثبات حقيقة اليد لله تعالى(٧)

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٩

(٢) انظر الابانة للاشعري ص ١٠٠-١٠١

(٣) ص الاية ٧٥

(٤) التوحيد لابن خزيمة ١٩٧/١،وانظر الشريعة للاجري ص ٣٢٣-٣٢٥،ورد الدارمي على المريسي ص ٣٤-٣٥

(٥) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٦٦

(٦) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٩

(٧) انظر الابانة للاشعري ص ٩٧-٩٨،والعقيدة الحموية لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٦١/١

وقد بين الامام الاشعري أنه اذا كان قوله تعالى :((بيدي)) يعني نعمتي لا يكون لآدم عليه السلام فضيلة على ابليس في ذلك على مذهب المعتزلة المأولين ، لأن النعمتين اما أن يكونا عني بهما بدن آدم عليه السلام أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم ، فاذا عني بدن آدم فالابدان عند المعتزلة من جنس واحد وعلى هذا فقد حصل في جسد ابليس على مذهبهم ما حصل في جسد آدم ، وكذلك ان عني عرضين فليس من عرض فعله في بدن آدم الا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن ابليس ، والصحيح أن الله تعالى احتج على ابليس بذلك ليريه أن لآدم عليه السلام فضيلة في خلقه بيديه وأنه تعالى لم يعن نعمتي وبهذا يبطل قولهم(١)

وأيضا فلو كان معنى اليد النعمة كما ادعت الجهمية وغيرهم من المأولين لقرأت الاية "بل يداه مبسوطة أو منبسطة " في قوله تعالى:((بل يداه مبسوطتان)) (٢) لأن نعم الله أكثر من أن تحصى ، ومحال أن تكون نعمة أو نعمتين لا أكثر ، فهما يدان حقيقيتان تليق بجلاله تعالى ، فلما قال تعالى : ((بل يداه مبسوطتان)) أثبت لنفسه يدين لا أكثر منهما ، وأعلم أنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء (٣)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ((لما خلقت بيدي))
(لا يجوز أن يراد به القدرة ، لأن القدرة صفة واحدة ، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد ، ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى ، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية)(٤)

وقال الدكتور هراس : (لفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله الا في اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة فانه لا يسوغ أن يقال خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين ، على أنه لا يجوز اطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما الا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة ولذلك لا يقال للريح يد ولا للماء يد .....) (٥)

---

(١) انظر الابانة للاشعري ص ١٠٢

(٢) المائدة الاية ٦٤

(٣) انظر التوحيد لابن خزيمة ١٩٨/١

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٥/٦

(٥) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٦٧

بعد ذلك قدر الامام الباقلاني أن سائلا يسأل فيقول : فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة ان كنتم لا تعقلون وجها ويدا الا جارحة؟

ويجيب عن ذلك بقوله : (لا يجب ذلك ، كما لا يجب ، اذالم نعقل حيا عالما قادرا الا جسما ، أن نقضي نحن وأنتم على الله تعالى بذلك وكما لايجب ، متى كان قائما بذاته ، أن يكون جوهرا أو جسما لأنا واياكم لم نجد قائما بنفسه في شاهدنا الا كذلك) (١)

والحاصل أن الامام الباقلاني - رحمه الله - على مذهب السلف في اثبات صفة اليدين لله تعالى كما نصت على ذلك الاخبار من الكتاب والسنة على ما يليق بجلال الله وعظمته ، وهي يد ليست جارحة ، ولا مركبة من اجزاء أو مادة أو صورة ، وهي يد ليست بمعنى النعمة أو القدرة ، وليست كالايدي واثباتها على حقيقتها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن الامام الباقلاني قد أثبت صفة الوجه والعين واليد اثباتا حقيقيا ورد على المأولين لهذه الصفات الخبرية غير انني لم أجد له كلاما على باقي صفات الذات الخبرية كالاصابع والساق والقدم وغيرها فيما بين يدي من مصنفات لهذا الامام ، ولكن - كما سبق أن ذكرت - كلام علماء السلف كابن تيمية وابن القيم وغيرهما أن الباقلاني كان من المثبتين للصفات الخبرية عموما ، واثباته لهذه الصفات التي ذكرناها يدل على أنه مثبت لجميع صفات الذات الخبرية وموافق في اثباتها لمذهب السلف .

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٥٩-٢٦٠ ، وانظر هذا الرد عند الاشعري في الابانة ص ١٠٣-١٠٤

المبحث الثاني

رأي الامام الباقلاني في صفات الافعال الخبرية

رأي الامام الباقلاني في صفات الافعال الخبرية :-

في هذا المبحث سنتناول رأي الامام الباقلاني في صفات الفعل الخبرية ، كالاستواء والنزول ، والمجيء ونحو ذلك .

١- صفة الاستواء :- لقد ورد استواء الله تعالى على عرشه في سبعة مواضع من القرآن الكريم وكلها جاءت بلفظ ((استوى)) وهذه الايات هي:

قوله تعالى : ((ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش))(١)

وقوله تعالى :((ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش))(٢)

وقوله تعالى : ((الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش))(٣)

وقوله تعالى : ((الرحمن على العرش استوى))(٤)

وقوله تعالى :((الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش))(٥)

وقوله تعالى : ((هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش))(٦)

وقوله تعالى : ((هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش))(٧)

وبالرغم من ورود هذه الصفة بهذه الايات الصريحة في اثبات الاستواء الا انه وجد من نفى الاستواء وأعمل فيه التأويل كما هو معروف عن المعتزلة (٨) وبعض الاشاعرة وخاصة متأخريهم كالآمدي (٩) والغزالي (١٠) وغيرهما .

---

(١) الاعراف الاية ٥٤

(٢) يونس الاية ٣

(٣) الرعد الاية ٢

(٤) طه الاية ٥

(٥) الفرقان الاية ٥٩

(٦) السجدة الاية ٤

(٧) الحديد الاية ٤

(٨) انظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ٣٥١،٧٣/١

(٩) انظر غاية المرام للآمدي ص ١٤١

(١٠) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٣٨-٣٩

حيث ذهبوا الى تأويل الاستواء بالاستيلاء على أنه غلب وقهر وملك ، قال أبو الحسن الاشعري :(وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان قول الله عز وجل :((الرحمن على العرش استوى)) (١) انه استولى وملك وقهر ، وأن الله في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء الى القدرة ، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والارض السابعة فانه سبحانه قادرعليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها ، لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانّه قادر على الاشياء مستول عليها .... ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله عز وجل مستو على الحشوش والاخلية ، ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ، ووجب أن يكون استواء يختص بالعرش دون الاشياء كلها ....)(٢)

وقد رفض الامام الباقلاني هذا الرأي رفضا قاطعا كما رفضه علماء السلف فقال : (ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ×××× من غير سيف ودم مهراق

لأنّ الاستواء هو القدرة والقهر والله تعالى لم يزل قادرا قاهرا عزيزا مقتدرا وقوله : ((ثم استوى على العرش)) (٣) يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن فبطل ما قالوه)(٤)

وبالنسبة لاستدلالهم بقول الشاعر فان هذا البيت لم يثبت بنقل صحيح أنه شعر عربي ، وقد أنكره أكثر من واحد من أئمة اللغة وقالوا بأنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة ، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج الى اثبات صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف اسناده؟ وقد طعن فيه أئمة اللغة ، وذكر عن الخليل بن أحمد أنه سئل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها وعلى هذا فحمل الاستواء على الاستيلاء حمل باطل (٥)

---

(١) طه الاية ٥ ، (٢) الابانة للاشعري ص ٨٦

(٣) الاعراف الاية ٥٤ ، (٤) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص٢٦٢

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٦/٥،وشرح الرسالة التدمرية لابن مهدي ص ١٨٩،ومختصر الصواعق المرسلة للموطي ٣١٢/٢

وأيضا فان هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين (١)

وأيضا فقد قال جماعة من أهل اللغة لا يجوز أن يكون معنى استوى بمعنى استولى الا في حق من كان عاجزا ثم ظهر ، والله سبحانه لا يعجزه شيء فامتنع أن يكون بمعنى استولى (٢)

وقال أبو سعيد الدارمي في الرد على من أوّل الاستواء بالاستيلاء وهو يتعجب من قولهم هذا : (فهل من مكان لم يستول عليه ولم يحله ، حتى خص العرش من بين الامكنة بالاستيلاء عليه - وكرر ذلك في مواضع كثيرة من كتابه - فأي معنى اذا لخصوص العرش اذا كان عندكم مستويا على جميع الاشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى ؟؟) (٣)

ثم يقال لهم اذا كان الله بزعمكم ليس على العرش ولا مستو على عرشه الاستواء اللائق بجلاله فأين هو فقد أجابوا - أي المعتزلة - بأن الله في كل مكان ، قال الامام الاشعري : (وزعمت المعتزلة والحروية والخوارج أن الله عز وجل في كل مكان ، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والاخلية وهذا خلاف الدين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)(٤)

واستدل المعتزلة على قولهم هذا بشبهات وتأويلات لآيات من الكتاب العزيز وادعوا أنها تدل على مذهبهم ، وقد ذكر الامام الباقلاني شبهاتهم هذه فقال : (فان قالوا : أفليس قد قال الله عز وجل :((وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله))(٥) فأخبر أنه في السماء والارض ؟

وقال : ((ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))(٦)

وقال : ((انني معكما أسمع وأرى))(٧) وقال : ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم))(٨) - ونظائر هذه الآيات - فما أنكرتم أنه في كل مكان؟؟)(٩)

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٤/٥

(٢) انظر نفس المصدر ١٤٦/٥

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص ١٨ ،

(٤) الابانة للاشعري ص ٨٧

(٥) الزخرف الاية ٨٤ ، (٦) النحل الاية ١٢٨

(٧) طه الاية ٤٦ ، (٨) المجادلة الاية ٧

(٩) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦١

ثم رد عليهم قولهم بأن الله في كل مكان وفند مزاعمهم وشبهاتهم على ذلك كما رد عليهم علماء السلف في مواضع كثيرة من مصنفاتهم .

وبين الامام الباقلاني أن المراد بالاية الاولى وهي قوله تعالى ((وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله))(١) (انه اله عند أهل السماء واله عند أهل الارض ، كما تقول العرب : "فلان نبيل مطاع بالعراق ونبيل مطاع بالحجاز" يعنون بذلك أنه مطاع في المصرين وعند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة) (٢)

كما رد على دليلهم الثاني والثالث وهو قوله تعالى :((ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))(٣) بأن معنى الاية أنه معهم بالنصر والتأييد ولم يرد أن ذاته معهم يتعالى عن ذلك .

وبين أن قوله تعالى : ((انني معكما اسمع وأرى))(٤) أنه محمول على هذا المعنى (٥)

والامام الدارمي رد عليهم في استدلالهم بهذه الاية فقال :(علمه وبصره معهم وهو بنفسه على العرش بكماله كما وصف ، لأنه لا يتوارى منه شيء ولا يفوت علمه وبصره شيء في السماء السابعة العليا ، ولا تحت الارض السابعة السفلى وهذا كقوله تعالى :((انني معكما أسمع وأرى))(٦) من فوق العرش)(٧)

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية كلام السلف في قوله تعالى:((وهو معكم أينما كنتم))(٨) فقال : (وقال الشيخ أبو عمر الطلمنكي المالكي أحد أئمة وقته بالاندلس .... أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : ((وهو معكم اينما كنتم)) (٩) ونحو ذلك من القرآن أن ذلك

---

(١) الزخرف الاية ٨٤

(٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦١

(٣) النحل الاية ١٢٨

(٤) طه الاية ٤٦

(٥) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦١

(٦) طه الاية ٤٦

(٧) الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٠

(٨) الحديد الاية ٤

(٩) الحديد الاية ٤

علمه وأن الله فوق السموات بذاته ، مستو على العرش كيف شا *)(١)

كما رد الامام الباقلاني استدلال المعتزلة على أن الله في كل مكان بقوله تعالى : ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم))(٢) وبين المراد من الاية بأنه تعالى (يعني أنه عالم بهم وبما خفي من سرائرهم ونجواهم وهذا انما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلذلك لا يجوز أن يقال قياسا على هذا أن الله سبحانه وتعالى بالبردان وبمدينة السلام ، وانه تعالى مع الثور والحمار ولا أن يقال انه مع الفساق والمجان ....قياسا على قوله : ((ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))(٣) فوجب أن يكون التأويل على ما وصفناه)(٤)

وقد رد الامام الدارمي استدلال المعتزلة بهذه الاية بأنها حجة عليهم لا لهم ، وهي تعني أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأنّ علمه محيط بهم ، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ((يعلم السر وأخفى)) لا انه معهم بنفسه في الارض كما ادعيتم (٥)

ورد عليهم الامام أحمد ـ رحمه الله ـ لما قالوا ان الله معنا وفينا مستدلين بالاية قال : قوله تعالى :((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم))(٦) يعني الله بعلمه لا بذاته (٧)

وقال أبو عمر بن عبد البر : (وعلماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل قوله تعالى : ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم))(٨) هو على العرش ، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله)(٩)

وذكر عن الضحاك بن مزاحم أنه قال في هذه الاية هو على عرشه وعلمه معهم اينما كانوا ، وذكر مثل ذلك عن سفيان الثوري وعن ابن مسعود أيضا أنه قال : الله فوق العرش ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم (١٠)

---

(١) درء التعارض لابن تيمية ٦/٢٥٠ـ٢٥١ ، (٢) المجادلة الاية ٧

(٣) النحل الاية ١٢٨ ، (٤) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص٢٦١ـ٢٦٢

(٥) انظر الرد على الجهمية للدارمي ص ١٩ ، (٦) المجادلة الاية ٧

(٧) انظر الرد على الجهمية والزنادقة للامام أحمد تحقيق د/ عميرة ص ١٣٨

(٨) المجادلة الاية ٧ ، (٩) التمهيد لابن عبد البر ٧/١٣٨ـ١٣٩

(١٠) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٢٦٤

بعد هذا يتبين لنا جليا أن الامام الباقلاني موفّق جدا في نقض شبهات المعتزلة المخالفين ، الذين قالوا بأن الله في كل مكان ، وهو موافق بهذا لما عليه علماء السلف ، وتبين لنا بوضوح أنه تعالى على العرش بذاته وأن علمه في كل مكان .

مذهب الباقلاني في اثبات صفة الاستواء :-

ذهب الامام الباقلاني الى اثبات صفة الاستواء لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته فقال : (فان قال قائل : فهل تقولون انه في كل مكان ؟ قيل معاذ الله ، بل هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه فقال :((الرحمن على العرش استوى))(١) وقال تعالى : ((اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه))(٢) وقال :((أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض))(٣) ولو كان في كل مكان ، لكان في جوف الانسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها - تعالى الله عن ذلك - ولوجب أن يزيد بزيادة الاماكن اذا خلق منها ما لم يكن بخلقه ، وينقص بنقصانها اذا بطل منها ما كان ، ولصح أن يرغب اليه نحو الارض والى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله)(٤)

وقد استدل العلماء بكلام الباقلاني في اثبات الاستواء لله تعالى في كثير من مصنفاتهم واحتجوا بكلامه وأدلته ، فقد أورد الامام ابن تيمية نص كلامه السابق في اثبات الاستواء من كتاب التمهيد والابانة للباقلاني وعقب عليه بقوله : (وكلامه - أي الباقلاني - وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن تطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام)(٥)

وفي موضع آخر نقل نص كلام الباقلاني السابق في اثبات الاستواء وعلق عليه بقوله : (فقد وافق القاضي أبو بكر لابي الحسن الاشعري ، وأنكر أن يكون في كل مكان ، وجعل مقابل ذلك أنه على العرش)(٦)

---

(١) طه الاية ٥ ، (٢) فاطر الاية ١٠

(٣) الملك الاية ١٦ ، (٤) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦٠

(٥) العقيدة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٦٢/١-٤٦٣

(٦) درء التعارض لابن تيمية ٢٠٦/٦-٢٠٧، وانظر ايضا احتجاج ابن تيمية بكلام الباقلاني في مجموع الفتاوى ٩٩/٥ ، وبيان تلبيس الجهمية ٤٣٤/٢ -

وقد نقل عنه الامام ابن تيمية كلاما له في اثبات الاستواء من الابانة والتمهيد وغيرهما ما نصه : (وأنه عز وجل مستو على عرشه كما قال: ((الرحمن على العرش استوى))(١) قال : قد بينا دين الائمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تجنيس ، ولا تصوير كما روي عن ابن شهاب وغيره ، وروى الثقات عن مالك أن سائلا سأله عن قوله : ((الرحمن على العرش استوى))(٢) فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، قال : فمن تجاوز هذا المروي من الاخبار عن التابعين ومن بعدهم من السلف والصالحين وأئمة الحديث فقد تعدى وضل وابتدع في الدين ما ليس منه ، وذكر باقي الكتاب وهذا لفظه)(٣)

وهذا الكلام لم أجده في كتاب التمهيد للباقلاني ولعله في كتاب " الرد على من نسب الى الاشعري خلاف قوله)) للباقلاني وهو كتاب غير موجود حاليا مع الاسف ، كما أن الامام الذهبي نقل نص كلام الباقلاني الذي ذكره ابن تيمية وذكر أنه أخذه من الكتاب المذكور وهذا يرجح أن هذا النص مأخوذ منه (٤)

كما احتج الامام ابن القيم بكلام الامام الباقلاني وأدلته على اثبات الاستواء ونقل كلامه من التمهيد بالنص (٥)

واحتج بكلام آخر له في الابانة فقال : (فان قال قائل : فهل تقولون أنه في كل مكان ؟ قيل معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه)(٦) . ثم ذكر الادلة على ذلك نقلا وعقلا قريبا مما ذكر في التمهيد

واحتج أيضا الامام ابن القيم بكلام الباقلاني في اثبات الاستواء وذكر أن هذا في رسالة الحرة فقال : (ذكر قوله في رسالة الحرة قال في كلام ذكره في الصفات ، وأن له وجها ويدين ، وأنه ينزل الى سماء الدنيا ثم قال : وانه استوى على عرشه فاستولى على خلقه ، ففرق بين الاستواء الخاص والاستيلاء العام) (٧)

---

(١) طه الاية ٥

(٢) طه الاية ٥

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢/٣٤-٣٥

(٤) انظر العلو للعلي الغفار للذهبي ص ١٧٤

(٥) انظر اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ١٩١-١٩٣

(٦) نفس المصدر ص ١٩٣

(٧) نفس المصدر ص ١٩٣

ونص كلام الباقلاني في الانصاف بعد أن ذكر اثبات بعض الصفات كالوجه واليدين ، ذكر اثبات الاستواء فقال : (وان الله جل ثناؤه مستو على العرش ومستول على جميع خلقه كما قال تعالى :((الرحمن على العرش استوى))(١) بغير مماسة وكيفية ، ولا مجاورة ، وأنه في السماء اله والارض اله كما أخبر بذلك)(٢)

وممن احتج بكلام الامام الباقلاني في اثبات الاستواء الامام الذهبي وقد نقل نص كلام الباقلاني في التمهيد وغيره (٣)

بعد هذا يتبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الامام الباقلاني باثباته للاستواء وأن الله مستو على عرشه بذاته استواء يليق بجلاله وعظمته لا على معنى القعود والمماسة ، ولا على أي معنى يجب حدوثه (٤)

وانما على معنى العلو والارتفاع والصعود الى السماء والبينونة من الخلق (٥)

فهو بهذا موافق لمذهب السلف تمام الموافقة وهذا هو قول السلف جميعا .

يقول الامام أحمد بن حنبل : (لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له ما أثبته لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العليا .... الى أن قال : وهو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش .....)(٦)

ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية عن الامام مالك بن أنس قوله : (ان الله فوق السماء ، وعلمه في كل مكان ......)(٧)

وأيضا جواب الامام مالك عندما سأله السائل : ((الرحمن على العرش استوى)) كيف استوى ؟ فقال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول

---

(١) طه الاية ٥

(٢) الانصاف للباقلاني ص ٢٥

(٣) انظر العلو للعلي الغفار للذهبي ص ١٧٣-١٧٤

(٤) انظر التوحيد لابن خزيمة ٢٣١/١-٢٣٣،والابانة للاشعري ص ٨٥

(٥) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٣١/١-٢٣٣ ، والابانة للاشعري ص ٨٦ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٨٨

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥٧/٥

(٧) نفس المصدر ٢٥٨/٥

والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ·

وهذا صريح في الاثبات فقد أخبر رضي الله عنه أن نفس الاستواء معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول أهل الاثبات (١)

وقال ابن خزيمة :(فنحن نؤمن بخبر الله - جل وعلا- أن خالقنا مستو على عرشه ، لا نبدل كلامه ، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا)(٢)

وقال أبو الحسن الاشعري : (نقول ان الله عز وجل مستو على عرشه)(٣) وكرر هذا في أكثر من موضع من كتابه الابانة (٤)

وقال الامام ابن عبد البر في شرح الموطأ : (أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لا يكيفون شيئا من ذلك) (٥)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :(والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به)(٦)

هذه بعض النصوص من كلام العلماء الذين أثبتوا أن الله مستو على عرشه كما أخبر في كتابه ، وهناك الكثير من كلام العلماء في هذا الموضوع لمن أراد البحث عنه في مصنفاتهم ·

وقد استدل السلف على صحة ما ذهبوا اليه من اثبات الاستواء بالآيات الواردة في بداية هذا المبحث ·

---

(١) انظر مسألة صفات الله تعالى وعلوه على خلقه لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٢١٢/١-٢١٣ ، والعقيدة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٤٣/١

(٢) التوحيد لابن خزيمة ٢٢٣/١

(٣) الابانة للاشعري ص ٨٥

(٤) انظر الابانة للاشعري ص ٨٦،٨٧،٨٨ ، وانظر رسالة أهل الثغر له ص ٧٥-٧٦

(٥) التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧

(٦) العقيدة الحموية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٣٩/١ - ٤٤٠

الاستواء الوارد بالنص بمعنى العلو عند السلف :

قبل الخوض في الحديث عن معنى الاستواء عند السلف ، أحب أن أورد نصا جامعا عن الجهة وأقوال الفرق فيها حتى يكون مقدمة للموضوع

يقول ابن رشد :(وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الامر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الاشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى به ، وظواهر الشرع كلها تقتضي اثبات الجهة مثل قوله تعالى : ((ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية))(١) ومثل قوله : ((يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون))(٢) ومثل قوله تعالى :((تعرج الملائكة والروح اليه)) (٣) وقوله : ((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور))(٤) الى غير ذلك من الايات التي اذا سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولا ، وان قيل فيها أنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابها لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء ، وأنمنه تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين وأن من السماء نزلت الكتب ، واليها كان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قرب من سدرة المنتهى ، وجميع الحكماء قد اتفقوا ان الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك .

والشبهة التي قادة نفاة الجهة الى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن اثبات الجهة يوجب اثبات المكان واثبات المكان يوجب اثبات الجسمية ونحن نقول : ان هذا كله غير لازم ٠٠٠٠٠٠٠)(٥)

أما السلف الذين أثبتوا استواء الله عز وجل على العرش بالايات الواردة في القرآن الكريم ، بينوا أن معنى الاستواء الوارد بالنص اذا جاء مقيدا بعلى فلا يحتمل من المعاني الا العلو والارتفاع ونحو ذلك ولا يكون الاستواء بمعنى الانتهاء الا اذا جاء مطلقا .

يقول الامام ابن القيم : (ان لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل به كلامه نوعان : مطلق ومقيد ، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله :((ولما بلغ أشده واستوى))(٦) وهذا معناه كمل وتم يقال استوى البنيان واستوى الطعام .

---

(١) الحاقة الاية ١٧ ، (٢) السجدة الاية ٥

(٣) المعارج الاية ٤ ، (٤) الملك الاية ١٦

(٥) الكشف عن مناهج الادلة لابن رشد ص ٩٣-٩٤

(٦) القصص الاية ١٤

وأما المقيد فثلاثة أضرب :-

أحدها : مقيد بالى كقوله :((ثم استوى الى السماء)) واستوى فلان الى السطح والى الغرفة ، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بالى في موضعين من كتابه في البقرة في قوله تعالى :((هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء))(١) والثاني في سورة فصلت :((ثم استوى الى السماء وهي دخان))(٢) وهذا بمعنى العلو والارتفاع باجماع السلف .

والثاني : مقيد بعلى كقوله : ((لتستووا على ظهورها))(٣) وقوله :((واستوت على الجودي))(٤) وقوله :((فاستوى على سوقه))(٥) وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال باجماع أهل اللغة .

الثالث : المقرون بواو "مع" التي تعدي الفعل الى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها ، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ، وليس فيها معنى استولى البته ، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وانما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية)(٦)

فقد فسر علماء السلف الاستواء الوارد بالنص على أنه يدل على العلو والارتفاع ويثبت لله العلو والفوقية .

قال الامام أبو حنيفة - رحمه الله - في تفسير معنى الاستواء ((الرحمن على العرش استوى)) أي علا) (٧)

وذكر البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد : (قال أبو العالية ((استوى الي السماء)) (٨) ارتفع فسواهن خلقهنّ وقال مجاهد : استوى علا على العرش)(٩)

---

(١) البقرة الاية ٢٩

(٢) فصلت الاية ١١

(٣) الزخرف الاية ١٣

(٤) هود الاية ٤٤

(٥) الفتح الاية ٢٩

(٦) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٣٠٦/٢

(٧) غاية الاماني في الرد على النبهاني ٤٦٠/١

(٨) البقرة الاية ٢٩

(٩) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ١٧٥/٨

وقال ابن عباس وأكثر مفسري السلف ((استوى الى السماء))
ارتفع الى السماء (١)

فعبارات السلف تدور على أن معنى استوى أي علا وارتفع فأثبتوا لله تعالى العلو والفوقية بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة ومن هذه الادلة جميع الايات السابقة التي أثبتت استواء الله عز وجل على العرش وكذلك قوله تعالى :((يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي))(٢) وقوله تعالى :((وهو القاهر فوق عباده))(٣) وقوله تعالى :((اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه))(٤) وقوله تعالى :((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير))(٥) وقوله تعالى :((يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه))(٦)

وقد أثبت الامام الباقلاني الاستواء - كما مر معنا - ويظهر من أدلته التي ساقها انه على مذهب السلف من اثبات العلو والفوقية لأنه استدل بالايات المثبتة للعلو ، فاستدل بقوله تعالى : ((اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه))(٧) وبقوله تعالى : ((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض))(٨) (٩)

قال الدكتور هراس :(وأما قوله سبحانه :((اليه يصعد الكلم الطيب)) فهو صريح في صعود أقوال العباد وأعمالهم الى الله عز وجل يصعد بها الكرام الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر وعقب صلاة الفجر كما جاء في الحديث)(١٠)

وقال في قوله تعالى :((أأمنتم من في السماء)) (هاتان الايتان فيهما التصريح بأن الله عز وجل في السماء)(١١)

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢١/٢
(٢) آل عمران الاية ٥٥ ، (٣) الانعام الاية ١٨
(٤) فاطر الاية ١٠ ، (٥) الملك الايتان ١٦-١٧
(٦) السجدة الاية ٥ ، (٧) فاطر الاية ١٠
(٨) الملك الاية ١٦
(٩) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦٠
(١٠) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٩٠
(١١) نفس المصدر ص ٩١

ثم قال : (ففي بمعنى على كما في قوله تعالى : ((لأصلبنكم في جذوع النخل))(١) وان أريد بها جهة العلو ففي على حقيقتها فانه سبحانه في أعلى العلو)(٢)

ومما يدل على أن الباقلاني يثبت الاستواء على معنى العلو ما استدل به على أن قلوب العباد مفطورة في الدعاء والاتجاه الى العلو حيث قال في الرد على من قال انه في كل مكان : بأنه لو كان في كل مكان (لصح أن يرغب اليه نحو الارض والى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله)(٣)

وقد علق الامام ابن تيمية على كلام الباقلاني هذا بعد أن احتج به على اثبات استواء الله تعالى على عرشه وعلوه على خلقه فقال : (وهذا تصريح بأن الايدي انما ترفع الى الله نفسه ، وأنه يجب أن يصح رفعها اليه حيث كان ، وانه انما اختص رفعها بجهة العلو لأنّ الله هناك اذ لو لم تجب صحة رفعها الى جهته ، لم يجب اذا كان في كل مكان أن يصح أن يرغب اليه نحو الارض والى خلفنا وأيماننا وشمائلنا) (٤)

قال أبو الحسن الاشعري بعد أن أثبت الاستواء والعلو لله تعالى (ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء ، لأنّ الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات)(٥)

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) : (ولو أن هؤلاء - أي منكرو العلو والاستواء - رجعوا الى فطرهم وما ركبت عليه خليقتهم من معرفة الخالق سبحانه ، لعلموا أن الله تعالى هو العلي وهو الاعلى ، وهو بالمكان الرفيع وأن القلوب عند الذكر تسمو بنحوه والايدي ترفع بالدعاء اليه ، ومن العلو يرجى الفرج ، ويتوقع النصر وينزل الرزق)(٦)

وقال ابن خزيمة (ت ٣١٣ هـ) : (باب ذكر البيان أن الله عز وجل في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه عليه السلام وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين ، وعلمائهم وجهالهم أحرارهم ومماليكهم ، ذكرانهم

---

(١) طه الاية ٧١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٩٢

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦٠

(٤) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢/٤٣٤-٤٣٥

(٥) الابانة للاشعري ص ٨٦

(٦) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٦٩-٢٧٠

واناثهم ، بالغيهم وأطفالهم ، كل من دعا الله جل وعلا فانما يرفع رأسه الى السماء ويمد يديه الى الله ، الى أعلاه لا الى أسفل)(١)

وهذا ما يعرف بدليل الفطرة على علو الله تعالى على خلقه يقول شارح الطحاوية :(وأما ثبوته بالفطرة ـ أي العلو ـ فان الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع الى الله تعالى)(٢)

وهذه النصوص التي سقناها لبيان أن الامام الباقلاني باستدلاله بأن الايدي ترفع الى جهة العلو عند الدعاء دليل على اثباته للاستواء على معنى العلو وهو موافق بهذا لمذهب السلف •

وأما ما استدل به علماء السلف على اثبات علو الله تعالى على خلقه من السنة :ـ

ما روى مسلم بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي قال : ((كانت لي جارية ترعى الغنم لي قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي ، قلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال : ائتني بها ، فأتيته بها فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء قال : من أنا قالت : أنت رسول الله قال : اعتقها فانها مؤمنة))(٣)

هذا الحديث قد تضمن شهادة الرسول عليه الصلاة والسلام بالايمان للجارية التي اعترفت بعلوه تعالى على خلقه ، فدل ذلك على أن وصف العلو من أعظم أوصاف الباري عز وجل •

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ٢٥٤/١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٤

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ٣٨١/١ـ٣٨٢ وأبو داود في الصلاة باب تشميت العاطس ٥٧١/١ـ٥٧٣ ، والنسائي في الصلاة باب الكلام في الصلاة ١٤/٣ـ١٩ ، وأحمد في المسند ١٩١/٢، ومالك في الموطأ في العتق والولاء باب ما يجوزمن العتق في الرقاب الواجبة ٧٧٦/٢ـ٧٧٧،والدارمي في سننه ١٨٧/٢،والدارمي في الرد على المريسي ص ٢٤ ،وفي الرد على الجهمية له ص ٢١،وابن خزيمة في التوحيد ٢٧٩/١ـ٢٨٠،وابن أبي عاصم في السنة ٢١٥/١ وعبد الله بن أحمد في السنة ٣٠٦/١،واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣٩٢/٣

ومن الاحاديث أيضا ما روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون))(١)

والاحاديث الدالة على علوه تعالى على خلقه كثيرة جدا .

وأما الادلة العقلية على اثبات علوه تعالى فمن وجوه ذكرها شارح الطحاوية :-

أحدها : العلم البديهي القاطع ، بأن كل موجودين ، اما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات ، واما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر .

الثاني : أنه لما خلق العالم ، فاما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته والاول باطل ، أما أولا فبالاتفاق ، وأما ثانيا : فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأما الثاني : يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته ، فيكون منفصلا فتعينت المباينة ، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول .

الثالث : أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول ، فيكون موجودا اما داخله واما خارجه والاول باطل فتعين الثاني فلزمت المباينة (٢)

واستدل الامام ابن تيمية - رحمه الله - بأدلة عقلية على علوه تعالى على عرشه :

أحدها : أنه اذا ثبت بالعقل أنه مباين للمخلوقات وثبت أن العالم كري وأن العلو المطلق فوق الكرة ، لزم أن يكون في العلو بالضرورة .

ثانيا : ان علو الخالق على مخلوقاته وأنه فوق العالم أمر فطري مستقر في فطر العباد ، معلوم لهم بالضرورة كما اتفق على ذلك جميع الامم .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب فضل صلاة العصر ١٣٩/١، ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح و العصر ٤٣٩/١، ومالك في الموطأ كتاب قصر الصلاة باب جامع الصلاة ١٧٠/١، وأحمد في المسند ٢٥٧/٢، ٣١٢، ٤٨٦ ، وابن أبي عاصم في السنة ٢١٦/١، وابن خزيمة في التوحيد ٢٦٩/١، وابن قدامة في اثبات صفة العلو ص ٨٧-٨٨

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٤

ثالثا : ان العباد عند الدعاء والمسألة تتوجه قلوبهم الى العلو ولا يجدون في قلوبهم توجها الى جهة أخرى ، بل يجدون قلوبهم مضطرة الى أن تقصد جهة العلو دون غيرها من الجهات ·

رابعا : ان جهة العلو والفوقية أشرف الجهات ، وذلك لانه قد ثبت بصريح المعقول أن الامرين المتقابلين اذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص ، فان الله يوصف بالكمال منهما دون النقص فلما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له وصف بالمباينة دون المداخلة ، واذا كان تعالى في مباينته للعالم لا يخلو اما أن يكون عاليا على العالم أو مسامتا له وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة ، فضلا عن السفول ·

خامسا : اذا كان الله تعالى مباينا للعالم : فاما أن يقدر محيطا به أو لا يقدر محيطا به ، سواء قدر أنه محيط به دائما ، أو محيط به بعض الاوقات ، كما يقبض يوم القيامة الارض ويطوي السموات فان قدر محيط به كان عاليا عليه علو المحيط على المحاط به (١)

وبعد هذا العرض ثبت بما لا يدع مجالا للشك اثبات الامام الباقلاني للاستواء والعلو لله تعالى وهو موافق بهذا لما ذهب اليه السلف كما رأينا والاستواء معلوم بالادلة السمعية ، أما العلو فقد دلت عليه الادلة السمعية والعقلية والفطرية وكلها تشهد بعلو الرب سبحانه وتعالى على خلقه ·

لكن اثبات العلو يوهم أن الله في جهة ، والحقيقة ان اثبات أن الله في جهة العلو ليس فيه قدح في تنزيهه تعالى ، لأنّ الله تعالى أثبته لنفسه وأثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ان جهة العلو هي أشرف الجهات وأكملها (وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه)(٢)

لكن لفظ الجهة فيه اجمال ، ولا بد من الاستفصال بالمراد بنفي الجهة ، لأنه قد يراد بنفي الجهة أن الله تعالى ليس موجودا في داخل هذا العالم ولا تحصره أو تحوزه جهة ، فان اريد هذا ، فان الله تبارك وتعالى منزه عن أن يكون في شيء من مخلوقاته ·

وان كان المقصود بنفي الجهة ، نفي الجهة العدمية التي هي عبارة عن أن الله تعالى فوق هذا العالم كله ، وهي جهة العلو ، فان هذه الجهة عدمية لا وجودية ، ولما كان من الثابت بالادلة النقلية والعقلية أن الله

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/٣-٨

(٢) رسالة في الارادة والامر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٣٨٢/١

تعالى في العلو فوق خلقه ، فلا يصح أن يقال انه تعالى ليس في جهة بقصد نفي فوقيته وعلوه على خلقه (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ؟ أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات .

وكذلك يقال لمن قال :" الله في جهة " أتريد بذلك أن الله فوق العالم أو تريد أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فان أردت الاول فهو حق ، وان أردت الثاني فهو باطل)(٢)

فالجهة اذا قسمان :-

١- جهة يجب أن ينزه الله سبحانه وتعالى عنها وهو هذا العالم الوجودي فان الله تعالى ليس حالا في شيء من مخلوقاته .

٢- وجهة ثانية وهي عدم محض ، وهو جهة العلو وما فوق العالم فاثبات هذه الجهة لله تعالى بمعنى العلو وأنه فوق العرش بائن من خلقه واجب شرعا وثبت ذلك - كما مر معنا - بالادلة النقلية والعقلية من الكتاب والسنة واجماع السلف من هذه الامة .

وأما من نفى هذه الجهة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع سلف الامة ، والذي دفعني للحديث عن الجهة هو ما ورد عن الامام الباقلاني من عبارات في تنزيهه تعالى عن سمات النقص والحدوث ونفي الجهة حيث ورد عنه أنه قال : (ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه ، فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال ولا القيام ولا القعود لقوله تعالى :((ليس كمثله شيء))(٣) وقوله :((ولم يكن له كفوا أحد))(٤) ولأنّ هذه الصفات تدل على الحدوث والله تعالى يتقدس عن ذلك فان قيل : أليس قد قال : ((الرحمن على العرش استوى))(٥) قلنا : بلى قال ذلك ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة لكن ننفي عنه أمارة الحدوث ونقول استواؤه لا يشبه استواء الخلق)(٦)

---

(١) انظر منهاج السنة لابن تيمية ٢١٦/١ ،ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٢/٥-٣٦٣ وبيان تلبيس الجهمية ٥٢٠/١ ،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٠ ،ولوامع الانوار البهية ٢٠٧/١ ،وشرح العقيدة الواسطية ص٨٩ ،ومختصر العلو للالباني ص ٧٠-٧١

(٢) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٤٦ ، (٣) الشورى الاية ١١

(٤) الاخلاص الاية ٤ ، (٥) طه الاية ٥

(٦) الانصاف للباقلاني ص ٤١

ونقل عن بعض أهل التحقيق قوله :(ألزم الكل الحدث ، لأن القدم له ، فهو سبحانه لا يظله فوق ، ولا يقيه تحت ، ولا يقابله حد ، ولا يزاحمه عدّ ، ولا يأخذه خلق ، ولا يحده أمام ، ولا يظهره قبل ، ولا يغنيه بعد ، ولا يجمعه كل ولا يوجده كان ، ولا يفقده ليس ، باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم)(١)

ونقل عن الامام جعفر الصادق (٢) قوله :(من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، لأنه لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا والله يتعالى عن جميع ذلك)(٣)

وقال الامام الباقلاني في موضع آخر :(فان قال قائل : أين هو؟ قيل له : الاين سؤال عن المكان ، وليس هو ممن يجوز أن يحويه مكان ولا يحيط به أقطار غير انا نقول : انه على عرشه لا على معنى كون الجسم بالملاصقة والمجاورة تعالى عن ذلك علوا كبيرا)(٤)

والذي يظهر لي بعد هذا أن نفي الامام الباقلاني للجهة يحمل على نفي الجهة الوجودية بمعنى أن يكون الله تعالى في جهة محصورة تعالى الله عن ذلك ، والذي يؤكد لنا هذا اثباته لصفة الاستواء على معنى العلو - كما مر معنا - فلا يعقل بعد هذا أن يثبت العلو وينفي الجهة العدمية وهي ما فوق العالم .

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ٤٢

(٢) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله الملقب بالصادق، سادس الائمة الاثنى عشر عند الامامية وكان من أجلاء التابعين،ولد سنة ٨٠هـ ومات بالمدينة سنة ١٤٨ هـ انظر البداية والنهاية ١٠٨/١٠،والعبر للذهبي ١٦٠/١،والاعلام للزركلي ١٢٦/٢

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٤٢

(٤) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦٤

٢- صفة النــزول وما في معناه :-

لم أجد فيما بين يدي من مصنفات للامام الباقلاني كلاما على صفة النزول وما في معناه من الصفات الثابتة لله تعالى كالاتيان والمجيء الا أن هناك نقولا عنه تفيد بأنه يثبت صفة النزول والاتيان والمجيء ٠

فقد نقل عنه شيخ الاسلام ابن تيمية كلاما طويلا في اثباته لجميع الصفات الخبرية ، وبين ابن تيمية أنه ذكر ذلك في عامة كتبه كالابانة والتمهيد ، وكتاب الرد على من نسب الى الاشعري خلاف قوله ، وبين ابن تيمية أن الامام الباقلاني يثبت النزول والاتيان ونقل قوله في ذلك ونصه :(ونقول انه تعالى يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام والملائكة ، كما نطق بذلك القرآن ، وأنه ينزل الى سماء الدنيافيقول :((هل من سائل فيعطى أو مستغفر فيغفر له))٠٠٠٠٠ الحديث)(١)

وأورد الذهبي في كتاب العلو عن الباقلاني أنه :(قال في كتاب "الذب عن أبي الحسن الاشعري " كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله - اذا صح - من اثبات اليدين والوجه والعينين ونقول انه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا كما في الحديث ٠٠٠٠)(٢)

فاذا كان هذا قوله في النزول والاتيان والمجيء فانه موافق لمذهب السلف في ذلك ٠

فان السلف يثبتون لله تعالى صفة النزول صفة حقيقية على ما يليق بذاته تعالى من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، وكذلك يقولون في الاتيان والمجيء ، ودليلهم في اثبات الاتيان والمجيء من القرآن الكريم : قوله تعالى :((هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر))(٣)

وكذلك قوله تعالى :((وجاء ربك والملك صفا صفا))(٤)

أما اثبات صفة النزول فهي ثابتة في الاخبار المستفيضة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى خبر النزول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرين صحابيا ٠

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٤/٢-٣٥

(٢) العلو للعلي الغفار للذهبي ص ١٧٤

(٣) البقرة الاية ٢١٠

(٤) الفجر الاية ٢٢

ونص الحديث كما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يسألني فأعطيه ؟ ومن يستغفرني فأغفر له ؟)) (١)

وقد جمع الامام الدارقطني الروايات الخاصة بحديث النزول في كتاب خاص عن أكثر من عشرين من الصحابة (٢)

وشرح هذا الحديث وبين وجه الحق في اثباته ورد على المأولين له شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب خاص (٣)

لكن هذه الصفة الثابتة لله تعالى بهذا الحديث وغيره ، لم تسلم من معاول التأويل عند المعتزلة وكذلك عند متأخري الاشاعرة (٤) فقد أولوا النزول بنزول أمره ورحمته وقدرته .... الى آخر ما أولوه من هذه التأويلات الفاسدة .

قال ابن تيمية في الرد عليهم :(والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها ولا أحد من التابعين لهم باحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل وغيره

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٤٧/٢ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ٥٢١/١،وأبو داود في السنة باب في الرد على الجهمية ١٠١/٥-١٠٢ والترمذي في أبواب الصلاة باب ماجاء في نزول الرب عز وجل ٣٠٧/٢-٣٠٨ وعبد الله بن أحمد في السنة ٢٧٢/١،وابن أبي عاصم في السنة ٢١٧/١، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٣٥/٣

(٢) انظر كتاب النزول وكتاب الصفات للدارقطني طبع بتحقيق د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(٣) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية طبع بالمكتب الاسلامي في كتاب مستقل وهو مطبوع ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢١/٥

(٤) انظر هذه التأويلات في أساس التقديس للرازي ص ١٠١-١١٣،ومشكل الحديث لابن فورك ص ٧٦، ٨١-٨٤، ٢٥٠-٢٥٢

من أئمة السنة)(١)

وسأنقل بعض النصوص التي تفيد أن اثبات النزول لله تعالى بلا تأويل هو ما عليه السلف من هذه الامة .

فهذا الامام الاشعري يثبت الاستواء ويستدل عليه بحديث النزول (٢) وذكر مذهب السلف وأهل الحديث في ذلك في كتابه المقالات (٣)

ويقول الامام ابن خزيمة (ت٣١١هـ) :(نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الاخبار من ذكر نزول الرب ، من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل ...... فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول ، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية ، اذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول)(٤) ثم ساق أحاديث النزول .

وقال الآجري (ت٣٦٠هـ) :(باب الايمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة .....الى أن قال- الايمان بهذا واجب،و لا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل ؟ ولا يرد هذا الا المعتزلة ، أما أهل الحق فيقولون : الايمان به واجب بلا كيف ، لأن الاخبار قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة)(٥) ثم ساق روايات حديث النزول .

وقال ابن بطة (٦) (ت٣٨٧هـ) : (وأن الله تبارك وتعالى ينزل كل

---

(١) شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٦٢،وقد رد عليهم مفصلا الامام الدارمي في الرد على الجهمية ص ٣٨-٤٤،وفي رد الدارمي على المريسي ص ١٩-٢٠،وانظر مختصر الصواعق لابن القيم ٢٥٩/٢-٢٦١

(٢) انظر الابانة للاشعري ص ٨٨

(٣) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري تحقيق محي الدين عبد الحميد ٣٤٨/١

(٤) التوحيد لابن خزيمة ٢٨٩/١-٢٩٠

(٥) الشريعة للآجري ص ٣٠٦

(٦) هو الامام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة الفقيه الحنبلي،صاحب التصانيف الكثيرة ،وهو صاحب حديث روى عن البغوي وابن الباغندي وخلق كثير،من مصنفاته الابانة الكبيرة ،والابانة الصغيرة ،والسنن وغير ذلك،توفي سنة ٣٨٧ هـ

انظر البداية والنهاية ٣٤٣/١١،والعبر للذهبي ١٧١/٢،وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٤٤/٢-١٥٣

ليلة الى سماء الدنيا ، لا يقالّ لهذا كله كيف ولا لم بل تسليمها للقدرة وايمانا بالغيب كلما عجزت العقول عن معرفته فالعلم به وعين الهداية فيه والايمان به والتسليم له وتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله)(١)

فالسلف يثبتون صفة النزول لله تعالى وغيرها من الصفات ويقولون أن نزوله عز وجل لا يماثل نزول الخلق وكذلك مجيئه ، واتيانه ، كما أن استوائه لا يماثل استواء الخلق ، فان الله تعالى لا يماثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، يقول الامام أبو عثمان الصابوني (٢) (ت٤٤٩هـ) (ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله عز وجل: ((هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة))(٣) وقوله عز اسمه :((وجاء ربك والملك صفا صفا))(٤))(٥)

وقال في موضع آخر :(فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه ،وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقولون المشبهة والمعطلة علوا كبيرا)(٦)

من كل ما تقدم يتضح لنا أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله تعالى على الكيفية التي يشاء ، فيثبتون النزول والاتيان والمجيء كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ،ويقفون عند هذا فلا يكيفون ولا يمثلون ولا ينفون ولا يعطلون .

---

(١) الشرح والابانة لابن بطة ص ٢١٧-٢١٨

(٢) أبو عثمان الصابوني شيخ الاسلام اسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر،أحد الاعلام ،وكان شيخ خرسان في وقته وصاحب مصنفات كثيرة منها الفصول في الاصول،وعقيدة السلف أصحاب الحديث وغير ذلك،توفي سنة ٤٤٩ هـ انظر البداية والنهاية ٨١/١٢-٨٢،والعبر للذهبي٢٩٤/٢،وشذرات الذهب ٢٨٢/٣-٢٨٣

(٣) البقرة الاية ٢١٠ ، (٤) الفجر الاية ٢٢

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٢/١

(٦) المصدر السابق ١١٧/١

٣- رأي الامام الباقلاني في بقية صفات الفعل الخبرية :-

أثبت الامام الباقلاني باقي صفات الفعل الخبرية كالمحبة ، والبغض والرضى والغضب ، والموالاة والمعاداة ، والرحمة والسخط ....الخ

واستدل على اثبات هذه الصفات بالادلة الكثيرة من الكتاب والسنة

فاستدل على انه يوصف بالغضب :

بقوله تعالى :((ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه))(١)

وقوله تعالى :((والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين))(٢)

وغير ذلك من الايات .

واستدل على انه يوصف بالحب :

بقوله :((ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين))(٣)

وقوله تعالى:((ويحبهم ويحبونه))(٤) وقوله تعالى :((والله يحب المحسنين))(٥)

الى غير ذلك من الايات .

واستدل على انه يوصف بالموالاة :

بقوله تعالى:((والله ولي المؤمنين))(٦) وقوله تعالى:((انما وليكم الله ورسوله))(٧)

وقوله صلى الله عليه وسلم :((يقول الله تعالى : من آذى لي وليا ...... الحديث))(٨)

واستدل على انه يعادي :

بقوله تعالى :((فان الله عدو للكافرين))(٩) وقوله تعالى:((لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء))(١٠) وغير ذلك من الايات (١١)

---

(١) النساء الاية ٩٣

(٢) النور الاية ٩

(٣) البقرة الاية ٢٢٢

(٤) المائدة الاية ٥٤

(٥) آل عمران الاية ١٣٤،والمائدة الاية ٣٩

(٦) آل عمران الاية ٦٨

(٧) المائدة الاية ٥٥

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع ١٩٠/٧،بلفظ"من عادى لي وليا .. .... الحديث" ورواية "من آذى" عند الامام أحمد في المسند كما قال ابن حجر في الفتح ٤٣٢/١١

(٩) البقرة الاية ٩٨ ،(١٠) الممتحنة الاية ١، (١١)الانصاف للباقلاني ص ٣٩-٤٠

الا أن الامام الباقلاني وبعد أن أثبت هذه الصفات واستدل على اثباتها ، أعمل فيها التأويل حيث قال :(فان قيل : قد أثبتم أنه حي عالم قادر سميع بصير متكلم ، أفتقولون انه يغضب ويرضى ، ويحب ويبغض ويوالي ويعادي ، وأنه موصوف بذلك ؟ قيل لهم : أجل ومعنى وصفه بذلك أن غضبه على من غضب عليه ، ورضاه عمن رضي عنه ، وحبه لمن أحب وبغضه لمن أبغض ، وموالاته لمن والى ، وعداوته لمن عادى ، ان المراد بجميع ذلك ارادته اثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه ، وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه لا غير ذلك)(١)

وقال في موضع آخر :(فهل تقولون انه تعالى غضبان راض موصوف بذلك ، قيل له : أجل وغضبه على من غضب عليه ورضاه عمن رضي عنه هما ارادته لاثابة المرضي عنه وعقوبة المغضوب عليه لا غير ذلك)(٢)

واستدل على وجوب تأويل هذه الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم جواز ارادة المعاني الحقيقية لهذه الصفات بقوله : (ان الغضب والرضى ونحو ذلك لا يخلو اما أن يكون المراد به نفور الطبع وتغيره عند الغضب ورقته وميله وسكونه عند الرضا ، فلما لم يجز أن يكون الباري جلت قدرته ذا طبع يتغير ، وينفر ، ولا ذا طبع يسكن ويرق وأن هذه من صفات المخلوقين وهو يتعالى عن جميع ذلك ، ثبت أن المراد بغضبه ورضاه ورحمته وسخطه انما هو ارادته وقصده الى نفع من كان في معلومه أنه ينفعه ، وضرر من سبق في علمه وخبره أنه يضره لا غير ذلك)(٣)

والامامَ الباقلاني بهذا التأويل لهذه الصفات الفعلية يخالف السلف ويوافق متأخري الاشاعرة (٤)

والحقيقة ان هذه التأويلات التي أولها الباقلاني غير صحيحة لأنّ دليله عليها وشبهته فاسدة لاننا اذا أثبتنا هذه الصفات من الغضب والرضى والمحبة والبغض صفات له سبحانه وتعالى ، فاننا نثبتها على ما يليق بجلال الله وعظمته ، لأنّه سبحانه يتعالى عما يعتري البشر من انفعالات ، هي صفات نقص يجب أن ينزه الرب تبارك وتعالى عنها وفي بيان ذلك يقول الامام

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ٣٩

(٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٧

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٤٠-٤١،وانظر التمهيد له تحقيق مكارثي ص ٢٧-٢٨

(٤) انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ١٥٩-١٦٠،٢٥٩-٢٦٠، والاسماء والصفات للبيهقي ص ٥٠٢

الطحاوي : (والله يغضب ويرضى لاكأحد من الورى)(١)

ويعلق على هذا شارح الطحاوية بقوله : (ومذهب السلف وسائر الأئمة ، اثبات صفة الغضب،والرضى ، والعداوة ، والولاية ، والحب ، والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى)(٢)

ثم قال : (ونفي الشيخ رحمه الله : لاكأحد من الورى ، نفي التشبيه ، ولا يقال : ان الرضى ارادة الاحسان ، والغضب ارادة الانتقام فان هذا نفي للصفة)(٣)

اذا فقد أثبت السلف هذه الصفات على حقيقتها لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وكماله ، وقد استدل السلف على اثباتها بالكتاب والسنة وهي نفس الادلة السابقة التي استدل بها الامام الباقلاني ، فلا داعي لتكرارها ٠

وهذه الصفات (عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق ، فلا حجة للاشاعرة والمعتزلة على نفيها ولكنهم ظنوا أن اتصاف الله عز وجل بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو ما هي في المخلوق وهذا الظن الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم في حمأة النفي والتعطيل والاشاعرة يرجعون هذه الصفات كلها الى الارادة فالرضى عندهم ارادة الثواب والغضب والسخط ٠٠٠٠ الخ ارادة العقاب)(٤)

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية على من أوَّل هذه الصفات بقوله :
(ومنهم من جعل حبه ورحمته هي ارادته ونفى أن تكون له صفات هي الحب والرضى والرحمة والغضب غير الارادة ٠٠٠٠٠ فيقال لهذا القائل : لم أثبتَّ له ارادة وأنه مريد حقيقة ، ونفيت حقيقة الحب والرحمة ونحو ذلك ؟

فان قال : لأنَّ اثبات هذا تشبيه لأنَّ الرحمة رقة تلحق المخلوقات والرب ينزه عن مثل صفات المخلوقين ، قيل له : وكذلك يقول من ينازع في الارادة أن الارادة المعروفة ميل الانسان الى ما ينفعه وما يضره والله تعالى منزه عن أن يحتاج الى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو الغني على خلقه كلهم)(٥)

---

(١) متن العقيدة الطحاوية مع الشرح ص ٥٤١،

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤١

(٣) نفس المصدر ص ٥٤٢

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص ٦٠

(٥) شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ١٠

فان قال : الارادة التي نثبتها لله تعالى ويوصف الله بها مخالفة لارادة المخلوق ، والتي يوصف بها العبد ، وان كان كل منهما حقيقة، كما انه من المتفق عليه بين جميع الامة أنه حي عليم قادر، وليس هو مثل سائر الاحياء القادرين .

قيل له : فكذلك قل في باقي صفاته تعالى كالغضب والرضى والرحمة والمحبة التي نثبتها لله تعالى انها مخالفة لما يوصف به المخلوق من الغضب والرضى والمحبة والرحمة (١)

والحقيقة ان هذه الصفات كمحبته تعالى وبغضه ورضاه وسخطه ورحمته ..... الخ كلها من صفات الفعل الخبرية الاختيارية التي تتعلق بمشيئة الله واختياره ، فهو سبحانه يحب ويكره ، ويرضى ويغضب ، على ما تقتضيه الحكمة البالغة ، وعلى ما يليق بجلاله وكماله ، ولا يقتضي ذلك نقصا ولا تشبيها .

والذي يظهر لي أن نفي الامام الباقلاني لهذه الصفات الخبرية الاختيارية بناء على قوله بنفي قيام الافعال الاختيارية بذاته تعالى لأنه يلزم منها - على حد رأيه - قيام الحوادث بذاته تعالى وهو لا يجوز ذلك .

ويدل على هذا قول شارح الطحاوية حيث قال : (وهم قالوا : لا يتكلم اذا شاء ، ولا يضحك اذا شاء ، ولا يغضب اذا شاء ، ولا يرضى اذا شاء بل اما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الارادة ، أو يجعلوها صفات اخرى ، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته اذ لو تعلق بذلك ، لكان محلا للحوادث ، فنفى هؤلاء - أي الاشاعرة - الصفات الفعلية الذاتية بهذا الاصل ، كما نفى أولئك - أي المعتزلة - الصفات مطلقا بقولهم ليس محلا للحوادث)(٢)

من هنا يتبين أن تأويل الامام الباقلاني لهذه الصفات كغيره من الاشاعرة بناء على قولهم بهذا الاصل وهو منع قيام الحوادث بذاته تعالى وقد سبق توضيح ذلك والرد عليه وبيان المنهج السليم وهو الذي ارتضاه سلف هذه الامة - عليهم رضوان الله تعالى - والذي به يتم اثبات كل صفة الكمال لله تعالى بحيث لا ننفي عنه ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ١٠،وشرح العقيدة الطحاوية . ص٥٤٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٤_٥٤٥

المبحث الثالث

ردود على مفتريات :ـ

ردود علـــى مفتريـــــات :-

سبق أن قلنا أن أول طبعة ظهرت لكتاب التمهيد للامام الباقلاني بتحقيق الاستاذين محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريده .

وقد طعن الاستاذين في شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم واتهماهما بالكذب والتزوير والتحيز وطعنا فيهما بأنهما ينقلان ويثبتان كلاما غير موجود في مصنفات العلماء لنصرة مذهبهما الذي هو مذهب السلف .

وقد مر معنا في هذا الفصل كلام ابن تيمية ونقله الامين الصادق واحتجاجه في اثبات الصفات الخبرية بكلام الامام الباقلاني (١)

وكذلك احتجاج الامام ابن القيم بكلام الباقلاني (٢)

الا أن محققي التمهيد أنكرا هذا الكلام ، وطعنا في الشيخين الفاضلين ، ورموهما بالكذب والتزوير لأنهما لم يجدا هذا الكلام للباقلاني في كتاب التمهيد في النسخة التي اعتمدا عليها عندالتحقيق ، ولم يقف الامر عند ذلك بل قالا : (ولو صدقنا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في نقلهما عن التمهيد للزمنا أن نقرر أن ما بين يدينا من نص التمهيد غير كامل ، ولكننا لا نستطيع عند ملاحظة التعارض البين بين مذهب الباقلاني ومعنى ما ينسبه اليه هذان المؤلفان المعروفان بالتحيز ، الا الشك في صحة نقلهما ، وقد كتب الينا مولانا العلامة الحجة الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل مشيخة الاسلام في الخلافة العثمانية بهذا الشأن ما يلي "لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم الى كتاب التمهيد في كتاب التمهيد هذا ولا أدري ما اذا كان ابن القيم عزا اليه ما ليس فيه زورا ليخادع المسلمين في نحلته أم ظن بكتاب آخر انه كتاب التمهيد للباقلاني" ثم قالا: ونحن نثق على كل حال بنسخة التمهيد التي بين يدينا ثقة أقوى من ثقتنا بنقل ابن تيمية وابن القيم)(٣)

ولم يقف الامر عند هذا بل ان الاستاذين أكدا أن اثبات الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين والاستواء والنزول ... الخ ليست من مذهب الامام الباقلاني فقالا : (ويفهم من كلامهما - أي ابن تيمية وابن القيم - أنه - أي الباقلاني - أثبت هذه الصفات ، صفات مميزة زائدة على الذات ،

---

(١) انظر العقيدة الحموية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٦٢/١ ٤٦٣ ،ودرء تعارض العقل والنقل له ٢٠٦/٦-٢٠٧ ،وبيان تلبيس الجهمية له ٤٣٤/٢-٤٣٥

(٢) انظر اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ١٩١-١٩٣

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق أبو ريدة والخضيري ص ٢٦٥

ونسبا أيضا الى الباقلاني القول بأن الله ينزل الى سماء الدنيا على نحو ما يتأوله الحشوية ومن جاراهم من أمثال ابن تيمية الحراني وابن القيم)(١)

قلت : وهذا الكلام ليس فيه افتراء على ابن تيمية وابن القيم فحسب بل هو افتراء أيضا على الامام الباقلاني .

ومن قدحهما أيضا في شيخ الاسلام ابن تيمية أنه قدم لاحتجاجه بكلام الباقلاني بالثناء عليه على خلاف عادته حيث وصفه (بأنه أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيه مثله لا قبله ولا بعده)(٢)

ومن السهل تفنيد هذه المزاعم والافتراءات :-

أولا : سبق أن قلنا عند الحديث عن مصنفات الامام الباقلاني بأن أول طبعة ظهرت لهذا الكتاب بتحقيق الاستاذين أبو ريده والخضيري وطبع سنة ١٩٤٧ م ، وقلنا بأن هذه الطبعة جاءت ناقصة ، لأن المحققين قد طبعا كتاب التمهيد معتمدين في تحقيقه على نسخة واحدة قديمة في المكتبة الأهلية في باريس ، مع أنهما كانا يعرفان أن للكتاب نسختين موجودتين في تركيا واعتذرا عن عدم الرجوع اليها لصعوبة الحصول عليها أيام اعداد الكتاب(٣)

لكن الله سبحانه وتعالى أراد اظهار الحق ودفع اتهام هذين المحققين وغيرهما عن الامام الباقلاني وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

فقد طبع كتاب التمهيد طبعة أخرى بتحقيق الاب رتشرد يوسف مكارثي وكانت أفضل من الطبعة الاولى بكثير فقد اعتمد في تحقيقها على ثلاث نسخ :-

١- نسخة مكتبة أيا صوفية تحت رقم (٢٢٠١) ذكرها الاستاذ هلموت ريتر وتاريخ كتابتها يرجع الى عام (٤٧٨)هـ

٢- نسخة مكتبة مصطفى عاطف تحت رقم (١٢٢٣) وعدد أوراقها (٢٤٧) وتاريخ كتابتها عام (٥٥٥هـ)

٣- نسخة باريس التي اعتمد عليها أبو ريدة والخضيري ، ويرجح أن تاريخ كتابتها يرجع الى عام (٤٧٢هـ) وعدد أوراقها نحو التسعين ورقة قال مكارثي في مقدمة التحقيق :(كلا من المخطوطين التركيين يتضمنان عدة أبواب متتابعة لا وجود لها في المخطوط الباريسي)(٤)

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق أبو ريدة والخضيري ص ٢٦٦

(٢) العقيدة الحموية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٤٦١/١ وانظر التمهيد بتحقيق أبو ريدة والخضيري ص ٢٦٥

(٣) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق أبو ريدة والخضيري المقدمة ص ٢٩

(٤) مقدمة التحقيق لكتاب التمهيد تحقيق مكارثي ص ٢٠

وأخرج مكارثي الطبعة الجديدة للكتاب سنة ١٩٥٧م وأثبت كلام الباقلاني في الصفات الخبرية والذي سقط من النسخة الباريسية التي اعتمد عليها الخضيري وأبو ريدة .

وهذا الكلام الذي أثبته مكارثي في الطبعة الجديدة هو نص كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ونص كلام ابن القيم الذي نقلاه عن التمهيد للباقلاني حرف بحرف ، وهذا يدفع الاتهام عن ابن تيمية وابن القيم ويبرئهما من تهمة التزوير التي رماهما بها محققا التمهيد متابعة منهما للكوثري الذي أظهر غيظه وحقده على علماء المسلمين وخاصة علماء السلف .

فنقول للاستاذين الفاضلين كان الاحرى بكما قبل الطعن في الائمة والعلماء الذين وصل علمهم الى كل الدنيا شرقا وغربا ، وشهد بفضلهم وعلمهم العرب والعجم ، أن تعرفا أصول التحقيق العلمي والنشر ، وأن تعطوه حقه بالاعتماد على أكثر من نسخة وهذا عمل المحقق والناشر الامين .

ثم ان من الانصاف اذا وجد نقل ثقة ما - فكيف باثنين كابن تيمية وابن القيم - يخالف أصلا يعثر عليه ، أن يحال ذلك الى اختلاف النسخ .

ثانيا : أما قول الكوثري "لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم الى كتاب التمهيد في كتاب التمهيد ..... " الخ

نقول : فهل أحاط علم الكوثري في القرن الرابع عشر بجميع نسخ التمهيد شرقا وغربا في عشرة قرون ، حتى يجزم فيقول : لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم في كتاب التمهيد ، ليقوم بعد ذلك بطعن ورمي الامام ابن القيم بالتزوير والخداع ، وكان الاجدر به والاحرى أن يقول لا أعرف ، أو لم أطلع على ذلك كما هو الشأن في عبارات المنصفين من العلماء والمحققين (١)

---

(١) انظر رسالة الامام الباقلاني وكتابه التمهيد للشيخ محمد عبد الرزاق حمزه مطبوعة ضمن طليعة التنكيل ص ١١٨-١٣٣

الفصل الثامن

رأي الامام الباقلاني في رؤية الله عز وجل يوم القيامة في ضوء عقيدة السلف

وفيه مباحث :-

المبحث الاول :-
رأي الامام الباقلاني في رؤية الله تعالى في الآخرة وأدلته على ذلك .

المبحث الثاني :-
نقض الامام الباقلاني لأدلة المعتزلة على استحالة الرؤية في الآخرة .

تمهيـــــد : -

اختلف المتكلمون في جواز رؤية الله تعالى في الآخرة وسنعـــرض فيما يلي لهذا الخلاف قبل أن نتحدث عن مذهب الباقلاني في هذه المسألة .

١- المعتزلة : ذهب المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من الخوارج والامامية وغيرهم الى انكار رؤية الله تعالى ونفيها ، واستحالة ذلـــك عندهـــم (١)

قال أبو الحسن الاشعري : (أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالابصار ، واختلفت : هل يرى بالقلوب ؟ فقال أبو الهذيل وأكثـــر المعتزلة : نرى ربنا بقلوبنا بمعنى انا نعلمه بقلوبنا ، وأنكر هشـــام الغوطي (٢) وعباد بن سليمان (٣) ذلك)(٤)

٢- الاشاعرة : أما الاشاعرة فالمتقدمون منهم كالامام الاشعري والباقلاني فهم على مذهب السلف في اثبات رؤية الله تعالى بالابصار ، وأما المتأخرون كامام الحرمين والغزالي والآمدي فقد أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة فتناقضوا وآل مذهبهم الى مذهب المعتزلة .

٣- مذهب السلف أهل السنة والجماعة : ذهب السلف الى أن رؤيـــة الله تعالى جائزة ، وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة .

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص١٧٧ ،وشرح الطحاوية ص١٦٣ ،وشرح الاصول الخمسة ص٢٣٢ وما بعدها

(٢) هشام بن عمرو الغوطي نسبة الى الغوط جمع فوطة وهي ضرب من الثيـــاب وهو شيباني من أهل البصرة ،من شيوخ المعتزلة واليه تنسب الفرقة الهشامية من المعتزلة ،من أقواله المنكرة تحريمه أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وأنكر أن يكون الله هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين وغير ذلك من الاقوال المنكرة الضالة

انظر الفرق بين الفرق ص ١١٧-١٢١ ،وخبيئة الاكوان لصديق خان ص١٨ ،واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٣٨ ،والمنية والامل لابن المرتضى ص ١٥٩

(٣) عباد بن سليمان العمري من المعتزلة ،قال عنه ابن المرتضى في الطبقة السابعة :"عباد بن سليمان له كتب معروفة ،وبلغ مبلغا عظيما وكان من أصحاب هشام الغوطي ،وله كتاب يسمى الابواب نقضه أبو هاشم" وقال ابن النديم فـــي الفهرست :انه دار بين عباد بن سليمان وبين ابن كلاب مناظرات

انظر المنية والامل للمرتضى ص ١٦٩ ،والفهرست لابن النديم ص ٢٥٥

(٤) مقالات الاسلاميين للاشعري ٢٣٨/١

ومن المعلوم أن السلف آمنوا بالايات والاحاديث الواردة في ذلك دون الخوض في كيفيتها ، مع تنزيهه عز وجل عن صفات الحوادث .

فقد أثبت السلف رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بالابصار عيانا كما ثبت ذلك بالايات والسنة المتواترة ، وهو الذي اتفق عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة الاسلام أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة بالابصار عيانـــا (١)

وفي ذلك يقول الامام ابن القيم في قصيدته النونية :

ويرونـــه سبحانه مـــن فوقهـــم ×××× نظر العيان كمـــا يرى القمران(٢)

قال الدكتور هراس في شرح هذا البيت:(والمؤمنون في الجنة يرون ربهم سبحانه من فوقهم رؤية حقيقية بأبصارهم كما يرى الشمس والقمر صحوا ليس دونهما سحاب ولا ضباب ، وقد تواتر النقل بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلـــم) (٣)

وقد عقد لها ابن أبي عاصم (٤) في كتاب السنة بابا في رؤيـــة الرب عيانا (٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦) وابن خزيمة في التوحيد (٧)

قال شيخ الاسلام الصابوني :(ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يـرون ربهم - تبارك وتعالى - يوم القيامة بأبصارهم وينظرون اليه على ما وردبه الخبر الصحيح) (٨)

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٤٨/١

(٢) القصيدة النونية الكافية الشافية لابن القيم ص ٢٣٩

(٣) شرح القصيدة النونية د/ هراس ٣٧٤/٢

(٤) هو الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ قاضي أصبهان وصاحب المصنفات منها كتاب السنة في أحاديث الصفات على طريق السلف،وغير ذلك،وقد كان حافظا فقيها صالحا ورعا توفـــي سنة ٢٨٧ هـ .

انظر البداية والنهاية ٩٠/١١ ، والعبر للذهبي ٤١٣/١

(٥) انظر السنة لابن أبي عاصم ٢٠١/١

(٦) انظر شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٤٥٤/٣

(٧) انظر التوحيد لابن خزيمة ٤٠٦/١

(٨) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٢/١ وانظر قطف الثمر لصديق خان ص ١٣٩

ومن المعلوم أن السلف يثبتون رؤية الله تعالى مع اثبات الجهة لأنّ من المعقول في بداهة العقول أن المرئي القائم بنفسه لا يكون الا في جهة من الرائي ، وقد شبه صلى الله عليه وسلم رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر ، ومعلوم أن الشمس والقمر من أعظم المرئيات ظهورا في الدنيا والناس يرونهم فوقهم بجهة منهم ، ورؤية ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه ممتنعة في بداهه العقول ، وهذا مما اتفق عليه عامة العقلاء من السلف والأئمة وجماهير أهل العلم (١)

وأرى ان طريق السلف هو الطريق السليم الذي يجب الالتزام به من اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة دون الخوض وراء ذلك في كيفية الرؤية وشرائطها .... الخ

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٥٩/١

المبحث الاول

رأي الامام الباقلاني في رؤية الله تعالى في الآخرة وأدلته على ذلك ٠

رأي الامام الباقلاني في رؤية الله تعالى في الآخرة وأدلته على ذلك :

هناك خلاف بين متقدمي الاشاعرة ومتأخريهم في اثبات الرؤية وكيفيتها ، فقد أثبت الاشعري وغيره من متقدمي الاشاعرة رؤية الله تعالى بالابصار ، وأفرد الاشعري الباب الثالث من الابانة للرؤية بعنوان :(الكلام على اثبات رؤية الله تعالى بالابصار) (١)

واستدل بعد ذكر الايات الواردة في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم :((ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته))(٢)

وقال في وجه استدلاله بهذا الحديث (والرؤية اذا اطلقت اطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها الا رؤية العيان)(٣)

وأثبت اجماع السلف على ذلك فقال : (وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى .....)(٤)

وقال في اللمع :(والدليل على أن الله تعالى يرى بالابصار قوله تعالى : ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))(٥))(٦)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أن النظر اذا قرن بالوجه ، لم يكن معناه الا نظر الوجه ، والنظر بالوجه هو نظر الرؤية التي تكون بالعين التي في الوجه ، فيكون معنى قوله تعالى : ((الى ربها ناظرة)) أي رائية وهو نظر رؤية العين التي في الوجه (٧)

وكذلك الامام الباقلاني فقد أثبت أيضا رؤية الله تعالى بالابصار وعقد لذلك بابا من كتاب التمهيد قال فيه :(باب الكلام في جواز رؤية

---

(١) الابانة للاشعري ص ٣١

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر ١/١٣٨-١٣٩،ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الصبح والعصر ١/٤٣٩،وأبي داود في كتاب السنة باب في الرؤية ٥/٩٧-٩٨،والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ٤/٥٩٣،وأحمد في المسند ٤/٣٦٠،من حديث جرير بن عبد الله بنحوه .

(٣) الابانة للاشعري ص ٤٠

(٤) رسالة أهل الثغر للاشعري ص ٧٦

(٥) القيامة الاية ٢٣

(٦) اللمع للاشعري ص ٦٣

(٧) انظر نفس المصدر ص ٦٤

الله تعالى بالابصار) (١)

واستدل على اثبات ذلك بالادلة النقلية والعقلية ، وسيأتي بيان أدلته تفصيلا .

أما متأخرو الاشاعرة : فقد أرادوا أن يجمعوا بين الاعتقاد برؤية الله تعالى وبين تنزيهه تعالى عن الجسمية والجهة فوقعوا في التناقض فأثبتوا الرؤية ونفوا الجهة ، فقالوا يرى لا في جهة (٢)

قال ابن رشد في هذا :(أما الاشاعرة فراموا الجمع بين الاعتقادين أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس فعسر ذلك عليهم ، ولجئوا في ذلك الى حجج سوفسطائية موهمة .... والاقاويل التي سلكها الاشعرية في هذه المسألة منها أقاويل في دفع دليل المعتزلة ، ومنها أقاويل لهم في اثبات جواز رؤية ما ليس بجسم وأنه ليس يعرض من فرضها محال ، فأما ما عاندوا به قول المعتزلة أن كل مرئي فهو في جهة من الرائي فمنهم من قال ان هذا انما هو حكم الشاهد لا حكم الغائب ، وان هذا الموضع ليس هو من المواضع التي يجب فيها نقل حكم الشاهد الى الغائب ، وأنه جائز أن يرى الانسان ما ليس في جهة اذا كان جائزا أن يرى الانسان بالقوة المبصرة دون العين .

وهؤلاء اختلط عليهم ادراك العقل مع البصر ، فان العقل هو الذي يدرك ما ليس في جهة ، أعني في مكان ، وأما ادراك البصر فظاهر من أمره أن شرطه أن يكون المرئي منه في جهة) (٣)

وقد علق الامام ابن تيمية على كلام ابن رشد السابق بقوله :(وانما المقصود انه - أي ابن رشد - مع كونه في الباطن يرى رأي الفلاسفة والمعتزلة في الرؤية وأنها مزيد علم ما ، يرى نحوا منه طائفة من متأخري الاشعرية فقد علم أنه لا يمكن اثبات الرؤية التي أخبر بها الشارع مع نفي ما يقولون انه الجسم بل اثباتها مستلزم لما يقولون انه الجسم والجهة ، فقد تبين أنه من جمع بين هذين فانه مكابر للمعقول والمحسوس)(٤)

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦٦

(٢) انظر غاية المرام للآمدي ص ١٦٨،والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤١ وشرح رمضان افندي على شرح العقائد النسفيةص١٧٤،والنشر الطيب للوزاني ٤٠٧/٢-٤٠٨

(٣) الكشف عن مناهج الادلة لابن رشد ص ١٠٢-١٠٣

(٤) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٦٦/١

أقول : ان الاشاعرة الذين أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة قد حاروا في تفسير هذه الرؤية :

فامام الحرمين قد حاول الابتعاد بالرؤية عن معناها الحقيقي الى ما يقرب من معنى العلم (١)

ويظهر هذا بصورة أوضح في تفسير الغزالي لرؤية الله تعالى بأنها نوع علم ، وادراك بالقلب (٢)

وعند الآمدي أن الرؤية نوع من الادراك (والادراك عبارة عن كمال يحصل به مزيد كشف على ما يخيل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر)(٣)

ويقول في موضع آخر :(فالعقل يجوز أن يخلق الله تعالى في الحاسة المبصرة ، بل وفي غيرها زيادة كشف بذاته وبصفاته على ما حصل منه بالعلم القائم في النفس ، من غير أن يوجب حدوثا ولا نقصا ، وذلك هو الذي سماه أهل الحق ادراكا) (٤)

وعند الشهرستاني أن الرؤية ادراك وهو نوع من العلم (٥)

وعند بعضهم أن رؤية الله تعالى بمعنى الانكشاف التام بالبصر وهو معنى اثبات الشيء كما هو ، ومعنى الانكشاف هو الرؤية (٦)

فدعواهم أن الرؤية التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم مزيد علم لا تصح ، لأن من سمع الاحاديث الواردة في ذلك علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم انما أخبر عن رؤية المعاينة ، وفي لفظ البخاري ((يرونه عيانا)) ومن المعلوم أن الانسان يرى الشمس والقمر عيانا في مواجهته ، فيجب أن نراه كذلك ، وأما رؤية ما لا نعاين ولا نواجه فهذه رؤية غير متصورة في العقل ، من أجل هذا فقد صار حذاق الاشاعرة الى انكار الرؤية وقالوا : قولنا هو قول المعتزلة في الباطن ، فانهم فسروا الرؤية

---

(١) انظر العقيدة النظامية ص ٣٩

(٢) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤٢

(٣) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ١٦٦

(٤) نفس المصدر ص ١٦٧

(٥) انظر نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٣٥٨

(٦) انظر شرح رمضان أفندي على شرح العقائد النسفية ص ١٦٣

بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا تنازع فيه المعتزلة (١)

وأيضا فان أدلة العقول الصريحة تجوز رؤية ما يكون في جهة مقابلا للرائي ، ولا داعي لسلوكهم هذه المسالك الضعيفة التي ذكروها في تفسير الرؤية وكيفيتها ، فان تلك المسالك انما ضعفت لأن أصحابها أثبتوا رؤية ما ليس في جهة ولا هو متحيز ولا حال في المتحيز ، فاحتاجوا من أجل ذلك أن يحذفوا الشروط التي لا تتم الرؤية الا بها ، لاعتقادهم امتناع تلك الشروط في حق الله تعالى (٢)

وفي الرد عليهم يقول شارح الطحاوية : (وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه ، والا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ؟ ومن قال : يرى لا في جهة ، فليراجع عقله فإما أن يكون مكابرا لعقله أو في عقله شيء ، والا فاذا قال : يرى لا امام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة)(٣)

والحقيقة أن اثبات الاشاعرة للرؤية ونفي لازمها وهو الجهة انما هو نفي للرؤية نفسها ، لأن نفي اللازم نفي للملزوم ٠

أدلة الامام الباقلاني على اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة :-

يرى الامام الباقلاني (أن رؤية الله تعالى جائزة من جهة العقل وأنها واجبة للمؤمنين في الآخرة من طريق الشرع)(٤)

ومن المعلوم أن مدار الكلام في رؤية الله تعالى على الادلة السمعية ، الا أن الامام الباقلاني استدل على جوازها بأدلة عقلية وهذا موافق لما عليه علماء السلف ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :(وكلام السلف والأئمة كثير في مسألة الرؤية ، وتقرير وجودها بالسمع وتقرير جوازها بالعقل وتقرير أن نفي جوازها مستلزم للتعطيل)(٥)

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٦٧/١،ومجموع فتاوى ابن تيمية ٨٥/١٦

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٦٧/١

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ١٧٢

(٤) الانصاف للباقلاني ص ١٧٦

(٥) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٥٧/١

لذا فاننا سنتحدث أولاً عن أدلة الامام الباقلاني النقلية على وجوب رؤية الله تعالى في الآخرة ، ونتحدث بعدها عن أدلته العقلية على جوازها عقلا .

الادلة النقلية :-

استدل الامام الباقلاني على وجوب رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة بأدلة نقلية كثيرة من الكتاب والسنة والاجماع ، نذكر منها ما يلي :-

١- قوله تعالى : ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))(١)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أن المراد بالنظر : النظر بالابصار لأنّ النظر في كلام العرب يحتمل وجوها حسب استعمالاته بحسب صلاته وتعديته بنفسه ، فمنها نظر الانتظار كقوله تعالى:((انظرونا نقتبس من نوركم))(٢) ان عدي بنفسه ، ومنها نظر التفكر والاعتبار كقوله تعالى:((أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض))(٣) ان عدي بغي ، ومنها نظر الرحمة والتعطف كقوله تعالى :((ولا ينظر اليهم يوم القيامة)) (٤) ، ومنها نظر الابصار كقوله تعالى :((انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه)) (٥) اذا عدي النظر بالى (فاذا قرن النظر بذكر الوجه ، وعدي بحرف الجر ، ولم يضف الوجه الى قبيلة وعشيرة ، كان الوجه هو الجارحة التي توصف بالنضارة التي تختص بالوجه الذي فيه العينان فمعناه رؤية الابصار) (٦)

كما في قوله تعالى :((وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه))(٧) أي انظره بعينك ، واذا لم يرد بالنظر نظر الابصار لا يعدى بالى ولا يقرن بالوجه كما في قوله تعالى:((فناظره بما يرجع المرسلون)) (٨) ، وقوله تعالى:؟((ما ينظرون الا صيحة واحدة)) (٩) لانه أراد بذلك الانتظار دون نظر الابصار (١٠)

قال الامام الاشعري :(ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر

---

(١) القيامة الاية ٢٣

(٢) الحديد الاية ١٣

(٣) الاعراف الاية ١٨٥

(٤) آل عمران الاية ٧٧ ، (٥) الانعام الاية ٩٩

(٦) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٧٤

(٧) البقرة الاية ٢٥٩ ، (٨) النحل الاية ٣٥ ، (٩) يس الاية ٤٩

(١٠) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٧٤ ، ٢٦٧

العينين اللتين في الوجه كما قال تعالى : ((قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها))(١) فذكر الوجه ، وانما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة)(٢)

وعلى أي حال فان هذا الاستدلال الذي استدل به الامام الباقلاني موافق لكلام الائمة والسلف وجمهور العلماء والمفسرين (٣)

قال الامام الشوكاني : (((وجوه يومئذ ناضرة)) أي ناعمة غضة حسنة ..... والمفسرون يقولون مضيئة مشرقة مسفرة ((الى ربها ناظرة)) هذا من النظر أي ناظرة الى خالقها ومالك أمرها ناظرة أي تنظر اليه هكذا قال جمهور أهل العلم والمراد به ماتواترت به الاحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر) (٤)

ويقول ابن كثير :(وهذا - أي اثبات الرؤية - بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام) (٥)

ومما يرجح أن المقصود بالاية نظر العينين التي في الوجه لا نظر الانتظار أنه لا يصح حمل النظر في الاية على انتظار أمر ربها أو ثوابه ، لانه من المعلوم أن الانتظار معه تنغيص وتنكيد ، وهذا لا يكون في الجنة ، لان أهل الجنة لهم في الجنة السعادة الحقيقية والراحة التامة والعيش السليم والنعيم المقيم وعلى هذا فلا يجوز أن يكونوا منتظرين (٦) لان الانتظار يتضمن المشقة والهم والغم ، فهذه الاية من أقوى الادلة على اثبات رؤية الله تعالى ووقوعها ، وهي تدل دلالة صريحة على أن وجوه المؤمنين الحسنة المشرقة في الجنة تنظر الى ربها تبارك وتعالى نظرا حقيقيا بأعين رؤوسها لايلحقها في هذه الرؤية شك ولا ريب .

---

(١) البقرة الاية ١٤٤ ، (٢) الابانة للاشعري ص ٣٣

(٣) انظر كتاب التصديق بالنظر الى الله تعالى في الاخرة للاجري ص٥٠-٥٤، والابانة للاشعري ص٣١-٣٤، واللمع له ص٦٣-٦٤، وشرح الطحاوية ص١٦٤-١٦٥، والاعتقاد للبيهقي ص ٥٨-٦٠، وغاية المرام للآمدي ص١٧٤-١٧٦، وحادي الارواح لابن القيم ص٢٧٦-٢٧٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/١٠٧-١٠٩، وروح المعاني للالوسي ٢٩/١٨٢-١٨٣ وتفسير الرازي ٣٠/٢٢٧-٢٢٨، وتفسير الخازن ٧/١٨٥

(٤) فتح القدير للشوكاني ٥/٣٣٨ ، (٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٥٠

(٦) انظر الابانة للاشعري ص ٣٢

وقد أورد الامام الباقلاني بعض الاعتراضات التي أوردها الخصوم على استدلاله بهذه الاية وأجاب عليها :- من هذه الاعتراضات :

أولا : قالوا اذا صح ما قلتم من أن النظر اذا قرن بذكر الوجه وعدي بالى فانه بمعنى نظر العين فما معنى قول جميل بن المعمر:-

اني اليك لما وعدت لناظر xxxx نظر الذليل الى العزيز القاهر

أجابهم الباقلاني : بأن معناه نظر العين المقرون بالذل والانكسار لأنه نظر اليه ببصره متنجزا لوعده نظر الذليل الى العزيز القاهر .

ثانيا : قالوا : ان الله تعالى انما أراد بقوله :((الى ربها ناظرة))أي أنها الوجنان ربها وأفعاله ، وعظيم ما أعده لهم ناظره ، فالاية لا تدل على رؤية الله تعالى .

رد عليهم الامام الباقلاني بأن هذا التأويل يجعل الاية مجازا ولا يصرف اللفظ من الحقيقة الى المجاز الى بحجة أي بدليل ، ولا دليل هنا .

فان قالت المعتزلة : الدليل على المجاز احالة العقول لرؤيته تعالى ، أجابهم الباقلاني : بأن العقول عندنا تجيز رؤيته ، بناء على أن كل موجود يصح أن يرى (١)

٢- واستدل الامام الباقلاني على وجوب رؤية الله تعالى في الآخرة بقوله تعالى في سورة يونس : ((للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)) (٢)

ووجه استدلال الباقلاني بهذه الاية أنه قد ثبت أن الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى ، حيث ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد فسر الزيادة في الاية بقوله : ((الزيادة النظر الى وجه الله الكريم))(٣)

وذكر الباقلاني أن تفسير الزيادة بالنظر الى وجه الله تعالى

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٧٥-٢٧٦

(٢) يونس الاية ٢٦

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ١/٤٥٠-٤٥١ ، وابن أبي عاصم في السنة باب في الزيادة بعد ذكر الحسنى ١/٢٠٦ ، قال الالباني في تخريجه لكتاب السنة حديث موقوف صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ويشهد له الحديث المرفوع ١/٢٠٦ ، وسيأتي تخريجه في الحديث الآتي

قد روي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

ونقل الامام الباقلاني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن الزيادة في الاية فقال : هي النظر الى وجه الله تعالى بلا كيف (٢)

قال أهل العلم من المفسرين ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم ، وبهذا فسر الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم (٣)

قال الامام البيهقي : (وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المبين عن الله عز وجل ، فمن بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة أن الزيادة في هذه الاية هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وانتشر عنه وعنهم اثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة بالابصار) (٤)

وقال الالوسي :(((الحسنى)) أي المنزلة الحسنى وهي الجنة ((وزيادة)) وهي النظر الى وجه ربهم الكريم جل جلاله وهو التفسير المأثور

---

(١) روي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية ((للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)) قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار،نادى مناد "يا أهل الجنة ان لكم عند الله تعالى موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا : ما هو ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الله عنهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما شيء أعطوه أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة" أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الاخرة ربهم ١٦٣/١ والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى٥٩٣/٤ وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٧/١،وابن أبي عاصم في السنة ٢٠٥/١-٢٠٦، كلهم من حديث صهيب بألفاظ متقاربة

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ٤٧-٤٨،ص ١٨٠

(٣) انظر التوحيد لابن خزيمة ٤٤٧/١-٤٥٢،وكتاب التصديق بالنظر الى الله تعالى للاجري ص ٥٦-٥٨،والابانة للاشعري ص ٣٧،والاعتقاد للبيهقي ص ٦١-٦٢ والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٣٣٠/٨،وتفسير الخازن١٨٥/٣-١٨٦،وتفسير الرازي ٨٠/١٧-٨٢،وحادي الارواح لابن القيم ص ٢٧٠-٢٧٢،وشرح العقيدةالطحاوية ص ١٦٥-١٦٦

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص ٦١

عن أبي بكر ، وعلي ، وابن عباس ، وحذيفة ، وابن مسعود ، وأبي موسى الاشعري ، وخلق آخرين) (١)

وبهذا قال جمهور المفسرين من أهل العلم (٢)

٣- كما استدل ايضا بقوله تعالى :((تحيتهم يوم يلقونه سلام))(٣)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أن اللقاء اذا قرن بالتحية لا يقتضي الا الرؤية (٤)

قال الامام الاشعري في قوله تعالى :(((تحيتهم يوم يلقونه سلام)) واذا لقيه المؤمنون رأوه) (٥)

وقال الامام البيهقي في الاستدلال بهذه الاية :(واللقاء اذا اطلق على الحي السليم لم يكن الا رؤية العين ، وأهل هذه التحية لا آفة بهم)(٦)

واللقاء قد فسره جماعة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة ، وقالوا : ان لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى،واحتجوا بآيات اللقاء (٧)

كما أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب الى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية (٨) وهذا يقع للمؤمنين في الجنة أمام بارئهم .

٤- كما استدل الامام الباقلاني على ثبوت الرؤية بقوله تعالى: ((كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجبون))(٩)

ووجه استدلاله بهذه الاية أن الحجب يكون للكفار عن رؤيته تعالى ، وهو عذاب لهم ، فدل هذا على أن المؤمنين غير محجوبين ، ولا يعذبون بعذاب الحجاب (١٠)

---

(١) روح المعاني للالوسي ١٠٢/١١

(٢) انظر تفسير النسفي ١٦٠/٢-١٦١،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٤/٢ وفتح القدير للشوكاني ٤٣٨/٥ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٢٩٧/٢

(٣) الاحزاب الاية ٤٤

(٤) انظر الانصاف للباقلاني ص ٤٧

(٥) الابانة للاشعري ص ٣٧

(٦) الاعتقاد للبيهقي ص٦١

(٧) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٦٢/٦

(٨) انظر حادي الارواح لابن القيم ص ٢٦٩،وشرح القصيدة النونية للهراس ٣٧٦/٢

(٩) المطففين الاية ١٥

(١٠) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٠-١٨١

قال المفسرون : في الاية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم و الا لا يكون للتخصيص فائدة (١)

وقال الامام ابن القيم في استدلاله بهذه الاية :(انه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنين ولم يسمعوا كلامه ، كانوا أيضا محجوبين عنه)(٢)

وقد روي عن الامام الشافعي انه قال : ان في الاية دليلا على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة (٣)

فحجب الكفار عن رؤيته تعالى دليل على رؤية المؤمنين ربهم لأنه تعالى لا يحجب عنه المؤمنين .

* وأما من السنة فقد استدل الامام الباقلاني ببعض الاحاديث الواردة في ذلك منها :-

١- قوله صلى الله عليه وسلم :((ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته)) (٤)

ووجه استدلاله بهذا الحديث وبيان معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية ، لا المرئي بالمرئي ، وأن الرائي المعاين للقمر ليلة البدر لا يشك في أن الذي يراه قمر ، فكذلك الناظر اليه سبحانه وتعالى في الجنة لا يشك أن الذي يراه هو الله سبحانه وتعالى ، بلا تكييف ولا تشبيه ، ولا تحديد (٥)

٢- كما استدل أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه :((اللهم اني أسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا

---

(١) انظر تفسير النسفي ٣٤٠/٤،والخازن ٢٢١/٧،والجامع لاحكام القرآن ٢٦١/١٩ وروح المعاني للالوسي ٩٣/٣٠،وفتح القدير للشوكاني ٤٠٠/٥

(٢) حادي الارواح لابن القيم ص ٢٧٢

(٣) انظر حادي الارواح ص ٢٧٢،وشرح الطحاوية ص ١٦٦

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى((وجوه يومئذ ناضرة)) ١٧٩/٨،بلفظ ((انكم سترون ربكم عيانا)) ، وابن خزيمة في التوحيد ٤١٣/١ بسند البخاري ولفظه ،وابن أبي عاصم في السنة ٢٠١/١،بنحوه من حديث جرير بن عبد الله ،قال الالباني في تخريجه لكتاب السنة حديث صحيح،رجاله ثقات رجال مسلم ٢٠١/١

(٥) انظر الانصاف للباقلاني ص ٤٨

فتنة مظلة)) (١)

ووجه استدلاله بهذا الحديث أنَّ هذا فيه تصريح من الرسول صلى الله عليه وسلم في جواز الرؤية ، وأنها غير مستحيلة لأنه صلى الله عليه وسلم لا يسأل في أمر مستحيل ، ولو كانت غير جائزة أو مستحيلة لما سألها صلى الله عليه وسلم ، فلما سألها دل ذلك على جوازها (٢)

وهناك احاديث كثيرة لم يذكرها الامام الباقلاني تدل على وجوب رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة نذكر منها :-

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أن ناسا قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : فانكم ترونه كذلك ..... الحديث)) (٣)

وعن جرير بن عبد الله قال ، كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة فقال : ((أما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل

---

(١) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء حديث رقم (١٤٢٣) ١٤٦٥/٣-١٤٦٦ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الكبير والاوسط ورجالهما ثقات ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١٨٦/١ ، قال الشيخ الالباني في تخريجه لكتاب السنة اسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ١٨٦/١ ، من حديث فضالة بن عبيد بنحوه

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨١

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٢٠٥/٧،وفي كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة ١٧٩/٨،وأخرجه مسلم في كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١-١٦٤،والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ٥٩٦/٤،وأبو داود في كتاب السنة باب في الرؤية ٩٨/٥-٩٩،وأحمد في المسند ٢٧٥/٢،٢٩٣،والسنة لعبد الله بن أحمد ٢٣٤/١-٢٣٥ وابن أبي عاصم في السنة ١٩٤/١-١٩٥،من حديث أبي هريرة

طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا))(١)

والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا أكثرها في الصحيحين ،قال الامام ابن القيم :(أما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة)(٢)

وقد عد ابن القيم ما يزيد على خمسة وعشرين صحابيا ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث الرؤية (٣)

وكلها تفيد ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة من اثبات رؤية الله تبارك وتعالى ، ودلالة هذه الاحاديث على الرؤية دلالة صريحة متفق عليها بين علماء أهل السنة ، كما اتفق على صحتها جميع المحدثين .

* كما استدل الامام الباقلاني على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بالاجماع فقال :(ويدل على صحة جواز الرؤية اجماع الصحابة على جوازها في الجملة وانما اختلفوا هل عجلها لنبيه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أم لا ؟ على قولين ،ولو لم يقع الاتفاق منهم على جوازها لما صح هذا الاختلاف ، فلما وقع هذا الاختلاف فقال بعضهم : عجل ذلك له في الدنيا قبل الآخرة ، وقال البعض : لم يرد دليل على الجواز في الجملة ، والا كان يقول لمن قال انها لم تعجل : فكيف تجوز الرؤية وهي مستحيلة عليه ، فلما لم يقل ذلك أحد منهم دل على اجماعهم على جوازها)(٤)

وعلى هذا فانه لا خلاف بين الصحابة في رؤية الله تعالى في الجنة وأن المؤمنين يرونه على ما ورد في الاخبار واجماعهم على ذلك قائم ، ولم يقع خلاف بينهم الا في رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج وهل رآه صلى الله عليه وسلم بقلبه أم بعيني رأسه ؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب فضل صلاة العصر ١٣٨/١-١٣٩،وفي كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة ١٧٩/٨،ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الصبح والعصر ٤٣٩/١،والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ٥٩٣/٤،وأبو داود في كتاب السنة باب في الرؤية ٩٧/٥-٩٨ وأحمد في المسند ٣٦٠/٤-٣٦٢،وابن ماجة في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية ٦٣/١، من حديث جرير بن عبد الله

(٢) حادي الارواح لابن القيم ص ٢٧٧

(٣) نفس المصدر ص ٢٧٧

(٤) الانصاف للباقلاني ص ١٨١

أدلة الامام الباقلاني العقلية على جواز رؤية الله تعالى:-

الدليل الاول: أن الله تعالى موجود ، والشيء انما يصح أن يرى من حيث كونه موجودا ، لأن الاشياء لا ترى لجنسها ، لأنه لو كان كذلك لامتنع أن نرى الاجناس المختلفة ، ولا ترى لحدوثها ، اذ قد نرى الشيء في حال لا يصح أن يحدث فيها ، ولا ترى لحدوث معنى فيها ، اذ قد ترى الاعراض التي لا تحدث فيها المعاني (١)

وملخص قوله أن الشيء الموجود يصح أن يرى لوجوده ،و اللهتعالى موجود فلا مانع من رؤيته ٠

وهذا الدليل سبقه اليه شيخه أبو الحسن الاشعري حيث أورد هـذا الدليل بقوله :(ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالابصار ، أنه ليس موجود الا وجائز أن يريناه الله عز وجل ، وانما لا يجوز أن يرى المعدوم ، فلما كان الله عز وجل موجودا مثبتا كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل)(٢)

ويقرر الامام ابن تيمية هذا الدليل ، ولكن يسلك فيه طريق آخر غير طريق الاشعري والباقلاني ، فلم يجعل المصحح للرؤية الوجود المجرد لانه يلزم عليه لوازم فاسدة لا تصلح أن تكون مصححة للرؤية ، وقد جعل المصحح لها أمور وجودية كالفارق بين ما يمكن رؤيته وما لا يمكن رؤيته ، لأن كل موجود تصح رؤيته ، لأنها أمر وجودي محض لا يسيطر فيه أمر عدمي (٣)

الدليل الثاني : وقد قرره الامام الباقلاني بقوله :(ويدل على ذلك من جهة العقل ...... أيضا انه تعالى يرى جميع المرئيات وقد قال تعالى ((ألم يعلم بأن الله يرى))(٤) وقال : ((الذي يراك)) (٥) وكل راء يجوز أن يرى)(٦)

وهذا الدليل أيضا سبقه اليه الامام الاشعري وقرره بقوله :(ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالابصار أن الله عز وجل يرى الاشياء ، واذا كان للاشياء رائيا فلا يرى الاشياء من لا يرى نفسه ، واذا كان لنفسه رائيا فجائز أن يرينا نفسه)(٧)

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٦٦ ،والانصاف له ص ٤٧،١٨١

(٢) الابانة للاشعري ص٤٢ ،وانظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤١ ،ولمع الادلة للجويني ص ١١٥

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٥٧/١

(٤) العلق الاية ١٤ ، (٥) الشعراء الاية ٢١٨

(٦) الانصاف للباقلاني ص ١٨١ ، (٧) الابانة للاشعري ص ٤٢-٤٣

الدليل الثالث : وهو دليل عقلي مبني على دليل نقلي وعبر عنه بقوله : (والدليل على جوازها من حيث العقل : سؤال موسى عليه السلام حيث قال :((رب أرني أنظر اليك)) (١) ويستحيل أن يسأل نبي من أنبياء الله تعالى مع جلالة قدره وعلو مكانه ما لا يجوز عليه سبحانه ولولا أنه اعتقد جوازها لما سألها ، ولأنه تعالى علقها باستقرار الجبل واستقرار الجبل جائز)(٢)

وقد استدل بهذا الدليل العقلي جمهور الاشاعرة (٣)

الا أن هذا الدليل لم يسلم من نقد ، فقد وجه اليه المعتزلة اعتراضاتهم الكثيرة ، وتصدى لها الامام الباقلاني وفندها حتى يسلم استدلاله وسيأتي مذهبهم في انكار الرؤية وأدلتهم تفصيلا ونقض الباقلاني لها ·

ويمكن تلخيص هذه الاعتراضات والاجوبة عليها فيما يلي :-

الاعتراض الاول : قالت المعتزلة أن موسى عليه السلام لم يرد من قوله ((رب أرني أنظر اليك)) الرؤية التي تقولون بها ، وانما أراد عرفني نفسك اضطرارا أو أرني آية من آيات الساعة ·

لكن الامام الباقلاني أنكر هذا ورد عليه من وجوه :-

- الاول : أن هذا غير جائز في اللغة ، لأنه لا يجوز أن يقول القائل لمن يعرفه ويسمع كلامه ولا يشك فيه ((أرني أنظر اليك)) وهو يريد بهذا عرفني نفسك أو أرني فعلا من أفعالك ، هذا غير مستعمل في اللغة ·

- والثاني : أن النظر اذا اطلق فليس معناه الا رؤية العين ، وان أريد به العلم فبدليل ·

- والثالث : أن النظر في الاية معدى بقوله ((اليك)) والنظر المعدى بالى لا يجوز في كلام العرب أن يراد به الا نظر العين فبطل ما قالوا (٤)

الاعتراض الثاني : قالت المعتزلة ان موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها قومه ، وسألوه أن يسألها لهم ·

والجواب عن هذا كما يقرره الامام الباقلاني أن موسى عليه السلام لو كان يعتقد استحالة جواز الرؤية ، لأنكر على قومه ذلك أشد الانكار ولم

---

(١) الاعراف الاية ١٤٣

(٢) الانصاف للباقلاني ص ٤٧

(٣) انظر الارشاد للجويني ص ١٨٣،ونهاية الاقدام للشهرستاني ص ٣٦٧،وغاية المرام للآمدي ص ١٧١-١٧٢ ·

(٤) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ٢٧٢-٢٧٣ ·

يسألها لهم لانه لا يسأل ما جهلهم به كما فعل لما قالوا له : ((يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون)) (١)

ولم يسأل ربه أن يجعل لهم الها ، لانه عليه السلام علم استحالة ذلك عليه سبحانه وتعالى (٢)

وأجاب بجواب آخر على قولهم أن موسى عليه السلام سألها لقومه (ان هذا عدول عن الظاهر الى غيره بغير دليل ، لانه قال ((أرني أنظر اليك))(٣) فلا يحمل أرني أنظر على قومي ينظرون اليك فبطل ما قالوه)(٤)

الاعتراض الثالث : قالوا : اذا كانت الاية تدل على جواز الرؤية على رأيكم فما معنى قوله تعالى بعد ذلك ((لن تراني)) (٥) ألا يدل ذلك على استحالة الرؤية ؟

رد عليهم الامام الباقلاني بأن المراد من قوله تعالى : ((لن تراني)) نفي الرؤية عند السؤال لا استحالة الرؤية ، ولو أراد استحالة الرؤية لقال : لن يجوز أن تراني ، وقد لا يوجد الشيء مع ذلك لا يدل على استحالته .

كما لو أن أحدا سأل نبي زمانه أن يسأل ربه أن يرزقه ولدا فسأل ، فأوحى الله تعالى ، لن يرزق هذا السائل ولدا ، فان هذا لا يدل على أنه لا يجوز أن يوجد الولد في حق هذا السائل ويستحيل ؟ بل هو جائز وان منع من وجوده عقب السؤال .

وأيضا فان حرف " لن" لا يقتضي عدم جواز الرؤية في الدنيا والآخرة حتى ولو قرن بأبد ، يدل على ذلك أنه تعالى قال في حق اليهود ((ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم)) (٦) يعني الموت ، وهذا لا يقتضي أن لا يتمنوه أبد في الدنيا والآخرة ، لأن الله تعالى أخبر أنهم يتمنون الموت في النار بقوله :((ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك))(٧) يعنون الموت فاذا كان حرف "لن" مع اقترانه بأبد لا يقتضي نفي ذلك في الدنيا والآخرة ، فكيف به اذا لم يقرن به أبدا (٨)

---

(١) الاعراف الاية ١٣٨ ، (٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٧٨

(٣) الاعراف الاية ١٤٣ ، (٤) الانصاف للباقلاني ص ١٧٨

(٥) الاعراف الاية ١٤٣

(٦) آل عمران الاية ٩٥

(٧) الزخرف الاية ٧٧

(٨) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٧٨-١٧٩

وأيضا فان الله تعالى قد علق الرؤية على أمر جائز وهو استقرار الجبل ، ولو كانت الرؤية مستحيلة لما علقها على أمر جائز ويجوز أن يوجد وهو استقرار الجبل ، فلما كان استقرار الجبل من الجائز ، دل على أن الرؤية جائـــزة (١)

الاعتراض الرابع : قالت المعتزلة اذا كانت الرؤية جائزة ، فما معنى قول موسى عليه السلام ((اني تبت اليك))(٢) أليست التوبة تكون من الخطأ ؟

أجابهم الامام الباقلاني بقوله : (ان موسى عليه السلام لما راى من عظيم الاية من جعل الجبل دكا ، وصعوقه ، قال على جاري العادة من القول عند الفزع ((تبت اليك)) وان لم يكن سؤاله مستحيلا ، وهذا كما أن الواحد منا اذا سمع صوت الرعد العظيم أو رأى الظلمة العظيمة أو أمرا هائلا فزع عند ذلك الى التوبة والاستغفار ، وان لم يكن منه قبل ذلك معصية أو سؤال مستحيل)(٣)

ويحتمل أيضا أن موسى عليه السلام قال ذلك للشدة التي أصابتـــه عند سؤال الرؤية ، وان كانت الرؤية جائزة .

ويحتمل أن يكون قال ((تبت اليك)) من أن أسأل مثل هذا الامر العظيم الجليل قبل الاستئذان فيه ، حتى يؤذن لي فيه .

ويحتمل أيضا أن موسى عليه السلام كانت ارادته وهمته تعجيـــل الرؤية له في الدنيا قبل الآخرة ، وكان مراد الله تعالى تأخير الرؤيـــة له الى الآخرة ، فكأنه قال تبت اليك عن مرادي الى مرادك ، وهذا صحيح لأن التوبة معناها الرجوع (٤)

وقد استدل بهذه الاية الكريمة جمهور العلماء والمفسرين (٥) وذكروا معظم هذه الوجوه الدالة على مذهب أهل السنة والجماعة والتي استدل بها الامام الباقلاني .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٧٩

(٢) الاعراف الاية ١٤٣

(٣) الانصاف للباقلاني ص ١٧٩-١٨٠

(٤) انظر نفس المصدر ص ١٨٠-١٨١

(٥) انظر روح المعاني للالوسي ٩/٤٦-٤٩، وتفسير الفخر الرازي ١٤/٢٣٨-٢٣٩

وقد ساق شارح الطحاوية أوجه الاستدلال بهذه الاية من سبعة أوجه لا تخرج عن كلام الامام الباقلاني وهـــي :ـ

- الاول : أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم ، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه ، بل هو عندهم من أعظم المحال .

الثاني : أن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله ، ولما سأل نـــوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال : ((اني أعظك أن تكون من الجاهلين))(١)

الثالث : أنه تعالى قال: ((لن تراني)) ولم يقل اني لا أرى أو لا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر ، وهذا يدل على انه سبحانه مرئي ، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعـــف قوى البشر عن رؤيته تعالى .

- الرابع : أن الله تعالى قال له :((ولكن انظر الى الجبـــل فان استقر مكانه فسوف تراني))(٢) فأعلم الله تعالى موسى عليه الســلام أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار ، فكيف بالبشـــر الضعيـــف .

الخامس : أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا،وذلك ممكن وقد علق به الرؤية ، والمعلق على الممكن ممكن .

السادس : قوله تعالى : ((فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا))(٣) فاذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد ، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسولـــه وأوليائه في دار كرامته ؟ ولكن الله تعالى أراد أن يعلم موسى أن الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف .

- السابع : أن الله تعالى كلم موسى وناداه وناجاه ، ومن جـاز عليه التكليم والتكلم وأن يسمع مخاطبه كلامه من غير واسطة ، فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم انكار رؤيته الا بانكار كلامه (٤)

وهذه الوجوه بعينها سبقه اليها الامام ابن القيم عند استدلالـــه بهذه الاية على اثبات الرؤية (٥)

---

(١) هود الاية ٤٦

(٢) الاعراف الاية ١٤٣

(٣) الاعراف الاية ١٤٣

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ـ١٦٨

(٥) انظر حادي الارواح لابن القيم ص ٢٦٧ـ٢٦٨

أما ما ذكره الزمخشري (١) في الكشاف من أن موسى عليه السلام ما طلب الرؤية الا ليبكت قومه ويلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم ذلك حين قالوا له لا نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وأعلمهم الخطأ في ذلك ، وأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك (٢)

فهذا غير صحيح لأن موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى ، وهم طلبوا الرؤية بعد علمهم بالخبر الصادق بانها لا تقع في الدنيا فكان طلبهم بخلاف الخبر لأن الله تعالى أخبر أنها لا تقع فكان سؤالهم تكذيبا للخبر ، من أجل ذلك سفههم موسى عليه السلام وتبرء من طلب ما أخبر الله انه لا يقع (٣)

---

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري،جار الله ، أبو القاسم ، من أئمة العلم بالتفسير واللغة والاداب ، ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ وسافر الى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله ثم عاد الى جرجانية وتوفي بها سنة ٥٣٨ هـ من مصنفاته الكشاف في تفسير القرآن ، وأساس البلاغة ،والفائق في غريب الحديث وغيرذلك ، وكان معتزلي المذهب ، مجاهرا ، شديد الانكار على المتصوفة

انظر لسان الميزان ٤/٦ ، والاعلام للزركلي ١٨٧/٧

(٢) انظر الكشاف للزمخشري ٨٩/٢

(٣) انظر الانتصاف على الكشاف لأحمد بن المنير الاسكندري ٨٩/٢

المبحث الثاني

نقض الامام الباقلاني لأدلة المعتزلة على استحالة الرؤية في الآخرة

نقض الباقلاني لأدلة المعتزلة على استحالة الرؤية في الآخرة :-

لقد أنكر المعتزلة رؤية الله تعالى في الآخرة ، وبناء على مذهبهم هذا فقد أولوا كل ما ورد في الكتاب والسنة من اثبات الرؤية للمؤمنين في الآخرة بما يناسب دعواهم هذه كقولهم في قوله تعالى :((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))(١) أن كلمة "ناظرة" تعني الانتظار ، لانظر الرؤية (٢)

وأما الاحاديث الواردة في هذا فقالوا بأنها أخبار آحاد ، وطعنوا في صحتها ، والذي دعاهم الى نفي الرؤية أنهم قاسوا الغائب على الشاهد فقالوا الرؤية بحاسة البصر في الشاهد لا يمكن أن تتحقق الا بشروط كأن يكون المرئي مقابلا للرائي في مكان ، أي مقابلا للعين في جهة ، وكذلك أن تكون المسافة بين الرائي والمرئي متناسبة بحيث لا تكون بعيدة كل البعد ولاقريبة كل القرب ، وأن يتصل شعاع من الباصرة بالمرئي ·

وبناء على هذا قالوا ان هذه الشرائط المتعلقة بالرؤية يستحيل تحققها بالنسبة لذات الله تعالى ، لأنها تقتضي أن يكون المرئي في جهة وهذا يستدعي الاحتياج والحدوث · (٣)

وقد علل ابن رشد قولهم هذا وبين سبب التزامهم به فقال :(والمعتزلة لما اعتقدوا انتفاء الجسمية عنه سبحانه واعتقدوا وجوب التصريح بها لجميع المكلفين ووجب عندهم ان انتفت الجسمية أن تنتفي الجهة ، واذا انتفت الجهة انتفت الرؤية ، اذ كل مرئي في جهة من الرائي ، فاضطروا لهذا المعنى لرد الشرع المنقول ، واعتلوا للاحاديث بأنها اخبار آحاد ، واخبار الآحاد لا توجب العلم) (٤)

وهذا الذي ذكره المعتزلة وأهل الكلام في مسألة الرؤية من نفي الجهة والمقابلة بين الرائي والمرئي ، واتصال شعاع ، وقرب وبعد ومايتصل بهذا ، فليس في ذلك كله نص من الشارع ، ولم يتفوه به أحد من سلف الامة وأئمتها وانما أحدثها المتكلمون المتخبطون في براهين الفلاسفة (٥)

---

(١) القيامة الاية ٢٢ ، (٢) انظر الابانة للاشعري ص ٣٣

(٣) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٢٤٨-٢٤٩ ،ونهاية الاقدام للشهرستاني ص ٣٦٠-٣٦١ والارشاد للجويني ص ١٦٨-١٦٩ ،وغاية المرام للامدي ص ١٦٧-١٦٨ ،وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٤٩/١ ، وشرح رمضان افندي على شرح العقائد النسفية ص١٧٣ والنشر الطيب للوزاني ٢/٤٠٧-٤٠٨

(٤) الكشف عن مناهج الادلة لابن رشد ص١٠٢ ، (٥) انظر قطف الثمر لصديق خان ص١٤٠

و للمعتزلة أدلة سمعية وأدلة عقلية على مذهبهم في الرؤية ، وقد نقضها الباقلاني جميعا ونعرض من جهوده في ذلك ما يلي :-

أولا :- نقض الباقلاني لأدلتهم السمعية :

تمسك المعتزلة في مذهبهم بنفي الرؤية بآيات قرآنية زعموا أنها تؤيد مذهبهم منها :

١- قوله تعالى : ((لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير))(١)

قالوا : ان الله تمدح بعدم ادراك الابصار له ، فكيف يجوز أن تزول عنه مدحته ....؟ (٢)

أجابهم الامام الباقلاني بأن التمدح انما وقع بقوله عز وجل: ((وهو يدرك الابصار)) ولم يتمدح باستحالة ادراكه بالابصار ، لأن كون الشيء لا يدرك بالابصار لا يدل على مدحه ، فعندكم أن الطعوم والروائح وأكثر الاعراض لا تدرك بالابصار ومع ذلك ليست بممدوحة لأنها لا تدركها الابصار(٣) وبهذا قال معظم المفسرين (٤)

فان قالت المعتزلة : ان الله تعالى قد تمدح بمجموع الامرين أي بأنه يدرك الابصار وأن الابصار لا تدركه .

رد عليهم الامام الباقلاني بأن هذا لا يصح (لأن للوصفين الذين يمتدح بهما لا بد أن يكون في كل واحد منهما مدح بمجرده نحو قوله تعالى : ((عزيز حكيم)) (٥) و((عليم قدير)) (٦) فكل واحد من الوصفين مدح في نفسه ، تجرد أو انضم الى غيره) (٧)

وقد بين الامام الباقلاني عدة معاني لهذه الاية التي احتجت بها المعتزلة ، من هذه المعاني :-

---

(١) الانعام الاية ١٠٣

(٢) انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٣٥-٢٤٠

(٣) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٢

(٤) انظر تفسير النسفي ٢٧/٢،وتفسير الفخر للرازي ١٣٣/١٣،وتفسير القرطبي ٥٤/٧

(٥) البقرة الاية ٢٠٩

(٦) النحل الاية ٧٠

(٧) الانصاف للباقلاني ص ١٨٢-١٨٣

أولا : أن الله تعالى قال : ((لا تدركه الابصار)) ولم يقل لا تراه الابصار ، والادراك بمعنى يزيد على الرؤية ، لأنّ الادراك . الاحاطة بالشيء من جميع الجهات ، فجاز أن يرى وان لم يدرك وهذا كما قال تعالى في قصة فرعون ((حتى اذا أدركه الغرق))(١) يعني أحاط به من جميع جوانبه فالادراك معنى يزيد على الرؤية ، ولكي نستطيع الجمع بين قوله تعالى: ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))(٢). وبين قوله تعالى:((لا تدركه الابصار))(٣) فنقول مرئي ولا يدرك (٤)

ثانيا : أو يكون معنى الاية لا تدركه الابصار في الدنيا ، وان جاز أن تدركه في الآخرة (٥)

ثالثا: أو أن يكون معنى الاية (لا تدركه الابصار ، يعني أبصار الكافرين دون المؤمنين يجمع بين قوله تعالى :((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))(٦) وبين قوله تعالى :((كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجبون))(٧) ..... لأنّ الحجاب لما كان للكفار دون المؤمنين كذلك الرؤية للمؤمنين دون الكفار) (٨)

رابعا : ويجوز أن يحمل قوله تعالى :((لا تدركه الابصار)) على معنى أنها لا تدركه في حيز ولا تدركه جسما ولا صورة ، ولا حالا في شيء وهو يدرك الابصار على جميع هذه الصفات (٩)

وهذه المعاني التي ذكرها الامام الباقلاني لهذه الاية لا تخرج عما ذكره معظم المفسرين لهذه الاية (١٠)

---

(١) يونس الاية ٩٠

(٢) القيامة الاية ٢٣

(٣) الانعام الاية ١٠٣

(٤) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٣-١٨٤

(٥) نفس المصدر ص ١٨٤

(٦) القيامة الاية ٢٣

(٧) المطففين الاية ١٥

(٨) الانصاف للباقلاني ص ١٨٤

(٩) انظر نفس المصدر ص ١٨٤

(١٠) انظر تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ١٢/١٣-٢٣، وتفسير الفخر للرازي ١٣/١٣١-١٣٩، وروح المعاني للآلوسي ٧/٢٤٤-٢٤٨

٢- كما احتج المعتزلة على مذهبهم في انكار رؤية الله تعالى بقوله تعالى :((يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة))(١)

فقالوا : ان الله سبحانه وتعالى أكبر سؤال قوم موسى أن يروا الله ، وأنكر عليهم هذا السؤال ، وهذا يدل على استحالة الرؤية (٢)

أجابهم الباقلاني بقوله :(لا حجة لكم في ذلك لأنّ الله تعالى ما أكبر ذلك لكونه مستحيلا ، وانما أنكره لأنهم سألوه على وجه التعنت)(٣)

فانكار الله تعالى سؤالهم ليس لكون الرؤية مستحيلة ، وانما لأنّ سؤالهم كان على سبيل التعنت والتعجيز والعناد لموسى عليه السلام ، كما سألت قريش محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر الله تعالى عنهم حين قالوا : ((لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)) (٤)

وكل ذلك جائز غير مستحيل لكن أنكره الله عليهم لأنهم طلبوا ذلك على وجه التعنت والتكذيب ، وكذلك أنكر سؤال قوم موسى عليه السلام لرؤية الله لأنهم طلبوه أيضا على وجه التعنت والتكذيب لا لكونها مستحيلة (٥)

٣- ومن الادلة السمعية التي تمسك بها المعتزلة على نفي الرؤية ما روي عن عائشة رضي الله عنها لما قال لها ابن الزبير وهو ابن اختها يا أماه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : يا ابن اختي لقد وقف شعر بدني والله تعالى يقول :((وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)) (٦)(٧)

---

(١) النساء الاية ١٥٣

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٥،وشرح الاصول الخمسة ص ٢٦٢

(٣) الانصاف للباقلاني ص ١٨٥ ، (٤) الاسراء الايات ٩٠-٩٣

(٥) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٥ ، (٦) الشورى الاية ٥١

(٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب في تفسير سورة النجم ٥٠/٦ ،ومسلم في كتاب الايمان باب معنى قول الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى ١٥٩/١-١٦٠ وأحمد في المسند ٤٩/٦-٥٠، من حديث عائشة بنحوه

قالوا : موضع الدليل من الخبر أنها أكبرت ذلك ونفت الرؤية عنه تعالى ، وهذا يدل على انها مستحيلة في حقه تعالى (١)

وقد أجابهم الامام الباقلاني على هذا من عدة أوجه :-

الاول : ان الخلاف قد وقع بين الصحابة في الرسول صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة الاسراء بعيني رأسه أم بقلبه ، ولو كان ذلك مستحيلا لم يقع الخلاف فيه بين الصحابة رضي الله عنهم كما لم يقع خلاف بينهم فيما هو مستحيل على الله تعالى من الولد والشريك ونحو ذلك ، فلما وقع الخلاف بينهم على ذلك وانقرض عصرهم على ذلك دل على أن الرؤية جائزة وغير مستحيلة (٢)

الثاني: (ان عائشة رضي الله عنها انما خالفت فيما راى به محمد ربه ، فعندها أنه رآه بالقلب دون العين ، وعند غيرها من الصحابة رآه بالقلب والعين معا ، فقد وقع الاجماع منهم على جواز الرؤية عليه تعالى ، وانما اختلفوا فيما به رآه لا أصل جواز الرؤية عليه)(٣)

الثالث : ان عائشة رضي الله عنها انما أنكرت رؤية الباري عز وجل بأبصار العيون في دار الدنيا ، ولم تنكر الرؤية على الاطلاق ، ولهذا روي عنها وعن أبيها وعن جمع من الصحابة أنهم فسروا قوله تعالى:((للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)) (٤) انهم قالوا : الزيادة النظر الى الله تعالى في الجنة كما روي هذا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥)

ثانيا :نقض الباقلاني لادلة المعتزلة العقلية في انكارهم للرؤية :-

لقد تمسك المعتزلة في انكارهم لرؤية الله تعالى بجانب أدلتهم السمعية التي أجاب عنها الامام الباقلاني بأدلة عقلية ، وقد نقض أيضا الامام الباقلاني هذه الادلة العقلية . نذكر بعض هذه الادلة :-

١- قالت المعتزلة : لو جاز عليه سبحانه وتعالى الرؤية بالابصار لوجب أن يكون جسما أو جوهرا أو عرضا أو محدودا أو حالا في مكان أو مقابلا

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٥-١٨٦

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٦، وشرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٦٧-٢٦٨

(٣) الانصاف للباقلاني ص ١٨٦

(٤) يونس الاية ٢٦

(٥) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٧

أو يكون من جنس المرئيات لأننا لم نعقل مرئيا بالبصر الا كذلك ، فاذا استحال عليه جميع هذه الوجوه بطل أن يكون مرئيا (١)

الا أن الامام الباقلاني يرى أن :(هذه الحجة الباطلة تؤدي الى ابطال الربوبية أصلا ورأسا أو تؤدي الى ايجاب كون ربنا تعالى يشبه المخلوقات لأن من أنكر الصانع القديم يقول لنا : لو كان صانع لوجب أن يكون جسما أو جوهرا أو عرضا أو ذا علة وطبع وآلة وغير ذلك لأنا لم نعقل صانعا الا على هذه الاوصاف ، وأنتم تنفون عنه جميع هذه الاوصاف ، فبطل أن يكون ثم صانع)(٢)

وكذلك فان هذه الحجة تستلزم نفي العلم والحياة عنه سبحانه وتعالى لأن العالم والحي ، لا يعقل الا جسما أو جوهرا أو عرضا أو ذا علة أو فكر وغير ذلك ، وقد وقع الاجماع منا ومنكم على أنه سبحانه وتعالى عالم وأنه حي ، وأنه موجود ، ولما لم يكن كونه حيا عالما موجودا يستلزم أن يكون جسما ولا جوهرا ولا عرضا ولا محدودا ولا حالا في مكان ٠٠٠٠٠الخ فكذلك لا يستحيل أن يكون مرئيا وليس ذا جسم ولا جوهر ولا عرض (٣)

وقد وضع الامام الباقلاني بهذا خصومه بين أمرين لا ثالث لهما :- اما أن يتمسكوا بشبهتهم واعتراضهم فيلزمهم القول بمحالات كثيرة في حق الله تعالى ، أو يتركوا مذهبهم في انكار الرؤية ، ويلزمهم القول بأنه لا يكون حيا عالما قادرا الا اذا كان جسما وهم يرفضون كونه جسما ، واذا رفضوا هذه الالزامات محافظة على مبدئهم في التنزيه سقط دليلهم في انكار الرؤية ٠

٢- واحتجت المعتزلة من العقل أيضا بأنه لو كان تعالى مرئيا ، أو تجوز عليه الرؤية لرأيناه الساعة ، لأن الموانع من الرؤية يستحيل وصفه بها فلا يوصف بالدقة والرقة والحجاب والبعد وغير ذلك من موانع الرؤية فلو جاز أن يرى لرأيناه الساعة لانعدام هذه الموانع في حقه تعالى ٠

وقد عبر عن هذه الشبهة القاضي عبد الجبار المعتزلي بقوله : (والقديم تعالى ، لو جاز أن يرى في حال من الاحوال لوجب أن نراه الآن ، ومعلوم انا لا نراه الآن ٠٠٠٠٠٠ والقديم سبحانه وتعالى حاصل على الصفة التي لو رئي لمارئي الا لكونه عليها ، والموانع المعقولة مرتفعة ، فيجب

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٧،وشرح الاصول الخمسة ص ٢٧٦

(٢) الانصاف للباقلاني ص ١٨٧-١٨٨

(٣) انظر نفس المصدر ص ١٨٨

أن نراه الآن ، فمتى لم نره دل على استحالة كونه مرئيا)(١)

يجيب الامام الباقلاني على هذه الشبهة بأن ما ذكرتم من الموانع لا يمنع من الرؤية (لأنّ الملائكة فيهم من الدقة واللطافة ما ليس في غيرهم وبعضهم يرى بعضا ، والميت يراهم عند النزع ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه السلام فبطل أن تكون الدقة والرقة واللطافة مانعة من الرؤية ، وكذلك البعد لا يمنع الرؤية ، لأنّ السماء أبعد الاشياء منا والكواكب فيها ..... ونحن نراها ، ولم يمنع بعدها من رؤيتها وكذلك الحجاب لا يمنع من الرؤية لأنّ الله تعالى يرى ما تحت التحت ودونه ألف ألف حجاب عن الخلق ..... فبطل أن يكون جميع ما ذكرتم هو المانع من الرؤية)(٢)

واذا لم تكن هذه الامور هي المانعة من الرؤية ، فما المانع من رؤيته تعالى الان ؟؟

يقول الامام الباقلاني :(ان المانع هو ما خلقه في أبصارنا من قلة الادراك لبعض المرئيات دون بعض ، فاذا خلق فينا ادراكا رأينا مرئيا لم نكن نراه من قبل ، ألا ترى أن الواحد منا لا يرى اليوم ملك الموت اذا نزل بأخيه وأبيه ويراه اذا نزل به ، وليس ذلك الا لانه لم يخلق الله في بصره ادراكا له عند موت غيره ، وخلق في بصره ادراكا له عند موته .

وكذلك الفرس والهر وكثير من الحيوان يرون الصورة والشخص في ظلام الليل وسواده ، ونحن لا نرى ذلك ، وما ذلك الا لأنّ الله تعالى خلق في بصرها ادراكا حتى رأت ، ولم يخلق في أبصارنا ادراكا حتى نرى ، فكذلك لم يخلق في أبصارنا ادراكا له في الدنيا حتى نراه ، ويخلق لنا ان شاء الله تعالى في جنته ادراكا حتى نراه ، كما وعدنا ووعده الحق)(٣)

وهنا يقول المعتزلة : اذا كان الامر كذلك ، فجوزوا أن يخلق الله لكم ادراكا ترون به ذرة ، ويخلق فيكم عدم ادراك فيل الى جانبها .

أجابهم الامام الباقلاني بأن هذا جائز في قدرته سبحانه وتعالى ولهذا كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم خلفه في الصلاة لما عرضت عليه الجنة والنار ونظر الى كل واحد منهما في عرض الحائط ، والصحابة

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٥٣

(٢) الانصاف للباقلاني ص ١٨٨

(٣) نفس المصدر ص ١٨٩

رضي الله عنهم خلفه ، ولم يدركوا ما أدرك ولم يروا ما رآى ، فكذلك يجوز أن يخلق الله في بصرنا ادراك الذرة الصغيرة ، ويخلق فيه مانعا من ادراك الفيل الكبير (١)

٣- واحتج المعتزلة أيضا فقالوا : لو جاز أن يكون مرئيا لجاز أن يقال يرى كله أو بعضه ؟

ويجيب الامام الباقلاني على ذلك (بأن هذا محال من القول لأن اطلاق الكل والبعض انما يجوز على من كان ذا كل أو بعض ، والله تعالى منزه عن الوصف بالكل والبعض ، وهذا بمنزلة قائل يقول لنا : لو كان معلوما لجاز أن نقول نعلم كله أو بعضه ، فنقول له : لا نقول نعلم كلا ولا بعضا بل نقول نعلم واحدا أحدا فردا صمدا ليس كمثله شيء ، وكذلك نقول نرى واحدا أحدا فردا صمدا ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) (٢))(٣)

٤- وأخيرا اعترضوا فقالوا : اذا كان مرئيا فخبرونا ما هو ؟

أجابهم الامام الباقلاني ماذا تريدون بقولكم ما هو ، ان أردتم ما هو أي ما صورته وجنسه وغير ذلك مما لا يجوز عليه فليس بذي صورة ولا جنس ولا طول ولا عرض ، ولا يشبه خلقه ولا يشبهونه ،

وان أردتم بقولكم ما هو : ما اسمه ؟ فاسمه الله الرحمن الرحيم الحي القيوم ، وان أردتم بقولكم ماهو : ما صنعه ؟ فصنعه العدل والاحسان والانعام ، وان أردتم بقولكم ما هو ، ما الدلالة على وجوده ؟ فالدلالة على وجوده جميع ما نراه من محكم صنعه وتدبيره (٤)

ثم يرد الامام الباقلاني قولهم : ان كان مرئيا فأين هو؟ بقوله (ان أردتم أين هو في وصف المنزلة والرفعة والجلال فهو كما وصف نفسه بقوله :((وهو القاهر فوق عباده))(٥) وبقوله :((الرحمن على العرش استوى))(٦) وبقوله :((وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله))(٧) ..... والاين سؤال عن المكان وليس هو مما يحويه مكان)(٨)

وهذا يبين أن الامام الباقلاني - رحمه الله - مع اثباته لرؤية الله تعالى فهو لا ينكر أن الله تعالى في جهة العلو كما أخبرنا بذلك سبحانه ، وبهذا يتضح اتفاق الباقلاني مع السلف في اثبات الرؤية وفي الرد على المنكرين .

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٨٩-١٩٠ ، (٢) الشورى الاية ١١
(٣) الانصاف للباقلاني ص ١٩١ ، (٤) انظر نفس المصدر ص ١٩٢
(٥) الانعام الاية ١٨ ، (٦) طه الاية ٥
(٧) الزخرف الاية ٨٤ ، (٨) الانصاف للباقلاني ص ١٩٣

الفصل التاسع

رأي الامام الباقلاني في القضاء والقدر وخلق أفعال العباد في ضوء عقيدة السلف .

وفيه مباحث :-

المبحث الاول :- رأي الامام الباقلاني في مفهوم القضاء والقدر .

المبحث الثاني :- عموم ارادة الله تعالى عند الباقلاني .

المبحث الثالث :- مفهوم الرضا بقضاء الله عند الباقلاني وعلاقته بالارادة .

المبحث الرابع :- رأي الامام الباقلاني في خلق أفعال العباد .

المبحث الخامس :- مسائل هامة تابعة لموضوع القضاء والقدر منها :-

١- الارزاق
٢- الاسعار
٣- الآجال
٤- الهدى والضلال
٥- التعديل والتجوير .

المبحث الاول

×××××××××××××××××××××××
××××××××××××××××××××××
×××××××××××××××××××××
××××××××××××××××××

رأي الامام الباقلاني في مفهوم القضاء والقدر .

رأي الامام الباقلاني في مفهوم القضاء والقدر :ـ

تمهيـــــد : تعريف القضاء والقدر :ـ

القضاء لغة : الحكم والفصل فالقاضي بمعنى الحاكم (١)

وعرفا : (ارادة الله الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال)(٢)

والقدر لغة : الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء تقول قدرت البناء تقديرا بمعنى رتبته وحددته فيكون معنى قضى وقدر حكم ورتب (٣)

والقدر عند علماء السلف : (ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن الى الابد ، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الاشياء قبل أن تكون في الازل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها)(٤)

فمعنى القضاء والقدر :(حكم الله تعالى في شيء بحمده أو بذمه ، أو تكوينه أو ترتيبه على صفة كذا الى وقت كذا فقط)(٥)

ويرى الامام الباقلاني أن (القدر يكون بمعنى القضاء ويكون بمعنى جعل الشيء على قدر ما ، وقد يقال قدر ، وقدّر ، مخفف ومثقل ، والعرب تقول قدرت الشيء وقدرته ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال ((فان غم عليكم فاقدروا له ثلاثين)) (٦) أي قدروا ، وقد قال تعالى ((وما قدروا الله حق قدره)) (٧) وتثقيلها جائز وكذلك قوله :((فسالت أودية بقدرها))(٨) ولو خفف لكان ذلك جائزا شائعا والعرب تقول قدر الله وقدّر الله وقال الشاعر :

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٢٥، والفصل لابن حزم ٧٧/٣، ولسان العرب ٧٩/٥ ولوامع الانوار البهية ٣٤٥/١

(٢) لوامع الانوار للسفاريني ٣٤٥/١

(٣) انظر الفصل لابن حزم ٧٧/٣ـ٧٨

(٤) لوامع الانوار للسفاريني ٣٤٨/١

(٥) الفصل لابن حزم ٧٨/٣، وانظر في ذلك كتاب القضاء والقدر لشيخنا د/ فاروق الدسوقي مفصلا . ٣٢٣/١ـ٣٣٨ . طبع المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ

(٦) قطعة من حديث أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب رقم (١١) ٢٢٩/٢ . ومسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٧٥٩/٢

(٧) الانعام الاية ٩١

(٨) الرعد الاية ١٧

كل شيء حتى اخيك متاع ××××× وبقدر تفرق واجتماع ٠٠٠٠٠٠

يعني بالقدر القدرة ، وكل من قال في القدر قولا باطلا لزمه اسم قدري لأنه وضع لذم المبطل)(١)

هذا بالنسبة للمعنى اللغوي أما بالنسبة للمعنى الشرعي والاصطلاحي للقضاء والقدر فقد قسم الامام الباقلاني القضاء الى أكثر من قسم حيث ذكر أنه ورد في القرآن الكريم على أكثر من معنى ومن هذه المعاني التي ذكرها :

أولا : ورد القضاء بمعنى الخلق وذلك في قوله تعالى : ((فقضاهن سبع سماوات في يومين))(٢) يعني خلقهن ٠

ثانيا : ويكون القضاء بمعنى الاخبار والاعلام كما في قوله تعالى: ((وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين))(٣) يعني أعلمناهم وأخبرناهم ٠

ثالثا : ويكون القضاء بمعنى الامر قال الله تعالى : ((وقضى ربك الا تعبد الا اياه))(٤) أي أمر ربك ٠

رابعا : ويكون القضاء بمعنى الحكم والالزام وهو مأخوذ من قولهم قضى القاضي على فلان بكذا أي حكم عليه وأوجبه به وألزمه اياه (٥)

ثم بين الامام الباقلاني أن الله عز وجل قضى بالمعاصي والطاعات على الوجه الأول والثاني دون الثالث والرابع أي أنه أرادها وقدرها وخلقها جميعا وينتهي من هذا الى بيان أن الله لم يأمر بالمعاصي ولم يردها دينا وشرعا ، كما أن الله تعالى لم يفرض المعاصي على أحد فرضا والزاما حتميا ٠

فقال : (انه - تعالى - قضى المعاصي وقدرها على كل هذه الوجوه الا على معنى أنه فرضها وأمر بها وحتم العباد أن يفعلوها)(٦)

ويقول أيضا في بيان مذهبه هذا : (فان الله تعالى قضى بالمعاصي والكفر بمعنى أنه أراده وخلقه وقدره ، ولا يجوز أن يكون بمعنى أمر به واختاره

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٢٣-٣٢٤

(٢) فصلت الاية ١٢

(٣) الاسراء الاية ٤

(٤) الاسراء الاية ٢٣

(٥) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٢٤-٣٢٥،وانظر الانصاف له ص١٦٦

(٦) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٢٦

دينا وشرعا ...... ولا فرضه فرضا على أحد ، بمعنى أنه أوجبه عليه)(١)

فهو يرى أن الله قضى المعاصي وقدرها أي بمعنى أنه خلق العصيان وجعله على حسب قصده لا أنه قضى بذلك بمعنى أنه أمر به وألزم به .

أما عن مفهوم القضاء والقدر عند السلف فقد بينه شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله منهي عن معصية الله ومعصية رسوله ، فان أطاع كان ذلك نعمة ، وان عصى كان مستحقا للذم والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ولا حجة لأحد على الله تعالى ، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته ، لكن يحب الطاعة ويأمر بها ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم ، ويبغض المعصية وينهى عنها ويعاقب أهلها ويهينهم ، وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه كما قال تعالى :((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم))(٢) أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك ، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك ، وكل الاشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه ، فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره)(٣)

كما بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن أهل السنة والجماعة تؤمن بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين وفي كل درجة شيئان : ـ

فالدرجة الاولى :

أ ـ الايمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها ، وهو سبحانه علم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال .

ب ـ كتابة ذلك كله في اللوح المحفوظ ، فقد كتب سبحانه مقادير الخلق قبل أن يخلقهم .

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ١٦٦

(٢) النساء الاية ٧٩

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٣/٨ـ٦٤

وأما الدرجة الثانية :

أ - مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد .

ب - ايجاده سبحانه وتعالى لجميع المخلوقات وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق (١)

(فالايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وقليله وكثيره ، مقدور واقع من الله عز وجل على العباد في الوقت الذي أراد أن يقع لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله)(٢)

كما وضح شيخ الاسلام ابن تيمية علاقة علم الله تعالى بفعل العبد فقال : (ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ما هي عليه فهو سبحانه قد كتب أن فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة وفلانا يفسق ويعصي فيدخل النار ...... فمن قال : ان كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولا باطلا متناقضا لما علمه الله وقدره ...... فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا ايمان كان ظنه باطلا ، واذا اعتقد أن الاعمال التي أمر الله بها لا يحتاج اليها ، ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافرا والله قد حرم الجنة الا على أصحابها)(٣)

ولا يصح أيضا الاحتجاج بالقدر على المعاصي (فمن احتج بالقدرفحجته داحضة ، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول)(٤)

فالذنوب ليس لأحد أن يحتج على فعلها بقدر الله تعالى ، بل عليه أن لا يفعلها ، واذا فعلها فعليه أن يتوب منها .

أما أدلة أهل السنة والجماعة على اثبات القضاء والقدر في الكتاب والسنة كثيرة جدا نذكر منها :-

قوله تعالى : ((وكان أمر الله قدرا مقدورا))(٥)

وقوله تعالى : ((وخلق كل شيء فقدره تقديرا))(٦)

---

(١) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية مع الشرح للهراس ص ١٥٢-١٥٦ ، وقطف الثمر لصديقخان ص ٩٠

(٢) الشرح والابانة لابن بطة ص ١٩٣-١٩٤

(٣) رسالة القضاء والقدر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٩٢/٢

(٤) نفس المصدر ٩١/٢

(٥) الاحزاب الاية ٣٨

(٦) الفرقان الاية ٢

وقوله تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الافي كتاب من قبل أن نبرأها))(١)

وقوله تعالى : ((انا كل شيء خلقناه بقدر))(٢)

وقوله تعالى : ((وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما))(٣)

وفي حديث جبريل المشهور :((وتؤمن بالقدر خيره وشره))(٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم :((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة))(٥)

وكذلك حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة))(٦)

والادلة في ذلك كثيرة جدا ٠

---

(١) الحديد الاية ٢٢

(٢) القمر الاية ٤٩

(٣) الانسان الاية ٣٠

(٤) تقدم تخريجه في الفصل الخامس ص ١٩٤ ٠

(٥) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٤/٤ من حديث عمرو بن العاص ٠

(٦) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٧٨/٤-٧٩، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية الخلق ٢٠٣٦/٤،والترمذي في كتاب القدر باب ما جاء أن الاعمال بالخواتيم ٣٨٨/٤-٣٨٩،وابن ماجه في المقدمة باب في القدر ٢٩/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٠

المبحث الثاني

عموم ارادة الله تعالى عند الباقلاني

عموم ارادة الله تعالى عند الباقلاني :-

نظرا لارتباط هذه المسألة بمعظم مسائل القضاء والقدر عند الامام الباقلاني رأيت أن أتناولها بالبحث بشيء من التفصيل :-

يرى الامام الباقلاني أن ارادة الله تعالى عامة شاملة لكل شيء حتى أفعال العباد ، فكل شيء في هذا الكون واقع بارادته تعالى .

وفي ذلك يقول :(واعلم انه لا يجري في العالم الا ما يريد الله تعالى ، وأنه لا يؤمن مؤمن ولا يكفر كافر الا بارادته تعالى ، ولا يخرج مراد عن مراده كما لا يخرج مقدور عن قدرته)(١)

فهو يرى أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى وأنه لا يتصور أن يوجد في الدنيا والآخرة شيء لم يرده الله تعالى من نفع أو ضر أو رزق أو أجل أو طاعة أو معصية من سائر الموجودات (٢)

والذي دفع الامام الباقلاني الى اطلاق القول في عموم ارادة الله تعالى هو ما ظهر من قول أهل البدع وخاصة المعتزلة الذين جعلوا أفعال العباد الاختيارية غير واقعة بمشيئة الله تعالى ، لأنّ العبد عندهم خالق لفعله الاختياري - كما سيأتي معنا - فقد قالوا : (ان الله لا يريد الا الطاعة والايمان فأما من كفر وعصى فقد أتى بما ليس بمراد لله تعالى ، وقالوا : ان كل واحد يفعل من الافعال ما لا يريده الله تعالى ، حتى انتهى بهم القول الى أن البهائم تفعل أفعالا لم يردها تعالى وأنه لو أراد فعل غيرها منهم لم يحصل ذلك له وامتنع عليه سبحانه وتعالى عما يشركون)(٣)

فعند المعتزلة اذا قيل أن الله أراد ايمان شخص فمعنى ذلك انه أمره به وأحب وقوعه ومن هنا قالوا : ان الله تعالى قد يريد شيئا ولا يقع وقد يقع خلاف ما يريده ككفر الكافر ، ومعصية العاصي وبهذا يتبين أنهم لا يقولون ان جميع الكائنات مرادة له تعالى ، ولا يقولون ان جميع ما لايريده لا يقع .

وبين الامام الباقلاني مذهب أهل السنة والجماعة في عموم ارادته تعالى فقال : (ان مذهب أهل السنة والجماعة الذي ندين لله تعالى به أنه لا يتحرك متحرك ، ولا يسكن ساكن ولا يطيع طائع ولا يعصي عاصي من أعلى العلى

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ١٥٧

(٢) انظر نفس المصدر ص ٤٣

(٣) نفس المصدر ص ١٥٧

الى ما تحت الثرى الا بارادة الله تعالى وقضائه ومشيئته)(١)

وبعد اختياره لمذهب أهل السنة أخذ يستدل على هذا المذهب بالادلة النقلية من الكتاب والسنة واجماع الامة اضافة الى الادلة العقلية . نذكر بعض هذه الادلة :-

أما من الكتاب :- فاستدل بقوله تعالى : ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة لا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم))(٢)

ويرى الامام الباقلاني بهذه الاية أوضح دليل وأقوم حجة من عدة وجوه :-

أحدها : أنه سبحانه وتعالى أخبر أنه لو شاء وأراد لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الايمان أو على الكفر والضلال ، وهذا يبطل قول المعتزلة القائلين أنه ما أراد الا كونهم أمة واحدة على الايمان فبطل قولهم ببعض هذه الاية

الثاني : أنه تعالى قال : ((ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)) فأخبر تعالى أنه خلقهم لما أرادمن اختلافهم وأنه لم يرد أن يكونوا أمة واحدة .

الثالث : انه سبحانه قال : ((الا من رحم ربك)) فأخبر تعالى أن منهم من رحمه وأراد رحمته دون غيره فصح أنه لا يكون من العباد ولا يجري في ملكه الا ما أراده وقضاه وقدره (٣)

كما استدل بقوله تعالى :((ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس))(٤)

ووجه استدلاله بهذه الاية :(انه تعالى خلق من الجن والناس قوما ليدخلوا النار ، ويكونوا أهلا لها ، ولا يكونوا أهلا لها الا بالكفر والطغيان والعصيان فعلم أن جميع ذلك بارادته وقضائه وقدره)(٥)

واستدل ايضا بقوله تعالى : ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا))(٦)

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ١٥٧-١٥٨

(٢) هود الايتان ١١٨-١١٩

(٣) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٥٨

(٤) الاعراف الاية ١٧٩

(٥) الانصاف للباقلاني ص ١٥٨

(٦) الانعام الاية ١٢٥

ووجه الاستدلال بهذه الاية أن الله تعالى قد نص على أن الهدى بارادته والضلال بارادته (١)

ومن الايات التي احتج بها قوله تعالى : ((ولو شاء الله لجمعهم على الهـــدى))(٢)

وقوله تعالى : ((ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله))(٣)

وقوله تعالى : ((ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين))(٤) (٥) وغير ذلك من الايات .

واستدل من السنة : بحديث جبريل المشهور (٦) عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال :((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى)) فقال صدقت يا محمد ثم أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا جبريل عليه السلام ، فصح باجماع الانبياء والرسل والملائكة والصحابة أن الامور كلها خيرها وشرها بقضاء الله وقدره (٧)

كما استدل على مذهبه هذا باجماع المسلمين من الصحابة والتابعين حتى وقتنا هذا ، بانهم قد أجمعوا على القول باطلاق هذه الكلمة "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" من غير نكير فوقع الاجماع من الخاص والعام أن الامور كلها بمشيئة الله وقدره (٨)

كما استدل من العقل بأن الملك اذا جرى في ملكه ما لا يريده ، دل ذلك على نقصه أو ضعفه أو عجزه ، والله تعالى موصوف بصفات الكمال لا يجوز

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٥٨

(٢) الانعام الاية ٣٥

(٣) الانعام الاية ١١١

(٤) يونس الاية ٩٩

(٥) انظر في استدلاله بهذه الايات وغيرها الانصاف ص ٤٣-٤٤،ص ١٥٩ ، والتمهيد له تحقيق مكارثي ص ٢٨٠

(٦) تقدم الحديث وتخريجه في الفصل الخامس ص ١٩٤

(٧) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٦٠

(٨) انظر الانصاف للباقلاني ص ٤٤ ، ص ١٦١

عليه في ملكه نقص ولا ضعف ولا عجز فكيف يكون في ملكه ما لا يريده ويريده أضعف المخلوقات فيكون ، كلا فلا يكون في ملكه تعالى الا ما يريد ٠

فلو أراد سبحانه شيئا وأراد غيره شيئا فوجد مراد غيره دون مراده يكون ذلك دليل على عجزه والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك (١)

بعد هذا يتبين أن مذهب الامام الباقلاني في عموم ارادة الله تعالى هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا يكون في ملكه تعالى الا ما يريد ، قال شارح الطحاوية : (ومن أضل سبيلا وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الايمان من الكافر ، والكافر شاء الكفر فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)(٢)

وقد أورد شارح الطحاوية أدلة كثيرة على عموم ارادة الله تعالى وهي عين أدلة الامام الباقلاني السابقة ٠

وقال شيخ الاسلام الصابوني :(ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها لم يؤمن أحد الا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء أن لا يعصى ما خلق ابليس فكفر الكافرين وايمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره وارادته ومشيئته ، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ، ويرضى الايمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية قال الله عز وجل :((ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم))(٣))(٤)

وقال الامام ابن القيم :(والمسلمون من أولهم الى آخرهم مجمعون على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وان كان منهم في موضع آخر ، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يكون ، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيار أوجد بها الخلق كما يقول طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم)(٥)

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ٤٤،ص ١٦١-١٦٢، والتمهيد له ص ٢٨١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٥-١٠٦

(٣) الزمر الاية ٧

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٧/١

(٥) شفاء العليل لابن القيم ص ٨٠

المبحث الثالث

مفهوم الرضا بقضاء الله عند الباقلاني وعلاقته بالارادة

مفهوم الرضا بقضاء الله عند الباقلاني وعلاقته بالارادة :-

يرى الامام الباقلاني أن الرضى بقضاء الله وقدره أمر واجب حيث قال : (فنحن نطلق الرضا بقضاء الله وقدره على الاطلاق ، بمعنى أنه لا يعترض على حكمه السابق وارادته الازلية ...... بل نسلم لما أراد فينا وفي غيرنا ولا نعترض بما يفعل ، فنقول : نحن نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه كما أخبرنا به ومدحنا على فعله ، ووعد عليه الثواب ، فنرضى بذلك ونريده لنا ولجميع اخواننا من المسلمين ، ولا نقول : ان قضاؤه الذي هو بمعنى خلقه ، وايجاده الذي هو خلقه مذموما قبيحا ذنبا معصية كفرا انا نرضى بذلك دينا وشرعا ولا نحبه ولا نرضاه ولا نريده لنا ولا لأحد من اخواننا المسلمين)(١)

وقال في مكان آخر : (نرضى بقضاء الله في الجملة على كل حال)(٢)

وفي موضع آخر يوضح الامام الباقلاني الرضا بقضاء الله وقدره فيقول: (نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه الذي أمرنا به أن نريده ونرضاه ولا نرضى من ذلك ما نهانا أن نرضى به ولا نتقدم بين يديه ولا نعترض على حكمه)(٣)

ونرى أن الامام الباقلاني يفرق في الرضا بقضاء الله ، بين الرضا الذي أمرنا به ، وبين ما نهانا عن الرضا به كالرضا بالكفر والمعاصي .

وقد توجه الى الامام الباقلاني سؤال مفاده أفترضون الكفر والمعاصي التي هي من قضاء الله ؟ فأجاب بقوله :(نحن نطلق الرضا بالقضاء في الجملة ولا نطلقه في التفصيل لموضع الابهام كما يقول المسلمون كافة على الجملة " الاشياء لله " ولا يقولون على التفصيل الولد لله ، والصاحبة والزوجة والشريك له وكما تقول الخلق يفنون ويبيدون ويبطلون ، ولا نقول "حجج الله تفني وتبطل وتبيد " في نظائر من القول الذي يطلق من وجه ويمنع من وجه)(٤)

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن الرضا نوعان :-

أحدهما : الرضا بفعل ما أمرنا به وترك ما نهانا عنه ، ويتناول ما أباحه الله من غير تعد الى المحظور كما قال تعالى :((والله ورسوله أحق

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ١٦٦-١٦٧

(٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٢٧

(٣) التمهيد للباقلاني مكارثي ص ٣٢٨

(٤) نفس المصدر ص ٣٢٧

أن يرضوه))(١)

وقال تعالى:((ولو أنهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون))(٢)

وهذا الرضا واجب ، ولهذا ذم من تركه .

والثاني : الرضا بالمصائب : كالفقر والمرض ، فالرضا بهذه المصائب مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب ، وقد قيل انه واجب والصحيح أن الواجب هو الصبر فان الصبر على المصائب واجب (٣)

(وقد غلط في هذا الاصل طائفتان اقبح الغلط فقالت القدرية النفاة :-

الرضا بالقضاء طاعة وقربة ، والرضا بالمعاصي لا يجوز فليست بقضائه وقدره ، وقالت غلاة الجبرية : الذين طووا بساط الأمر والنهي المعاصي بقضاء الله وقدره ، والرضا بالقضاء قربة وطاعة فنحن نرضى بها ولا نسخطها)(٤)

ثم بين ابن القيم أن طرق أهل الاثبات اختلفت في جواب الطائفتين وذكر عدة أجوبة على ذلك واختار هو الجواب (بأن من القضاء ما يؤمر بالرضا به ، ومنه ما ينهى عن الرضا به ، فالقضاء الذي يحبه الله ويرضاه نرضى به ، والذي يبغضه ويسخطه لا نرضى به .... وهذا الجواب جيد غير أنه يحتاج الى تمام فنقول : الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني ، فالديني يجب الرضا به وهو من لوازم الاسلام ، والكوني : منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعائب والذنوب التي يسخطها الله وان كانت بقضائه وقدره ، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب وفي وجوبه قولان ، هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي ، وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابته وتقديره ومشيئته ، فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا وألها ومالكا ومدبرا

---

(١) التوبة الاية ٦٢

(٢) التوبة الاية ٥٩

(٣) انظر من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية الزهد والورع والعبادة ص ١١٥ ورسالة في مراتب الارادة لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٧٨/٢-٧٩ وشفاء العليل لابن القيم ص٤٦٠،ولوامع الانوار ٣٦٠/١،والدرة البهية للسعدي ص٥١-٥٢

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص ٤٦٠

فبهذا التفصيل تبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة)(١)

وقد أجاب علماء أهل السنة المعتزلة الذين قالوا الرضا بالقضاء واجب ولو كان الكفر والمعصية بقضاء الله لوجب الرضى بهما لكن الرضى بالكفر كفر فلا تكون المعاصي والكفر بقضاء الله بأربعة أجوبة نجملها فيما يلي :-

الاول : أن الذي أمرنا أن نرضى به المصائب دون المعائب فاذا أصاب الانسان مرض أو فقر فيجب عليه الصبر ، وتقدم الاختلاف في وجوب الرضا به والصحيح استحبابه ، أما الرضا بالذنوب والمعائب فلم نؤمر بالرضا به .

الثاني : أن الله لم يرض لنا أن نكفر ونعصي فعلينا موافقة ربنا في رضاه وسخطه .

الثالث : أن القضاء غير المقضي فنرضى بالقضاء لأنه فعله تعالى وأما المقضي الذي هو فعل العبد فينقسم الى أكثر من قسم فالايمان والطاعة علينا أن نرضى بها وأما الكفر والمعصية فلا يجوز أن نرضى بها بل علينا أن نبغضها و نكرهها .

الرابع : ان الشر والمعاصي تختلف اضافتها ، فهي من الله خلقا وتقديرا وهي من العبد فعلا وتركا فاذا اضيفت الى الله - قضاء وقدرا - نرضى بها من هذا الوجه ، واذا أضيفت الى العبد نسخطها ونبغضها (٢)

وقد بين أيضا شيخ الاسلام ابن تيمية أن الرضا بالكفر والفسوق والعصيان وأن الذي عليه الائمة أنه لا يرضى بذلك فان الله لا يرضاه كما قال :((ولا يرضى لعباده الكفر))(٣) وقال :((والله لا يحب الفساد))(٤)

فاذا كان الله سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه بل يسخط ذلك فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى ذلك وأن لا يسخط ويغضب لما يسخط الله ويغضبه ؟(٥)

فالقضية اذا ذات شقان : الشق الاول : هل يرضى العبد بقضاء الله تعالى ، فيفصل القول في هذا بأن من القضاء ما يؤمر بالرضا به ومنه ما ينهى عن الرضا به ، فالقضاء الذي يحبه الله ويرضاه نرضى به والذي يبغضه ويسخطه لا نرضى به وهذا الذي تقدم في الباقلاني حيث رأى أن نرضى بقضاء الله الذي

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٤٦٠-٤٦١

(٢) انظر رسالة في الارادة والامر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٧٩-٨٠ ،ولوامع الانوار البهية للسفاريني ص٣٦٠-٣٦٣،والدرة البهية ص ٥١-٥٣

(٣) الزمر الاية ٧ ، (٤) البقرة الاية ٢٠٥

(٥) انظر من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية الزهد والورع والعبادة ص ١١٦

أمرنا الله أن نريده ونرضاه ، ولا نرضى من ذلك ما نهانا أن نرضى به وهذا الكلام صحيح وهو موافق لما بينه شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فهذا كله في حكم رضا العبد بقضاء الله تعالى .

أما الشق الثاني : فهو هل يرضى سبحانه ما قضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه وهذا أشكل من الذي قبله ، فقد ذهب جمهور الاشاعرة الى أن الرضا والمحبة والارادة في حق الرب تعالى بمعنى واحد ، فظنوا أن محبة الحق ورضاه وغضبه يرجع الى ارادته وقد علموا أنه مريد لجميع الكائنات فقالوا : بان كل ما شاءه وأراده فقد أحبه ورضيه وقد أوردوا هذا السؤال في مصنفاتهم وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يقال ان الله يرضى بها ولكن لا نقول ذلك على وجه التخصيص للكفر والمعاصي بل يقال يرضى بكل ما خلقه وقدره وقضاه ولا نفرد من ذلك الأمور المذمومة كما يقال هو رب كل شيء ولا يقال رب كذا وكذا للاشياء الحقيرة .

فلما أورد عليهم المعتزلة قوله تعالى :((ولا يرضى لعباده الكفر))(١) وقوله :((والله لايحب الفساد))(٢) أجابوا عنه بجوابين :-

أحدهما :انه لا يرضاه ممن لا يقع منه ، وأما من وقع منه فهو يرضاه لأنه بمشيئته وارادته ، فيكون هذا خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفساد ومعنى ذلك انه لا يحب الفساد لعباده المؤمنين ولا يرضى لهم الكفر .

والثاني : أنه لا يرضاه لهم دينا ، أي لا يشرعه لهم ولا يأمرهم به ويرضاه منهم كونا ، فلا يحب الفساد دينا ، ولا يرضاه دينا وحقيقة قولهم هذا انه لا يريده دينا .

وعلى قول الاشاعرة هذا يكون معنى الاية ولا يرضى لعباده الكفر حيث لم يوجد منهم فلو وجد منهم أحبه ورضيه وهذا في غاية الفساد فان الله تعالى قد أخبر أنه لا يرضى ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان وان وقع بمشيئته وتقديره كما في قوله تعالى :((اذ يبيتون ما لا يرضى من القول))(٣) فهذا القول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه (٤)

---

(١) الزمر الاية ٧ ، (٢) البقرة الاية ٢٠٥

(٣) النساء الاية ١٠٨

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٤٦١-٤٦٢، ورسالة الاحتجاج بالقدر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/١٣٠

(وكذلك قوله سبحانه :((والله لا يحب الفساد))(١) فهو سبحانه لا يحبه كونا ولا دينا ، وان وقع بتقديره ، كما لا يحب ابليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربهم و خالقهم ، فمن جعل المحبة والرضا بمعنى الارادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محبا لابليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار .... وهذا كما انه خلاف القرآن والسنة والاجماع المعلوم بالضرورة فهو خلاف ما عليه فطر العالمين .... وقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالا كثيرة ويكرهها ويبغضها ..... فقال :((ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله))(٢) وقال :((كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون))(٣) وقال :((ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم))(٤) ومحال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الأمرية لأنه أمرهم بالجهاد ،....... فأخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادي ويذم ويلعن ، ومحال انه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكره ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به)(٥)

وعند عرض اجابة الباقلاني على هاتين الايتين وجدناه يجيب عن قوله تعالى:((ولا يرضى لعباده الكفر))(٦) بجوابين (أحدهما : أنه لو كان كما قلتم - أي انه لا يريد الكفر - لكان يقول ولا يرضى لأحد الكفر أو يقول ولا يرضى لكم الكفر فلما لم يقل ذلك لم يكن لكم حجة ، والثاني : انه قال تعالى :((ولا يرضى لعباده الكفر)) واذا أضافهم اليه بلفظ العبودية فانما أراد بذلك خواص عباده المؤمنين دون الكافرين ، ونحن نقول انه ما رضي للخواص الكفر ولا أراد لهم الكفر وانما رضي لهم الايمان)(٧)

وعلى هذا فيكون معنى الاية أن الله تعالى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر دون الكافرين .

وقال أيضا :(فان الرضا بالشيء هو المدح له والثناء عليه والاثابة عليه وكونه دينا وشرعا ، والله تعالى لا يرضى الكفر بمعنى انه لا يمدحه ولا يثيب عليه ولا يرضى كونه دينا وشرعا ، دون ارادة وجوده وخلقه)(٨)

---

(١) البقرة الاية ٢٠٥ ، (٢) محمد الاية ٢٨

(٣) الصف الاية ٣ ، (٤) التوبة الاية ٤٦

(٥) شفاء العليل لابن القيم ص ٤٦٢-٤٦٣

(٦) الزمر الاية ٧ ، (٧) الانصاف للباقلاني ص ١٦٥

(٨) نفس المصدر ص ١٦٥-١٦٦

وقال في موضع آخر عن معنى قوله تعالى:((ولا يرضى لعباده الكفر))(١) (أن معناها أنه لا يرضى كونه دينا وشريعة لهم ولا يرضاه للمؤمنين من عباده دون الكافرين)(٢)

قلت : فهو بهذا موافق لجمهور الاشاعرة كما ذكر ذلك الامام ابن القيم .

ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على كلام الاشاعرة هذا ومنهم الامام الباقلاني في بيانهم لمعنى الاية حيث قالوا :((ولا يرضى لعباده الكفر))(٣) أي لا يريده لعباده المؤمنين قال ابن تيمية :(وهذا غلط عظيم ، فان هذا عندهم بمنزلة أن يقال لايحب الايمان ولا يرضى لعباده الايمان : أي لا يريده للكافرين ولا يرضاه للكافرين ، وقد اتفق أهل الاسلام على أن ما أمر الله به فانه يكون مستحبا يحبه ثم قد يكون مع ذلك واجبا ، وقد يكون مستحبا ليس بواجب سواء فعل أو لم يفعل) (٤)

بعد هذا يتبين لنا بوضوح أن مذهب الامام الباقلاني في الرضا بقضاء الله وقدره موافق لمذهب السلف في الاجمال أما في التفصيل والجزئيات فكما بينا فانه يخالف في بعضها كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

والامام الباقلاني لم يفرق بين الارادة والمحبة والرضى حيث جعلها شيئا واحدا فقال : (واعلم انه لا فرق بين الارادة والمشيئة والاختيار والرضى والمحبة)(٥)

وهذا الذي ذهب اليه الامام الباقلاني من أنه لا فرق بين الارادة والمشيئة والمحبة والرضا وأنها شيء واحد فهذا موافق فيه للاشعرى وأصحابه الذين جعلوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه تعالى سواء ، ولا يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ما وقع من الكفر والعصيان قالوا : بأنه يحبه ويرضاه كما انه يريده ، وما لم يقع من الايمان فانه تعالى لا يحبه ولا يرضاه دينا كما لا يريده دينا (٦)

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية خطأ هؤلاء الاشاعرة في جعلهم الارادة والمحبة والرضا بمعنى واحد فقال :(فان هؤلاء - أي الاشاعرة - أقروا بالقدر

---

(١) الزمر الاية ٧ ، (٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص٢٨٤

(٣) الزمر الاية ٧ ، (٤) من رسائل شيخ الاسلام الزهد والورع والعبادة ص ١١٧

(٥) الانصاف للباقلاني ص ٤٤

(٦) انظر رسالة في الارادة والامر لابن تيمية ضمنمجموعة الرسائل الكبرى ٣٣٩/١-٣٤٠

موافقة للسلف وجمهور الائمة ، وهم مصيبون في ذلك ، وخالفوا القدرية من المعتزلة وغيرهم في نفي القدر ولكن سلكوا في ذلك مسلك الجهم بن صفوان وأتباعه ، فزعموا أن الامور كلها لم تصدر الا عن ارادة تخصيص أحد المتماثلين بلا سبب وقالوا : الارادة والمحبة والرضا سواء ، وافقوا في ذلك القدرية فان الجهمية والمعتزلة ، كلاهما يقول : لا فرق بين الارادة والمحبة والرضا .... ثم قالوا : واذا كان مريدا لكل حادث ، والارادة هي المحبة والرضا فهو محب راض بكل حادث ، وقالوا : كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فان الله راض به ، محب له ، كما هو مريد له)(١)

ثم قال : (وحقيقة قولهم ان الله لا يحب الايمان ولا يرضاه من الكفار ، فالمحبة والرضا عنده كالارادة .... ، متعلقة بما وقع دون ما لم يقع سواء كان مأمورا به أو منهيا عنه ، وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو شقاوتهم ، وعندهم أن الله لا يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان ولا يحب ما لم يوجد من الايمان والطاعة ، كما أراد هذا دون هذا)(٢)

والصحيح ما ذهب اليه علماء السلف من أن الارادة في كتاب الله تعالى على نوعين :-

أحدهما : الارادة الكونية ، وهي الارادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الارادة في مثل قوله تعالى :((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا))(٣)

وقوله تعالى:((ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم))(٤) الى غير ذلك من الايات .

وأما النوع الثاني : فهو الارادة الدينية الشرعية ، وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم كما قال تعالى: ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر))(٥) وقوله تعالى: ((والله يريد أن يتوب عليكم))(٦)

فهذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد الا أن يتعلق به النوع الاول من الارادة (٧)

---

(١) رسالة الاحتجاج بالقدر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١٢٨/٢-١٣٠

(٢) نفس المصدر ١٣٠/٢ ، (٣) الانعام الاية ١٢٥

(٤) هود الاية ٣٤ ، (٥) البقرة الاية ١٨٥

(٦) النساء الاية ٢٧ ، (٧) انظر رسالة في مراتب الارادة لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٧٦/٢-٧٧،وشفاء العليل لابن القيم ص٤٦٥،٨٨-٨٩

قال الامام ابن القيم :(وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الامر والارادة هل هما متلازمان أم لا ؟ فقالت القدرية الأمر يستلزم الارادة واحتجوا بحجج لا تندفع وقالت المثبتة : الأمرلايستلزم الارادة واحتجوا بحجج لا تندفع والصواب أن الامر يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية ، فانه لا يأمر الا بما يريده شرعا ودينا ، وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا ،كايمان من أمره ولم يوفقه للايمان مراد له دينا ولا كونا ، وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونا وقدرا)(١)

كما بين الامام ابن القيم انه (لا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمان ، فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه ، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ، ويجتمع الامران فيما وقع من طاعات عباده وايمانهم وينتفي الامران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر ، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ، ولم يفعله المأمور ، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي)(٢)

وعلى هذا فتكون الاقسام أربعة :-

أحدها : ما تعلقت به الارادتان ، وهو ما وقع في الوجود من الاعمال الصالحة فان الله أراده ارادة دين وشرع فأمر به وأحبه ورضيه واراده ارادة كون فوقع ولولا ذلك لما كان ٠

والثاني : ما لم تتعلق به الارادتان ، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي ولم يقع ٠

والثالث : ما تعلقت به الارادة الدينية فقط ، وهو ما أمر الله به من الاعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار ، فتلك كلها ارادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع ٠

والرابع : ما تعلقت به الارادة الكونية فقط ، وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي ، فانه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها اذا هو لا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٤٦٥

(٢) نفس المصدر ص ٤٦٤

ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لما كانت ولما وجدت ، فانه ما شاء الله كـان وما لم يشأ لم يكن (١)

وهذا مذهب جمهور أهل السنة والذي عليه علماء السلف ، يقول ابن تيمية :(جمهور أهل السنة من جميع الطوائف يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا فيقولون انه وان كان يريد المعاصي سبحانه لا يحبها ولا يرضاها بل يبغضها ويسخطها ، وينهى عنها ، وهؤلاء يفرقون بين مشيئة الله وبين محبته وهو قول السلف قاطبة)(٢)

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المذهب السليم هو ما عليه السلف من التفريق بين الارادة والمحبة والرضا وتقسيم الارادة الى كونية قدرية ودينية شرعية ، حتى يزول الاشتباه واللبس في هذا الموضوع الذي زلت فيه أقـدام .

وعلى هذا يكون ما خلقه الله وقدره وقضاه فهو يريده ، وان كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ولا يثيب عليه ، وأما ما أمر به وأحبه وشرعه ورضيه فهو الذي يريده الله الارادة الدينية الشرعية وهو الذي يحبه ويرضاه .

---

(١) انظر رسالة في مراتب الارادة لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ٧٧-٧٨

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ١/٢٦٦

المبحث الرابع

رأي الامام الباقلاني في خلق أفعال العباد

رأي الامام الباقلاني في خلق أفعال العباد :-

لقد أولى الامام الباقلاني كغيره من علماء أهل السنة هذه القضية عناية خاصة وأدلى برأيه فيها مبينا وجه الحق في ذلك ، وقبل عرض رأي الامام الباقلاني في هذه المسألة أود أن أبين الآراء المخالفة لمذهب السلف في مسألة خلق الله لأفعال العباد .

أولا : رأي الجهمية الجبريـــة :-

زعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان أن التدبير في أفعال العباد كلها لله تعالى ، وهي اضطرارية ، كحركات المرتعش والعروق النابضة ،وحركات الاشجار ، واضافتها الى الخلق مجاز ، فالعبد عندهم مجبور على أفعاله مقهور عليها لا تأثير له في وجودها البته ، فهو كالريشة في مهب الهواء وغـــلا غلاتهم فقالوا : بل هي عين أفعال الله ولا تنسب الى العبد الا على المجاز (١)

ثانيا : رأي المعتزلة القدرية :

وقد قابل رأي الجبرية السابق حيث قالوا : ان جميع الافعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها ، لا تعلق لها بخلق الله تعالى ، فجعلوا الخلـق هم الخالقين لافعالهم ولا تعلق لها بمشيئة الله ولا تدخل تحت قدرته ، ولا أثر لمشيئة الله تعالى في وقوع فعل العبد ، فعندهم أنه سبحانه لا يهدي ضالا ، ولا يضل مهتديا ، فالعبد هو الذي يهدي نفسه ويضل نفسه ولأجل هذا سماهـــم المسلمون قدرية لنفيهم القدر (٢)

وفي بيان مذهبهم يقول القاضي عبد الجبار :(فان أفعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من الله تعالى ومن عنده ومن قبله .... فـــان أفعالهم حدثت من جهتهم وحصلت بدواعيهم وقصودهم ، واستحقوا عليها المـــدح والذم والثواب والعقاب فلو كانت من جهته تعالى أو من عنده أو من قبلـــه لما جاز ذلك ، فاذا لا يجوز اضافتها الى الله تعالى الا على ضرب من التوسع والمجاز)(٣)

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٨،ومقالات الاسلاميين ٣٣٨/١ ، وشفاء العليـــل لابن القيم ص ٩١ ، وشرح الطحاوية ص ٥٠٤، ولوامع الانوار ٣٠٦/١

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٧٩،وشفاء العليل ص ٩١ ، وشرح الطحاوية ص٥٠٤

(٣) شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٧٨-٧٧٩

أما الامام الباقلاني فذهب كأهل السنة الى أن جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين كما (أتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على أن الخالق هو الله لا خالق سواه وأن الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى)(١)

وقد بين الامام الباقلاني أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فقال : (اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده لا يجوز أن يكون خالق سواه ، فان جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره فهي منه خلق وللعباد كسب)(٢)

واستدل على مذهبه هذا الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة بالكتاب والسنة واجماع الامة ، وأدلة العقول ٠

- أما الادلة من الكتاب فمنها :-

١- قوله تعالى :((والله خلقكم وما تعملون))(٣)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أن الله تعالى أخبر أنه خالق لأعمالنا على العموم كما أخبر أنه خالق لاشكالنا وذواتنا ٠ (٤)

وّما" في الاية في قوله ((وما تعملون)) ليست ما المصدرية بمعنى المصدر ، فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم اذ سياق الاية يأباه بل ان "ما " موصولة بمعنى الذي فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم والذي تعملونه ، فهي مخلوقة له لا آلهة شركاء معه ، لأنّ ابراهيم عليه السلام انما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت والاية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى ، وهو ما صار منحوتا الا بفعلهم ، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقا لله تعالى ، ولو لم يكن النحت مخلوقا لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقا له ، بل الخشب أو الحجر لا غير (٥)

٢- وقوله تعالى :((خالق كل شيء))(٦)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أنه من المعلوم أن أفعالنا مخلوقة اجماعا وان اختلفنا في خالقها وهو سبحانه وتعالى قد أدخل في خلقه كل شيء مخلوق

---

(١) لوامع الانوار البهية ٢٩١/١ ، (٢) الانصاف للباقلاني ص ١٤٤

(٣) الصافات الاية ٩٦ ، (٤) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٤٥ والتمهيد له تحقيق مكارثي ص ٣٠٤

(٥) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ١٠٠،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠٨

(٦) الانعام الاية ١٠٢

فدل هذا على انه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى(١)

٣- وقوله تعالى :((أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم))(٢)

ووجه استدلاله بهذه الاية أن الله تعالى حكم بشرك من ادعى أنه يخلق كخلقه ومن أثبت ذلك لأحد من خلقه ، فلو كان العباد يخلقون كلامهم وحركاتهم وسكناتهم وعلومهم ، وهذه الاجناس كخلقه ومن جنس ما يوجده، لكانوا قد خلقوا كخلقه وصنعوا كصنعه ولتشابه على الخلق خلقه وخلقهم تعالى الله عن ذلك (٣)

الى غير ذلك من الايات التي تثبت أنه لا خالق الا الله تعالى وأن الله تعالى خالق لجميع أفعال عباده خيرها وشرها .

- واستدل من السنة : بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((ان الله خلق كل صنعة وصانعها))(٤)

ووجه استدلاله بهذا الحديث : أن صفة الصانع بحركاته وأفعاله سواء كانت صنعته مباحة وطاعة ، ككتابة القرآن والحديث والفقه أو محظورة من تصوير صور الحيوانات أو عمل السلاح ليقتل به المسلمون فصح بهذا الخبر أن الله جل وعلا خالق للفاعل منا ولفعله (٥)

- كما استدل بالاجماع ، وأن المسلمين أجمعوا على القول بأنه لا خالق الا الله كما يقولون لا رازق الا الله ، ولا محي ولا مميت الا الله تعالى ، فلا يكون الخلق من غيره ويثبتوه خالقا (٦)

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٤٥

(٢) الرعد الاية ١٦

(٣) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٠٦

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٣٧-١٣٨ ضمن عقائد السلف بتحقيق النشار ، وابن أبي عاصم في السنة ١٥٨/١، من طريقين ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١/١-٣٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، والبزار في مجمع الزوائد ١٩٧/٧ وقال : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين بن الكردي وهو ثقة بلفظ ((ان الله يخلق كل صانع وصنعته))

(٥) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٤٦

(٦) انظر نفس المصدر ص ١٤٧

- واستدل من جهة العقل بأدلة كثيرة نذكر منها :-

قوله :- (انه تعالى قادر على جميع الاجناس التي يكتسبها العباد فاذا ثبت من قولنا جميعا انه قادر على فعل مثل ما يكتسبه العباد على الوجه الذي يوجد عليه كسبهم وجب أنه قادر على نفس كسبهم ، لأنه لو لم يقدر عليه مع قدرته على مثله لوجب عجزه عنه واستحالة قدرته على مثله فثبت بذلك أن أفعال الخلق مقدورة له ، فاذا وجدت كانت أفعالا له ، لأن القادر على الفعل انما يكون فاعلا له اذا حصل مقدوره موجودا ، وليس يحصل المقدور مفعولا الا لخروجه الى الوجود فقط فدل ما قلناه على خلق الافعال) (١)

واستدل أيضا بدليل آخر من جهة العقل وهو أن الخالق الصانع أقل ما يوصف به علمه بخلقه ، ونحن نجد الواحد منا يفعل ما لا يعلم فعله فيه ولا يحصيه ، فيفعل ما لا يعلمه ولا يريده فلم يبق الا أن الخالق لأفعالنا وأكسابنا هو الله تعالى الذي يعلمها كما قال :((الا يعلم من خلق))(٢)(٣)

كما استدل بدليل آخر وهو :(ان من شرط الخالق للشيء أن يكون قادرا على خلق الشيء وضده فان من يقدر على خلق الحياة يقدر على خلق ضدها وهو الموت ، وكذلك من يقدر على خلق التفريق في الجسم يقدر على خلق الاجتماع له حتى يعود كما كان جسما مؤلفا ، ولما وجدنا أحدنا لا يقدر على ذلك صح أنه غير خالق ، ولما وجدنا الخالق تعالى يقدر على خلق الشيء وضده دل على أنه هو الخالق لا خالق سواه)(٤)

بعد هذا نستطيع القول بأن مذهب الامام الباقلاني في أن الله تعالى هو الخالق لافعال العباد لا خالق غيره ولا رب سواه هو المذهب المشهور من مذاهب العلماء وهو مذهب السلف الذي نص عليه الائمة كالبخاري (٥) والماتريدي (٦) والبيهقي (٧) وابن تيمية (٨) وابن القيم (٩) وغير

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص٣٠٣ ، (٢) الملك الاية ١٤

(٣) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٠٣-٣٠٤،والانصاف له ص ١٤٧-١٤٨

(٤) الانصاف للباقلاني ص ١٤٨

(٥) انظر خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٣٧-١٣٨،ضمن عقائد السلف تحقيق النشار

(٦) انظر تأويلات أهل السنة للماتريدي ٢٨١/١،

(٧) انظر الاعتقاد للبيهقي ص ٧٣ فما بعدها

(٨) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٨/٨،٣٩٠،٣٩٤،٤٦١،٤٦٢ .

(٩) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٩١ ومواضع كثيرة غيرها .

هؤلاء كثير .

وقرر شيخ الاسلام ابن تيمية أن القول بأن الله خالق أفعال العباد هو مذهب السلف فقال :(أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الامة وأئمتها كما نص على ذلك سائر أئمة الاسلام الامام أحمد ومن قبله ومن بعده حتى قال بعضهم : من قال ان أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال ان السماء والارض غير مخلوقة)(١)

ويقول شيخ الاسلام الصابوني:(ومن قال من أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه ،ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول أو ينفيه)(٢)

وعند عرضنا لرأي الامام الباقلاني في خلق أفعال العباد بينا أدلته النقلية والعقلية وهي أدلة لكل القائلين بأن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد وفيها الكفاية في بيان المقصود .

ولكن هناك بعض المسائل التي لا بد من توضيحها :-

فاذا كان الامام الباقلاني قد اتفق مع السلف على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وتابعة لمشيئته فهل وافقهم في أهم عنصر في هذه القضية الا وهي قدرة العبد وهل لها تأثير في فعله أم لا ؟؟

وهو ما يعرف بقضية كسب العبد ، والكسب لغة : الجمع وهو طلب الرزق ، يقال : كسبت شيئا واكتسبته ، والكواسب الجوارح .

والكسب : هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر كما قال تعالى :((لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))(٣) (٤)

قال الامام ابن القيم :(فالطوائف كلها متفقة على الكسب ومختلفون في حقيقته فقالت القدرية هو احداث العبد فعله بقدرته ومشيئته استقلالا وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق فعله ولا مكونه ولا مريدا له ، وقالت الجبرية : الكسب اقتران الفعل بالقدرة الحادثة من غير أن يكون لها فيه أثر ، وكلا الطائفتين فرق بين الخلق والكسب ثم اختلفوا فيما وقع به الفرق فقال الاشعري

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٦/٨

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٦/١

(٣) البقرة الاية ٢٨٦

(٤) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٣٦،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٥ ،وشفاء العليل ص ٢٠٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٨٧/٨

في عامة كتبه : معنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثه ، فمن وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق ، ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب ....)(١)

فقالوا : الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة .

ولهم في الفرق بين الكسب والخلق أن الكسب ما وقع بآلة والخلق لا بآلة والكسب لا يصح انفراد القادر به ، والخلق يصح انفراده ، والكسب مقدور وقع في محل قدرته والخلق لا في محل قدرته الى غير ذلك من الفروق التي قالوا بها (٢)

واذا كان الاشعري وأصحابه فرقوا بين الخلق وبين الكسب ، ونفوا عن العباد الخلق وأثبتوا لهم الكسب فما معنى الكسب عندهم ؟

لقد أثبت الامام الاشعري وعامة أصحابه للعبد كسبا ومعناه أنه قادرعلى فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك .

يقول الآمدي في بيان مذهب الاشعري والاشاعرة في الكسب المعروف بكسب الاشعري (وذهب ..... أهل الحق الى أن أفعال العباد مضافة اليهم بالاكتساب والى الله تعالى بالخلق والاختراع ، وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلا .)(٣)

وقال الرازي :(زعم أبو الحسن الاشعري أنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلا ، بل القدرة والمقدور واقعان بقدرة الله تعالى)(٤)

فالاشعري يثبت للعبد قدرة محدثه واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد ويقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور لا في أصله ولا في وصفه

قال الامام ابن القيم :(والذي استقر عليه قول الاشعري : ان القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها ، ولم يقع بها المقدور ، و لا صفة من صفاته

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٢٢

(٢) انظر شرح العقائد النسفية ص ٩٥،وحاشية رمضان أفندي على العقائد النسفية ص ١٩٦ ،ورسالة الارادة والامر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٣٥٧/١، ولوامع الانوار ٢٩٣/١

(٣) غاية المرام للآمدي ص ٢٠٧

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٨٠،وانظر حاشية كلنبوي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ٢٥٠/١،والنشر الطيب للوزاني ٤٦١/١-٤٦٧

بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه ، وتابعه على ذلك عامة أصحابه)(١)

والامام الباقلاني وافق الاشعري على أن الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا ، دون كونه موجودا أو محدثا ، فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما ، ولخص بعضهم هذا بأن قال : الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل ، فان الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته لا بهما ، فهذا الاقتران هو الكسب .

الا أن الامام الباقلاني مرة يوافق الاشعري على قوله بأن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها ومرة يقول : القدرة الحادثة لا تؤثر في اثبات الذات واحداثها ولكنها تقتضي صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون له حالا ثم تارة يقول : تلك الصفة التي هي من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى ولم يمتنع من اثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه (٢)

ويرى الامام الباقلاني أن العبد له كسب وليس مجبورا بل مكتسب لافعاله من طاعة ومعصية .

وجمهور المتكلمين يؤكدون على أن مذهب الامام الباقلاني أن أفعال العباد واقعة بمجموع القدرتين جميعا لا من جهة واحدة ، لكن قدرة الله تعالى تتعلق بأصل الفعل ، وقدرة العبد تتعلق بوصف من أوصافه وهو كونه طاعة أو معصية (٣)

والامام الباقلاني بهذا يحاول أن يعطي مسألة الكسب الاشعرية شيئا من المعقولية فقال بأن الافعال واقعة بالقدرتين ، على أن تؤثر القدرة القديمة في أصل الفعل وتؤثر القدرة الحادثة في وصفه ، ككونه طاعة أو معصية كما في لطم اليتيم تأديبا أو ايذاء فان ذات اللطم بقدرته تعالى وكونها طاعة أو معصية بقدرة العبد .

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٢١٠،وانظر حاشية الكلنبوي على شرح الدواني على العضدية ٢٥٠/١

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٢٠٩-٢١٠

(٣) انظر نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٧٣،فما بعدها ،وغاية المرام ص ٢٢٠ فما بعدها ،والمحصل للرازي ص ٢٨٠،والمواقف للايجي ص ٣١٢،والنشر الطيب للوزاني ٤٦٧/١،وموقف البشر تحت سلطان القدر للشيخ مصطفي صبري ص ٦٨، وحاشية الكلنبوي على شرح الدواني على العقائد العضدية ٢٤٩/١،٢٥١

ويوضح الامام الباقلاني رأيه هذا بقوله :(ويجب أن يعلم أن العبد له كسب وليس مجبورا بل مكتسب لافعاله من طاعة ومعصية لانه تعالى قال :((لها ما كسبت))(١) يعني من ثواب وطاعة ((وعليها ما اكتسبت))(٢) يعني من عقاب معصية وقوله :((بما كسبت أيدي الناس))(٣) وقوله ((ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم))(٤) .... ويدل على صحة هذا أن العاقل مما يفرق بين تحرك يده جبرا وسائر بدنه عند وقوع الحمى به ، أو الارتعاش ، وبين أن يحرك هو عضوا من أعضائه قاصدا الى ذلك باختياره ، فأفعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى)(٥)

فالامام الباقلاني يفرق بين الافعال الاضطرارية كحركة المرتعش من المرض وبين الافعال الاختيارية كالقيام والقعود والكلام ..... الخ

ويرى الامام الباقلاني أن الانسان مستطيع للكسب ، لأن الانسان يعرف من نفسه فرقا بين قيامه وقعوده وكلامه اذا كان واقعا بحسب اختياره وقصده وبين ما يضطر اليه مما لا قدرة له عليه من الزمانة والمرض والحركة من الفالج وغير ذلك ، وليس يفترق الشيئان في ذلك لجنسهما ولا للعلم بهما ولا لاختلاف محلهما ولا للارادة لأحدهما ، فوجب أن يحصل مع كسبه على هذه الصفة لكونه قادرا عليه (٦)

وبتفريق الامام الباقلاني بين الافعال الاضطرارية عن الافعال الاختيارية يحاول بذلك ابعاد نظرية الكسب الاشعرية عن شبهة الجبر .

وقد عرف الامام الباقلاني الكسب بأنه :(تصرف في الفعل بقدرة تقارنه في محله فتجعله بخلاف صفة الضرورة من حركة الفالج وغيرها ، وكل ذي حس سليم يفرق بين حركة يده على طريق الاختيار وبين حركة الارتعاش من الفالج وبين اختيار المشي والاقبال والادبار وبين الجر والسحب والدفع وهذه الصفة المعقولة للفعل حسا هي معنى كونه كسبا)(٧)

---

(١) البقرة الاية ٢٨٦ ، (٢) البقرة الاية ٢٨٦

(٣) الروم الاية ٤١ ، (٤) الشورى الاية ٣٠

(٥) الانصاف للباقلاني ص ٤٥-٤٦

(٦) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٢٨٦

(٧) نفس المصدر ص ٣٠٧-٣٠٨

والانسان عند الباقلاني مستطيع للكسب ، وهو يكتسب ذلك بقدرة تحدث له وهو لا يستطيع الفعل قبل اكتسابه بل في حال اكتسابه ولا يجوز أن يقدر عليه قبل ذلك .

وفي بيان هذا يقول :(ويجب أن يعلم أن الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل لا يجوز تقديمها عليه ولا تأخيرها عنه كعلم الخلق وادراكهم ولا يجوز تقديم العلم على المعلوم والادراك على المدرك ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ((وكانوا لا يستطيعون سمعا))(١) يعني قبولا عند الدعوة ، يعني: أنه لم يكن لهم استطاعة عند مفارقة الدعوة فيحصل معها القبول ......)(٢)

واستدل على اثبات ذلك بأن (القدرة الحادثة لو تقدمت على الفعل لوجد الفعل بغير قدرة لأنها عرض والعرض لا يبقى ولا يصح أن يوجد بعد الفعل أيضا لأنه يكون فاعلا من غير قدرة ، فلم يبق الا أنها مع الفعل)(٣)

والامام الباقلاني يحاول بهذا أن يحتفظ بالملامح الرئيسية لنظرية الكسب كما وضعها الامام الاشعري .

واذا كان مذهب الامام الباقلاني في الكسب امتدادا لمذهب الاشعري فلا بد من بيان النقد الموجه لمذهب الاشعري والباقلاني وبيان المذهب الراجح في ذلك .

لقد حاول الاشاعرة باثبات الكسب محاولة التوسط بين مذهب الجبرية ومذهب القدرية بجعلهم للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة في فعله بخلاف ما ذهب اليه الجبرية من نفي قدرة العبد أصلا وما ذهب اليه القدرية من اثبات قدرة يخلق بها الانسان فعله ، الا أن هذه المحاولة غير معقولة لأنّ مذهب الكسب هذا يعود الى مذهب الجبرية اذ النتيجة فيهما واحدة ، لأنّ اثبات قدرة لاأثر لها انما هو نفي للقدرة أصلا ، ولهذا قيل عن كسب الاشعري أنه من الأمور التي لا تعقل .

قال الامام ابن القيم :(ولهذا قال كثير من العقلاء ان هذا من محالات الكلام وأنه شقيق أحوال أبي هاشم وطفرة النظام)(٤)

---

(١) الكهف الاية ١٠١

(٢) الانصاف للباقلاني ص ٤٦-٤٧

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٤٧،وانظر التمهيد له تحقيق مكارثي ص ٢٨٧

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص ٢١٠

وقال في موضع آخر :(فلم يثبت هؤلاء - أي الاشاعرة - من الكسب أمرا معقولا ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة : كسب الاشعري ، وأحوال أبي هاشم وطفرة النظام)(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية عن الكسب عند الاشاعرة أنهم :(أثبتوا كسبا لا حقيقة له ، فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا ويقولون : ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم ، وكسب الاشعري ، اضطروهم - أي المعتزلة - الى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرد الاقتران العادي ، والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم ولازمه ، ويقع بين المقدور و القدرة ، فليس جعل هذا مؤثرا في هذا الباب بأولى من العكس ، ويقع بين المعلول وعلته المنفصلة عنه مع أن قدرة العباد عنده لا يتجاوز بمحلها،ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول ، وأبو اسحاق الاسفرايني الى قول ، وأبو المعالي الجويني الى قول لما رأوا في هذا القول من التناقض)(٢)

لأنه اذا كان الكسب عندهم اقتران القدرة القديمة بالفعل فيلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه و ارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها (٣)

قال ابن القيم : (وقد اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا)(٤)

ثم ذكر الامام ابن القيم رأي الامام الجويني في الكسب و بين أنه أقرب الى مذهب السلف حيث أثبت أن لقدرة العبد تأثيرا في فعله باذن الله وساق كلامه وأدلته على ذلك بالتفصيل (٥)

وقال :(الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تبعهما)(٦)

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٩٢

(٢) رسالة الارادة والامر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٣٦٥-٣٦٦

(٣) انظر لوامع الانوار للسفاريني ١/٣١٢

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص ٢١٠

(٥) انظر المصدر السابق ص ٢١٠-٢١٣

(٦) نفس المصدر ص ٢١٠

أما مذهب الامام الباقلاني في الكسب فقد توجه اليه النقد من المتكلمين ومن علماء السلف :-

فيرى الامام الشهرستاني أن الامام الباقلاني فيما ذهب اليه في الكسب لم يخالف أصحابه من الاشاعرة ، وأن قوله لا يبعد عن قول الاشعري .

وقد وجه الامام الشهرستاني مذهب الباقلاني على أنه موافق لمذهب الاشاعرة من وجهين :-

الاول : (أن الفعل ذو جهات عقلية واعتبارات ذهنية عامة وخاصة كالوجود والحدوث والعرضية واللونية ، وكونه حركة أو سكونا ، وكون الحركة كتابة أو قولا ، وليس الفعل بذاته شيئا من هذه الوجوه بل هي كلها مستفادة له من الفاعل ، والذي له بذاته هو الامكان فقط ، وأما وجوده : فمستفاد من موجده على الوجه الذي هو به وهو أعم الوجوه ، وأما كونه كتابة أو قولا فمستفاد من كاتبه وقائله وهو أخص الوجوه ، فيتميز الوجهان تميزا عقليا لا حسيا ، وتغاير المتعلقان تغايرا سمي أحدهما ايجادا وابداعا وهو نسبة أعم الوجوه الى صفة لها عموم التعلق ، وسمي الثاني كسبا وفعلا وهو نسبة أخص الوجوه الى صفة لها خصوص التعلق فهو يحتاج الى كاتب وقائل ، والموجد لا تتغير ذاته أو صفته لوجود الموجد ويشترط كونه عالما بجميع جهات الفعل والمكتسب تتغير ذاته وصفته لحصول الكسب ولا يشترط كونه عالما بجميع جهات الفعل)(١)

والثاني : هو أن القدرة الحادثة (اقتصرت على بعض الموجودات دون البعض بخلاف قدة الباري سبحانه فان صلاحيتها واحدة لا تختلف فيجب أن يكون متعلقها واحد لا يختلف ، وذلك هو الوجود فاذا لم يجز أن يضاف أخص الاوصاف الى الباري سبحانه لأنه يؤدي الى قصوره في الصلاحية كذلك لا يجوز أن يضاف أعم الاوصاف الى القدرة الحادثة لأنه يؤدي الى كمال في الصلاحية فلا ذاك الكمال مسلوب عن القدرة الالهية ولا هذا الكمال ثابت للقدرة الحادثة فينعم النظر فيه لأنّ فيه خلاص ، فلا يجوز أن يضاف الى الموجد ما يضاف الى المكتسب حتى يقال هو الكاتب القائل القاعد القائم ، ولا يجوز أن يضاف الى المكتسب ما يضاف الى الموجد حتى يقال هو الموجد المبدع الخالق الرازق)(٢)

---

(١) نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٧٥-٧٦

(٢) نفس المصدر ص ٧٦-٧٧ ، وانظر غاية المرام للآمدي ص ٢٢٢

ومن الردود الموجه لمذهب الباقلاني أن وصف الفعل بأنه طاعة أو معصية ليس وصفا وجوديا ، انما هو أمر يحصل باعتبار كون الفعل موافقا للشارع أو مخالفا له (١)

وأيضا فانه لو كان أمرا وجوديا لكانت قدرة العبد أثرت بايجاد بعض أفعاله فلم خص تأثيرها ببعض الافعال دون بعض .

(ولا يخفي فساد ما نقل عن القاضي ...... أن القدرة تؤثر في أخص وصف الفعل لا في وجوده وأخص وصف الفعل عنده حال)(٢)

ويرى الكلنبوي أن مذهب القاضي أبي بكر هو مذهب الماتريدية بعينه الا أن في قدرة العبد أن يجعله طاعة أو معصية لأنه اذا أورد السؤال على الامام الباقلاني بأنه أليست ارادة العبد مخلوقة لله تعالى ؟

فيجيب على ذلك بأن في العبد ارادتين :-

أحدهما : ارادة كلية وهي صفة من شأنها أن تتعلق بكل من طرفي الفعل والترك ولا خلاف في مخلوقيتها لله تعالى .

والثانية : ارادة جزئية وهي التي تتعلق بطرف معين من الفعل أو الترك وهي صادرة من العبد باختياره ، وهو المسمى عنده بالكسب وهذه الارادة الجزئية عبارة عن تعلق الارادة الكلية بجانب معين من الفعل ، والترك صادرة من العبد اختيارا وليست بمخلوقة لله تعالى ، لأنها ليست من الموجودات الخارجية حتى يتعلق بها الخلق ، فهي من الامور الاعتبارية اللاموجودة ، لعدم وجودها في الخارج ، واللامعدومة ، لأن لها تحققا وثبوتا بتبعية الارادة الكلية فلا يلزم أن يكون العبد موجدا وخالقا لبعض الموجودات ولا قدرته مؤثرة فيها وتلك الارادة الجزئية سبب ناقص عادي لتأثير قدرة الله عند الباقلاني والماتريديه (٣)

قال الكلنبوي : فان (مراده - أي الباقلاني - من وصف الطاعة والمعصية ما يوجبهما من النية والارادة الجزئية المقدورة له فحاصل كلامه الظاهر أنه لم يرد أن العبد أوجد وخلق الارادة الجزئية استقلالا والا لزم

---

(١) انظر حاشية رمضان افندي على شرح العقائد النسفية ص ١٩٦

(٢) النشر الطيب للوزاني ٤٦٥/١

(٣) انظر حاشية الكلنبوي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ٢٤٨/١-٢٥١ ،وموقف البشر تحت سلطان القدر للشيخ مصطفى صبري ص ٦٨-٦٩

عليه ما لزم على المعتزلة من كون العباد خالقين لبعض الموجودات وهو باطل بالادلة العقلية والنقلية ، بل أراد أن القدرة التي خلقها الله تعالى لها مدخلا في ذلك الوصف لا بمجرد المقارنة والمحلية كما قاله الاشعري ، والا لما جعل الفعل حاصلا بمجموع القدرتين بل بصرف الارادة الكلية نحو الفعل أو الترك وذلك الصرف من الامور الاعتبارية أو من قبيل الحال فالمراد من القدرة التي لها مدخل في ذلك الوصف القوة التي خلقت في قلب العبد بها يصح أن يصرف ارادته الكلية الى جانب معين وأن لا يصرف)(١)

وبين الكلنبوي أنه قد وجه الى مذهب الباقلاني هذا اعتراض مؤداه أن اثبات القدرة للعباد ونفي التأثير عنها اثبات للشيء ونفي لازمه فيكون متناقضا لأن نفي اللازم يوجب نفي الملزوم .

وأجيب عنه :(بأنا لا نسلم أن القدرة صفة مؤثرة بالفعل بل صفة من شأنها التأثير على وفق الارادة سواء أثرت بالفعل أو لم تؤثر)(٢)

ويفصل الشيخ محمد عبده مراد القاضي من تعلق قدرة العبد بأن مراده هو كون تلك الجهة كونا من أكوان الفعل لا قصد الفاعل - كما هو مذهب الماتريدية من أن جهة الكسب هي القصد ، والقصد حال من الاحوال لا يتعلق به الخلق والايجاد - وأن ذلك الكون هو أثر القدرة الحادثة .

ثم قال : (ان الحال - سواء كان القصد أو غيره - لا يخل من أمرين : الاول : ان كان لازما لسببه فهو غير محل التأثير ، فلا يصح متعلقا لقدرة الحادث فيثبت الجبر ، اذ لا جهة للاختيار سواه .

الثاني : ان كان غير لازم ، بل كان أمرا يصدر بالاختيار ، فمن البين أن لا يكون الا فعلا وجوديا ، يدخل تحت تأثير القدرة ، فان البداهة قاضية أن أثر القدرة اخراج المقدور من حيز العدم الى حيز الوجود ، فيلزمه ما لزم المعتزلة من تأثير القدرة الحادثة في بعض الافعال ، وان أراد المدخلية فالمذهب مذهب الاشعري)(٣)

قلت : والخلاف واضح بينهما فان قدرة العبد عند الباقلاني لا تأثير لها في أصل الفعل ، وانما تأثيرها في أمرين اعتباريين وهما : الارادة الجزئية

---

(١) حاشية الكلنبوي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ٢٥٢/١

(٢) نفس المصدر ٢٥٦/١

(٣) محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ٢٦٨/١-٢٧٠

ووصف الفعل بالطاعة أو المعصية ، وأما عند الشيخ الاشعري فان القدرة لا تأثير لها أصلا لا في أصل الفعل ولا في وصفه ، ولا في الارادة الجزئية •

ويرى الامام ابن القيم أن رأي الباقلاني في الكسب أقرب الى الصواب من غيره الا أنه لم يوفه حقه من البيان الصحيح لمعنى الكسب فقال في بيان ذلك :(ولما رأى القاضي - أي الباقلاني - بطلان قول الجبرية والقدرية في خلق أفعال العباد قال : قدرة العبد وان لم تؤثر في وجود الفعل فهي مؤثرة في صفة من صفاته وتلك الصفة تسمى كسبا وهي متعلق الامر والنهي والثواب والعقاب ، فان الحركة التي هي من طاعته والحركة التي هي من معصيته قد اشتركا في نفس الحركة وامتازت احدهما عن الاخرى بالطاعة والمعصية ، فذات الحركة ووجودها واقع بقدرة الله وايجاده ، وكونها طاعة أو معصية واقع بقدرة العبد وتأثيره وهذا وان كان أقرب الى الصواب فالقائل به لم يوفه حقه ، فان كونها طاعة ومعصية هو موافقة الامر ومخالفته ، فهذه الموافقة والمخالفة اما أن تكون فعلا للعبد يتعلق بقدرته واختياره ، وان كان لم يكن للعبد اختيار ولا فعل ولا كسب البته فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمرا معقولا)(١)

ويعلق الامام ابن القيم على مذهب الباقلاني أيضا بقوله :(ففرقة قالت : انما تقع الحركة بقدرة الله وحده لا بقدرة العبد ، وتأثيره قدرة العبد في كونها طاعة أو معصية ، فقدرة الرب وحده اقتضت وجودها وقدرة العبد اقتضت صفتها وهذا قول القاضي أبي بكر ومن أتبعه ، ولعمر الله انه لغير شاف ولا كاف ، فان صفة الحركة ان كان أثرا وجوديا فقد أثرت قدرته في أمر موجود فلا يمتنع تأثيرها في نفس الحركة ، وان كان صفتها أمرا عدميا كان متعلق قدرته عدما لا وجودا ، وذلك ممتنع ، اذ أثر القدرة لا يكون عدما صرفا)(٢)

فاذا كان مذهب الاشعري وأصحابه يقرب من مذهب الجبرية ولم يكن للكسب عندهم معنى اذ لا تأثير لقدرة العبد في الفعل ، وكذلك مذهب الباقلاني وما وجه اليه من اعتراضات لا يصح للاحتجاج به في خلق أفعال العباد فما هو المذهب السليم في هذه المسألة التي حارت فيها العقول •

أقول : ان المذهب السليم هو ما عليه علماء السلف وجمهور أهل السنة •

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٤٧

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٧

ذهب السلف جمهور أهل السنة المثبتون للقدر أن فعل العبد فعل له حقيقة ، وهو مخلوق لله تعالى ،ومفعول له سبحانه وتعالى ،وليس هو فعل الله نفسه ، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق (١)

وفي ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :(ومما ينبغي أن يعلم أن مذاهب سلف الامة مع أن قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى :((لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين))(٢))(٣)

وقال في موضع آخر : (وحقيقة قول أهل السنة أن الله خالق الاشياء بالاسباب والله خلق العبد وقدرة يكون بها فعله فان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادة وقدرة كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها)(٤)

وفي بيان مذهب السلف يقول الامام ابن القيم :(فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الاعيان والافعال ، ومشيئته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وأنهم لا يشاؤون الا أن يشاء الله ، ولا يفعلون الا بعد مشيئته ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه ، فلا تتحرك ذرة فما فوقها الا بمشيئته وعلمه وقدرته ، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله على الحقيقة .... ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .... ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وارادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازا وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول كما حكاه عنهم البغوي وغيره ، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه وتعالى مخلوقة له حقيقة ، والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٨/٨، ٢٩٣، وشرح الطحاوية ص ٥١٥، ولوامع الانوار للسفاريني ٣١٢/١-٣١٣

(٢) الانسان الاية ٣٠

(٣) رسالة الارادة والامر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٣٥٦/١-٣٥٧

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢٧٠/١

والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم ، فهم المسلمون المطلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك ، القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ، ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته ، فما يشاؤون الا أن يشاء الله ، وما يفعلون الا أن يشاء الله)(١)

وقال في موضع آخر عن أفعال العباد :(نقول هي أفعال للعباد حقيقة ومفعولة للرب ، فالفعل عندنا غير المفعول وهو اجماع من أهل السنة حكاه البغوي وغيره ، فالعبد فعله حقيقة ، والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والارادة وخالق فاعليته)(٢)

ويمكن توضيح مذهب السلف بما يأتي :-

اذا قيل عن فعل مّا " أنه فعل الله تعالى أو فعل العبد ، فيجب أن نعرف المقصود من هذا لأن في القول اجمال ، فانه قد يراد الفعل نفسه وقد يراد مسمى المصدر ، فاذا أريد بالفعل الذي هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه وما أشبه ذلك ، فالفعل هنا هو المفعول ، وهذا لا يقال عنه أنه فعل الله تعالى باتفاق المسلمين ، وبصريح العقل ٠

قال تعالى : ((يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات أعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور))(٣) فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ٠

وكذلك قوله تعالى : ((أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون))(٤) أي والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها فتعبدونها ،فالعمل عملهم والخلق كله لله ٠

وتكون فعل الله عز وجل اذا اريد بها كونها مفعولة مخلوقة كسائر المخلوقات (٥)

ويوضح ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (فخذ مثلا من نفسك أنت اذا كتبت بالقلم وضربت بالعصا ونجرت بالقدوم ، هل يكون القلم شريكك أو يضاف اليه شيء من نفس الفعل وصفاته ؟ أم هل يصلح أن تلغي أثره وتقطع

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٩٥-٩٦

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٣

(٣) سبأ الاية ١٣

(٤) الصافات الايتان ٩٥-٩٦

(٥) انظر رسالة الارادة والأمر لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٣٥٩/١-٣٦٠

خبره وتجعل وجوده كعدمه ؟ أم يقال : به فعل وبه صنع - ولله المثل الاعلى- فان الاسباب بيد العبد ليست من فعله وهو محتاج اليها لا يتمكن الا بها ،والله سبحانه خلق الاسباب ومسبباتها ، وجعل خلق البعض شرطا وسببا في خلق غيره وهو مع ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ، ونظم بعضها لبعض ، الا أن الحكمة تتعلق بالاسباب وتقود اليها)(١)

وبناء على هذا فان مشيئة العبد موجودة في الخير والشر ، والله سبحانه وتعالى خالق ذلك كله وهو ربه ومليكه لا خالق سواه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد أثبت سبحانه مشيئته ومشيئة العبد ، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئتهتعالى فان العباد لا يشاؤون الا بعد مشيئته ولا يفعلون شيئا الا بعد مشيئته ومن ذلك قوله تعالى : ((لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين))(٢)

وقوله تعالى : ((فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة))(٣)

الى غير ذلك من الايات ، كما أن القرآن الكريم أيضا قد نطق باثبات فعل العبد في كثير من الايات الكريمة يعملون ، يفعلون ، يؤمنون يكفرون ، يتفكرون ، يحافظون ، يتقون ، .... الخ (٤)

ونظرا لصراحة الادلة على اثبات أن العبد فاعل ، وله مشيئة واختيار أنكر السلف وعلماء أهل السنة على الجبرية قولهم أن الافعال الصادرة من الخلق كلها نوع واحد ، يصدر الفعل عنها من غير ارادة ولا مشيئة كحركة الاشجار بهبوب الرياح ، وحركة المرتعش ونبضات القلب ، فقد قسم علماء أهل السنة الافعال الى قسمين :-

الاول : اضطراري لا اختيار فيه ولا يجد الانسان من نفسه القدرة على منعه أو التحكم فيه كحركة الارتعاش ونبضات القلب ، فتكون من العبد من غير اقتران قدرته وارادته .

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ٣٩١/٨

(٢) التكوير الايات ٢٧-٢٩

(٣) الانسان الاية ٣٠

(٤) انظرمجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٣/٨،وشفاء العليل لابن القيم ص ١٧٩،ولوامع الانوار للسفاريني ٣١٤/١

والثاني : اختياري وهو الذي يجد الانسان من نفسه القدرة على التحكم فيه ، فقد يريده وتتعلق قدرته به فيفعله ، وقد لا يريده فلا تتعلق قدرته به فلا يفعله ، وهذا النوع يكون مقارنا لقدرة العبد واختياره فيكون كسبا له والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلا مختارا (١)

وقد كره السلف اطلاق لفظ "الجبر" لما فيه من معنى الاكراه يقال " أجبر الاب ابنته على النكاح" اذا أكرهها والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فانه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا (٢) لذلك أطلق السلف لفظ الجبل دون الجبر فيقال جبل الله فلان على كذا وكذا ولا يقال جبر لا في النفي ولا في الاثبات (٣)

(واذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ، ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله ، فقريب منه وبعيد وبين ذلك)(٤)

أما ما ذهب اليه الامام الباقلاني من أن الاستطاعة تكون مع الفعل لا يجوز تقدمها عليه ولا تأخرها عنه فهو مذهب الاشعري وعامة أصحابه أن الاستطاعة مع الفعل فقط (٥)

وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل ، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة (٦)

والصواب الذي قاله عامة أهل السنة والجماعة والذي دل عليه الكتاب والسنة ان الاستطاعة تنقسم الى قسمين :-

الاولى : استطاعة قبل الفعل ، وهي متقدمة صالحة للضدين فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له ، وهي القدرة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلآت وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى:((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا))(٧) ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٣٩٣-٣٩٤،وشرح الطحاوية ص ٥١٣-٥١٤

(٢) انظر مجوع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٦٢-٤٦٣،ورسالة الارادة والامر له ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٣٦٨/١ ، وشفاء العليل لابن القيم ص ٢٢٠

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٦٢/٨

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص٩٦

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧١/٨، وشرح الطحاوية ص ٤٩٩

(٦) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧١/٨، وشرح الطحاوية ص ٤٩٩

(٧) آل عمران الاية ٩٧

الامع الفعل لما وجب الحج الا علىّ من حج ، ولما عصى أحد بترك الحج ولا كان الحج واجبا على أحد قبل الاحرام به ، بل قبل فراغه وهذا خلاف ما هو معلوم من دين الاسلام بالضرورة .

وكذلك فى قوله تعالى : ((فاتقوا الله ما استطعتم))(١)

فأوجب التقوي بحسب الاستطاعة ، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد أوجب التقوى الا على من اتقى ، ولم يعاقب من لم يتق ، وهذا معلوم الفساد .

والشواهد على هذا النوع من الاستطاعة في كتاب الله تعالى كثيرة جدا والمقصود بها استطاعة الآلآت والاسباب ، فان كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة ، وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة والا لما كان الله قد أوجب الواجبات الا على من فعلها وقد أسقطها عمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور (٢)

وهذا النوع (مصحح للفعل ، يمكن معه الفعل والترك ، وهذه - الاستطاعة - هي التي يتعلق بها الأمر والنهى ، وهذه تحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل ، وهذه تبقى الى حين الفعل بنفسها عند من يقول ببقاء الاعراض ، وأما بتجدد أمثالها عند من يقول ان الاعراض لاتبقى زمانين ، وهذه قد تصلح للضدين ، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة)(٣)

والثانية : استطاعة مقارنة للفعل لا تكون الا مع الفعل ، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له مثل قوله تعالى :((ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون))(٤)

وقوله تعالى : ((الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا))(٥) فهذه الاستطاعة هى المقارنة الموجبة ، اذ الأخرى لا بد منها في التكليف (٦)

---

(١) التغابن الاية ١٦

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٢/٨-٣٧٣،وشرح الطحاوية ص ٤٩٩-٥٠٠

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠٣

(٤) هود الاية ٢٠

(٥) الكهف الاية ١٠١

(٦) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٣/٨

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :(فالاولى : - أي المصححة التي تكون قبل الفعل - هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي ، والثواب والعقاب وعليها يتكلم الفقهاء وهي الغالبة في عرف الناس .

والثانية :- أي الموجبة للفعل المقارنة له - هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر ، وبها يتحقق وجود الفعل)(١)

وقد بين ذلك الامام ابن القيم بقوله : (فاذا قيل : فهل يكـــون الفعل مقدورا للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله ؟ قيل : ان أريـــد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل وصحة أعضائه ووجود قوله وتمكينه من أسباب الفعل وتهيئة طريق فعله وفتح الطريق له فنعم هـــو مقدور بهذا الاعتبار ، وان أريد بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهـــي الموجبة له التي اذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار وتقرير ذلك أن القدرة نوعان : * قدرة مصححة : وهي قدرة الاسباب والشـروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف ، وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له ،

* وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له لا يتخلف الفعل عنها ، وهـــذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فايمان من لم يشأ اللــه ايمانه وطاعة من لم يشأ الله طاعته مقدور بالاعتبار الأول غير مقدور بالاعتبار الثاني وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق)(٢)

(فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها ، فان الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وان لــم يعجز عنه ، فالشارع ييسر على عباده ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر وما جعل عليكم في الدين من حرج ، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه فهذا في الشرع غير مستطيع لأجل حصول الضرر عليه ، وان كان قـد يسمى مستطيعا ، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية الى مجرد امكان الفعل

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٣٧٣

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ١٨٠

بل ينظر الى لوازم ذلك فان كان الفعل ممكنا مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله أو يطلي قائما مع زيادة مرضه .... ونحو ذلك ، فاذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة فكيف يكلف مع العجز ؟ ولكن هذه الاستطاعة - مع بقائها الى حين الفعل - لا تكفي في وجود الفعل ، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل بل لابد من احداث اعانة أخرى تقارن ، مثل جعل الفاعل مريدا فان الفعل لا يتم الا بقدرة وارادة ، والاستطاعة المقارنة تدخل فيها الارادة الجازمة بخلاف المشروطة في التكليف ، فانه لا يشترط فيها الارادة ، فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده ، لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه .... واذا اجتمعت الارادة الجازمة والقوة التامة لزم وجود الفعل)(١)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠٣-٥٠٤

المبحث الخامس

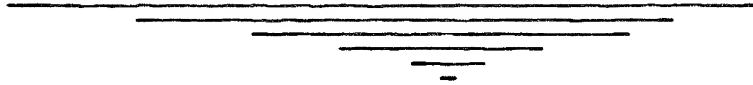
مسائل هامة تابعة لموضوع القضاء والقدر .

منها :-

١- الارزاق ، ٢- الاسعار

٣- الآجال ، ٤- الهدى والضلال

٥- التعديل والتجوير .



مسائل هامة تابعة لموضوع القضاء والقدر :-

هناك مسائل هامة تعرض لها الامام الباقلاني لها علاقة وثيقة بموضوع القضاء والقدر ، وسنتعرض لهذه المسائل بشيء من الاختصار مع بيان موافقة أو مخالفة الباقلاني لمذهب السلف في كل هذه المسائل .

١- الارزاق :-

ذهب المعتزلة الى أن الله يرزق الحلال دون الحرام الذي يكتسبه العاصي بنفسه ، وقد خالفهم الامام الباقلاني وبين أن الله ينفرد بتولي الارزاق حلالا كانت أم حراما اتساقا مع مذهبه في اطلاق عموم ارادة الله تعالى ومشيئته حيث قال : (ويجب أن يعلم أن أرزاق العباد وجميع الحيوان من الله تعالى فلا رازق الا الله ، حلالا كان أم حراما).(١)

واستدل على ذلك من القرآن بقوله تعالى :((الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر))(٢)

وقوله تعالى : ((وما من دابة في الارض الا على رزقها))(٣)

وقوله تعالى : ((الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون))(٤)

ووجه استدلاله بهذه الايات أن الله تعالى لما كان منفردا بالخلق والاماته والاحياء كان منفردا بتولي الارزاق (٥)

كما استدل على مذهبه هذا بالاجماع فقال : (وقد أجمع المسلمون على اطلاق القول لا رازق الا الله كما أجمعوا على انه لا خالق الا الله)(٦)

ويقصد الباقلاني بقوله ان الله يرزق الحرام أنه يجعله غذاء للابدان وقواما للاجسام لا على معنى اباحة تناوله لأنّ ذلك مما أجمع المسلمون على خلافه (٧)

ولو كان الله يرزق الحلال دون الحرام لكان من نشأ وتربى في

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ٥٠

(٢) الرعد الاية ٢٦

(٣) هود الاية ٦ ، (٤) الروم الاية ٤٠

(٥) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٢٨،والانصاف له ص ٥٠

(٦) الانصاف للباقلاني ص ٥٠

(٧) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٢٨

الحرام كقاطع الطريق مثلا وعاش عمره كله في الحرام ، ولم يتناول لقمة حلال قط ، فلا يصح أن يقال ان الله لم يرزقه قط ، لأن هذا مخالف لاجماع المسلمين الذين قالوا : لا خالق الا الله ولا رازق الا الله (١)

والامام الباقلاني بهذا موافق لما عليه علماء السلف الذين يقفون من قول المعتزلة موقف المضاد ، وقد فصل شيخ الاسلام ابن تيمية القول في ذلك وبين أن الرزق يراد به شيئان :-

الاول :- ما ينتفع به العبد وهو المذكور في قوله تعالى :((وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها))(٢)

والثاني : ما يملكه العبد وهو المذكور في قوله تعالى :((ومما رزقناهم ينفقون))(٣) وهذا هو الحلال الذي ملكه الله اياه .

والعبد قد يأكل الحلال الحرام فهو رزق بهذا الاعتبار أي بما ينتفع به العبد لا بالاعتبار الثاني وهو ما يملكه العبد (٤)

وأجاب شيخ الاسلام ابن تيمية عن الرجل اذا قطع الطريق وأكل الحرام ونحو ذلك هل هو رزقه الذي ضمنه الله تعالى له أم لا ؟

فبين أن هذا ليس هو الرزق الذي أباحه الله له ، ولا يحب ذلك ولا يرضاه ولا أمره بالانفاق منه ولكن هذا الرزق الذي سبق به علم الله وقدره ، فقد كتب الله ما يرزقه من حلال أو حرام ، مع انه يعاقبه على الرزق الحرام ، وأما الرزق الذي ضمنه الله لعباده ، فقد ضمنه لمن يتقيه أن يرزقه من حيث لا يحتسب ، وأما من كان من غير المتقين فقد ضمن له ما يناسبه بأن يعطيه ما يعيش به في الدنيا ، ثم يعاقبه في الآخرة .

فكما أن كل حيوان يأكل ما قدر له من الرزق ، فانه يعاقب على أخذ ما لم يبحه الله له سواء كان محرما أو كان مستعينا به على معصية الله (٥)

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٠-٥١

(٢) هود الاية ٦

(٣) البقرة الاية ٣

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤١/٨ ، ولوامع الانوار للسفاريني ١/ ٣٤٣-٣٤٥

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤٢/٨-٥٤٤

٢- الاسعار :-

ونفى المعتزلة أيضا أن يكون الله مسعر الاسعار وسبب غلائها أو رخصها لكن الامام الباقلاني يرى أن غلاء الاسعار ورخصها هو من فعل الله تعالى (الذي يخلق الرغائب في شرائه ويوفر الدواعي على احتكاره ، لا لقلة ولا لكثرة ،ولانه طبع الخلق على حاجتهم الى تناول الاغذية التي لولا حاجتهم اليها لم يكترث بها ولا فكر فيها)(١)

فهو يرى أنه لا دخل للاسباب الاقتصادية من عرض وطلب وغيرها فهي غير مؤثرة في رخص أو غلاء الحاجيات لأنّ هذا يؤدي الى القول بأن هناك فاعلا غير الله .

وقد اعترض عليه المعتزلة بأنه لو حصر سلطان أهل البلد وقطع عنهم الغذاء ، لغلت الاسعار عندهم فيقال بأن السلطان قد أغلى الاسعار بغرض الحصار .

أجابهم الباقلاني على ذلك بأنه قد يقع الغلاء عند مثل هذا الحصار فيقال ان السلطان قد أغلى الاسعار من باب المجاز والاتساع كما يقال اذا حصرهم السلطان فماتوا جوعا ، قد أماتهم السلطان جوعا وقتلهم بالحصار وهو في الحقيقة لم يفعل بهم الموت ولا القتل ، وانما فعل بهم أفعالا أحدث الله عندها موتهم وهلاكهم وان نسب الموت والهلاك الى السلطان فنسبة الموت والهلاك الى السلطان من باب المجاز وعلى هذا فان جميع الاسعار والغلاء والرخص من الله تعالى (٢)

وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن الغلاء والرخص هل هما من الله تعالى أم لا ؟ فأجاب : (بأن جميع ما سوى الله تعالى من الاعيان وصفاتها وأحوالها مخلوقة لله تعالى هو خالقها ومالكها ومديرها لا رب غيره ولا اله سواه ولا شريك له في شيء من ذلك)(٣)

وعلى هذا فالغلاء والرخص هما من جملة الحوادث التي لا خالق لهما سوى الله تعالى وحده ، ولا يكون شيء منها الا بمشيئته وقدرته ، لكنه سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سببا في بعض الحوادث فارتفاع الاسعار قد يكون بسبب ظلم العباد ، وانخفاضها قد يكون بسبب احسان بعض الناس ، فالله تعالى يجعل الرغبات في القلوب (٤) وعلى هذا فقد تكون أفعال العباد سببا في بعض الحوادث

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٠

(٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٠،

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥١٩/٨

(٤) انظر نفس المصدر ٥١٩/٨-٥٢٣

٣ـ الآجـــال :ـ

هل يموت المقتول بأجله المقدر له ؟ أم بقتله قطع عليه اجله وأنقص منـــه ؟

ذهب المعتزلة الى أن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له وأنـه لو لم يقتل لحيي ، وبهذا يؤكد المعتزلة جانب مسؤلية القاتل (١)

ويرى الامام الباقلاني بأن المقتول يموت بأجله المقدور ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ((فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون))(٢)

وقال في وجه استدلاله بهذه الاية : (ان أجل الموت هو وقت الموت كما أن أجل الدين هو وقت حلوله ، وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له وأجـل الانسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت فيه لا محالة)(٣)

وأجل حياة الانسان (هو مدة الزمان الذي علم الله عز وجل أنـه يحيا اليها ، لا تجوز الزيادة عليه ولا الانتقاص منه)(٤)

فالاجل قد يطلق على مدة عمر الانسان وعلى وقت موته ٠

ويرد الباقلاني على المعتزلة بأن ما ذهبوا اليه خطأ لأن المقتول لم يمت من أجل قتل الغير له ، بل من أجل ما فعله الله سبحانه من الموت الذي وجـــد بــــه (٥)

والامام الباقلاني فيما ذهب اليه موافق لجمهور العلماء من أهـل السنة يتضح ذلك بما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية : (المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ، ولا يتأخر أحد عن أجله ، بل سائر الحيوان والاشجار لها آجال لا تتقدم ولاتتأخر ، فان أجل الشيء هو نهاية عمره ، وعمره مـــدة بقائه فالعمر مدة البقاء والاجل نهاية العمر بالانقضاء)(٦)

وقد جعل الله تعالى قتل القاتل سببا في موت المقتول تعددت الاسباب والموت واحد (فالمقتول ميت بأجله ، فعلم الله تعالى وقدر وقضـى

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١٠١،والابانة للاشعري ص١٥٠ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥١٧/٨، والتمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٢

(٢) الاعراف الاية ٣٤

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٢

(٤) نفس المصدر ص ٣٣٢

(٥) انظر نفس المصدر السابق ص ٣٣٣

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥١٦/٨

أن هذا يموت بسبب المرض ، وهذا بسبب القتل ، وهذا بسبب الهدم ، وهذا بسبب الحرق ، وهذا بالغرق الى غير ذلك من الاسباب والله سبحانه خلق الموت والحياة وخلق سبب الموت والحياة)(١)

٤- الهدى والضلال :-

يرى الامام الباقلاني أن الهداية والاضلال بيد الله تعالى فهو يهدي المؤمنين ويضل الكافرين .

ومعنى هداية الله للمؤمنين عنده أن الله (قد يهديهم بأن يخلق هداهم وينور بالايمان قلوبهم ، وقد يهديهم أيضا بأن يشرح صدورهم ويتولى توفيقهم له واعانتهم عليه .... وقد يهديهم في الآخرة الى الثواب وطريق الجنة وذلك هدى لهم من فعله)(٢)

ومعنى اضلال الله للكافرين عنده أنه (قد أضلهم بأن خلق ضلالهم قبيحا فاسدا .... وقديضلهم بترك توفيقهم وتضييق صدورهم واعدام قدرهم على الاهتداء ، وقد يضلهم عن الثواب وطريق الجنة في الآخرة)(٣)

واستدل على ذلك بقوله تعالى :((ويضل الله الظالمين))(٤)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أن الله تعالى أخبر أنه يضل ويهدي ووصف نفسه بذلك فيجب التسليم بهذا واثباته لله تعالى (٥)

وذهب المعتزلة الى أن معنى الاضلال والهداية منه تعالى الحكم والتسمية فقد أولوا الاضلال على عدة معاني فبعضهم قال : أضل عبدا اذا سماه ضالا أو أخبر أنه ضال فيكون الاضلال على هذا تسمية العبد ضالا ، وبعضهم قال: بأن الله تعالى حكم عليه أنه ضال ، فاذا قيل أن الله تعالى أضلهم فان معنى ذلك أنه سماهم ضالين أو حكم بأنهم ضالون أو أخبر بأنهم ضالون كما يقول الناس قد "ضلل فلان فلانا" "وقد سرق فلان فلانا" وهذا مبني على أصلهم الفاسد من أن أفعال العباد مخلوقة لهم (٦)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٠١،وانظر الابانة للاشعري ص ١٥٠-١٥١،ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥١٦/٨-٥١٨

(٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٥

(٣) نفس المصدر ص ٣٣٥

(٤) ابراهيم الاية ٢٧

(٥)انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٦

(٦) انظر أصول الدين للبغدادي ص ١٤١،والتمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٦ وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٨

وقد أجابهم الامام الباقلاني على هذا بعدة أجوبة منها :-

لو كان معنى الهداية والضلال على ما قلتم لم يكن لله على المؤمنين في هدايته لهم فضل ، الا على ما لبعضنا على بعض لأنّ الناس قد يسموا بعضهم بعضا بالهداية ، وعلى قولهم يكون اضلال الناس بعضهم بعضا كاضلال الله للظالمين وهذا خلاف ما اتفق عليه المسلمون ، فان الله تعالى قد امتن على المؤمنين بهدايته لهم فقال : ((يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين))(١) ولو كانت هدايته لهم هي تسميته لهم أو حكمه عليهم ، لكانوا قد منوا على أنفسهم بهذه المنة ولمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بهذه المنة فقد سماهم بذلك وحكم لهم به ، وهذا خلاف الاجماع (٢)

ولو كانت الهداية والاضلال من الله تعالى على ما وصفتم (لكان ابليس قد أضل الانبياء وسائر المؤمنين ، اذ كان قد دعاهم الى الضلال وسماهم ضالين وحكم لهم بذلك ، ولكان النبي صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون قد أضلوا الكافرين أجمعين ، اذ كانوا قد سموهم كافرين وحكموا لهم بحكم الضالين وفي اجماع الامة على خلاف هذا دليل على سقوط ما قلتم)(٣)

وقد بين علماء السلف خطأ المعتزلة فيما ذهبوا اليه من طريق اللغة والمعنى أيضا .

<u>أما من طريق اللغة</u> : فان من سمى غيره ضالا ، أو نسبه الى الضلال يقال فيه : انه ضلّله بالتشديد ولا يقال أضله وفي بيان ذلك يقول الامام الاشعري (ويقال لهم : ما معنى قول الله عز وجل : ((ويضل الله الظالمين))(٤) فان قالوا : معنى ذلك أنه يسميهم ضالين ، ويحكم عليهم بالضلال قيل لهم : .... فمن أين وجدتم في لغة العرب ، أن يقال أضل فلان فلانا أي سماه ضالا ؟ فان قالوا : وجدنا القائل يقول : اذا قال رجل لرجل : ضال قد ضلله قيل لهم : قد وجدنا العرب يقولون ضلّل فلان فلانا اذا سماه ضالا ، ولم نجدهم يقولون أضل فلان فلانا بهذا المعنى فلما قال الله عز وجل : ((ويضل الله الظالمين)) لم يجز أن يكون معنى ذلك الاسم والحكم ، واذا لم يجز في لغة

---

(١) الحجرات الاية ١٧

(٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٣٦

(٣) نفس المصدر ص ٣٣٧، وانظر أصول الدين للبغدادي ص ١٤٢، والابانة للاشعري ص١٦٠

(٤) ابراهيم الاية ٢٧

العرب أن يقال : أضل فلان فلانا اذا سماه ضالا بطل تأويلكم اننا كان خلاف لسان العرب)(١)

وقال الامام ابن القيم :(وليس في لغة أمة من الامم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداه بمعنى سماه مهتديا ، وأضله سماه ضالا ، وهل يصح أن يقال علمه اذا سماه عالما وفهمه اذا سماه فاهما)(٢)

وأما من جهة المعنى : فقد تقدم بيان الامام الباقلاني لخطأهم وأن معنى الكلام يتغير فيكون على قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أضل الكافرين لأنه سماهم بذلك وحكم عليهم به ٠

والامام الباقلاني فيما ذهب اليه في مسألة الهدى والاضلال موافق لما ذهب اليه جمهور أهل السنة من أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء،وهذا المذهب تؤيده الأدلة الصحيحة والصريحة من كتاب الله تعالى منها :-

قوله تعالى : ((انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء))(٣)

وقوله تعالى :((ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين))(٤)

وقوله تعالى:((يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء))(٥)

وقوله تعالى :((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء))(٦)

وقوله تعالى : ((من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم))(٧) الى غير ذلك من الايات التي تدل دلالة واضحة على أنه تعالى هدى اناسا فاهتدوا ، ولم يهد آخرين فلم يهتدوا ، فهدى الناس كلهم هداية دلالة وبيان ، بأن بين لهم الطريق ، طريق الخير وطريق الشر ، وهدى من اهتدى بأن وفقه الى طريق الخير وأعانه عليه ويسر له سبله ٠

وأضل من شاء من خلقه بأن جعل صدورهم ضيقة حرجة ، وجعل على قلوبهم أكنة تحول بينهم وبين تفهم القرآن ، وتفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم فطبع على قلوبهم وختم عليها فامتنعوا بذلك من وصول الهدى اليهم ٠

---

(١) الابانة للاشعري ص ١٥٨-١٥٩

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ١٤٤

(٣) القصص الاية ٥٦ ، (٤) السجدة الاية ١٣

(٥) المدثر الاية ٣١ ، (٦) الانعام الاية ١٢٥

(٧) الانعام الاية ٣٩

وقد نقل الامام الاشعري اجماع أهل السنة على أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فقال : (واجمعوا على انه عز وجل غير محتاج الى شيء مما خلقه وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء .....)(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان ذلك : (ان كل ما في الوجود فهو مخلوق له ، خلقه الله بمشيئته وقدرته ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ، ويضل ويهدي ، ويسعد ويشقي ، ويولي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويشرح صدر من يشاء للاسلام ويجعل صدر من يشاء ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، وهو يقلب القلوب ، ما من قلب من قلوب العباد الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أن يقيمه أقامه ، وان شاء أن يزيغه أزاغه ،......... وهو الذى جعل المسلم مسلما والمطي مطيا ، قال الخليل:((ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك))(٢)

وقال :((رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي))(٣)

وقال تعالى : ((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا))(٤)..... .... وقال : ((من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا))(٥) .... وهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ، وله فيما خلق حكمة بالغة ونعمة سابغة ، ورحمة عامة وخاصة ، وهو لايسأل عما يفعل وهم يسألون لا لمجرد قدرته وقهره ، بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته)(٦)

وقال ابن القيم : (وقد اتفقت رسل الله من أولهم الى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأن الهدى والاضلال بيده لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدي ، فالهداية والاضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه)(٧)

وبهذا يبين ابن القيم أنه ليس معنى اطلاق القول بأن الله يهدىمن يشاء ويضل من يشاء ، أن العبد ليس له عمل به يكون مهتديا أو ضالا أو أنه لا تأثير لقدرة العبد فى فعله كما ذهب اليه الاشاعرة بل العبد مهتد

---

(١) رسالة أهل الثغر للاشعري ص ٧٧

(٢) البقرة الاية ١٢٨ ، (٣) ابراهيم الاية ٤٠

(٤) السجدة الاية ٢٤ ، (٥) الكهف الاية ١٧

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٨/٨-٧٩

(٧) شفاء العليل لابن القيم ص ١١٧

أو ضال بفعل نفسه الذي لا يخرج عن قضاء الله وقدره .

(ومن أعجب الاشياء : أن خلق الله للعبد مشيئة يتمكن بها من كل ما يريد فيختار بها الهدى : ان كان من أهل السعادة ويختار بها الضلالة ان كان من أهل الشقاوة ، والعبد هو الذي يفعل ويعمل ويكتسب من غير ممانع له عما يريده)(١)

وقد بين الامام ابن القيم مراتب الهدى والضلال في القرآن ، وبين أن الهداية على أربعة مراتب :-

أحدها : الهداية العامة المشتركة بين جميع الخلق ، وهي هداية كل نفس الى مصالحها ومعاشها وهي المذكورة في قوله تعالى :((الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))(٢)

الثانية : الهدى بمعنى الارشاد والبيان والدلالة الى طريق الخير أو الشر والارشاد الى مصالح العباد في آخرتهم ومعادهم وهذا خاص بالمكلفين

الثالثة : هداية التوفيق والالهام المستلزمة للاهتداء ومشيئة الله لعبده الهداية وهذه المرتبة تستلزم أمرين أحدهما : فعل الرب تعالى وهو الهدى والثاني : فعل العبد وهو الاهتداء ، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي قال تعالى : ((من يهد الله فهو المهتدي))(٣) ولا سبيل الى وجود الاثر الا بمؤثره التام .

الرابعة : الهداية الى الجنة والنار يوم القيامة اذا سيق أهلهما اليهما قال تعالى : ((احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم))(٤)

وقال تعالى : ((والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم))(٥)

وقد أطال الامام ابن القيم في عرض هذه المراتب وبين ما فيها من الخصوص والعموم (٦)

---

(١) الدرة البهية للسعدي ص ٥٥

(٢) طه الاية ٥٠

(٣) الاسراء الاية ٩٧

(٤) الصافات الاية ٢٣

(٥) محمد الاية ٤

(٦) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ١١٧-١٤٨

٥- التعديل والتجويـــر :-

اتساقا مع مذهب الباقلاني في اطلاق المشيئة الالهية يجوز الباقلاني(أن يؤلم الله تعالى الاطفال من غير عوض ، وأن يأمر بذبح الحيوان وايلامه لا لنفع يصل اليهم ، وأن يسخر بعض الحيوان لبعض ، وان يفعل العقاب الدائم علـــى الاجرام المنقطعة .... وكل ذلك - عدل من فعله جائز مستحسن في حكمته)(١)

ويفسر ذلك بأن القبح ليس عقليا ، لأنّ القبيح عنده ما قبحـــه الشرع والحسن ما حسنه الشرع ، ولا يجوز عنده في أفعال الله تعالى قيـــاس الغائب على الشاهد ، لأنّ ما يقبح صدوره منا لا يقبح أن صدر عن الله تعالى أو أمر به (٢)

وفي كون الله تعالى عدلا لا يجور ولا يظلم ولا يصح نسبة الظلم والجور اليه تعالى عن ذلك ، وهذا محل اتفاق بين جميع المسلمين ، وسائر أهل الملل فعند الجميع أن الله تعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم شيئا بل هو منزه عـــن الظلم (٣)

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن حاصل الخلاف في هذه المسألـــة في معنى الظلم الذي ينزه الله تعالى عنه .

وأن الناس افترقت فيه طرفان ووسط :

الطرف الاول : قول من يقول الظلم ليس بممكن الوجود ، وأن كل ممكن اذا قدر وجوده منه فانه عدل ، والظلم هو الممتنع عند هؤلاء ، لأنّ الظلم عنـدهم امـا تصرف في ملك الغير ، وكل ما سواه ملكه ، أو مخالفة الآمر الذي تجـــب طاعته ، وليس فوق الله آمر تجب عليه طاعته ، وهذا قول المجبرة ،وهو قـــول الاشعري وأمثاله من أهل الكلام وبعض من وافقهم من الفقهاء وأهل الحديـــث والصوفية (٤)

والطرف الثاني : قول المعتزلة الذين يقولون انه عدل لا يظلـــم لأنه لم يرد وجوب شيء من الذنوب لا الكفر ولا الفسوق ولا غيرها من المعاصـــي

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٤١

(٢) انظر نفس المصدر ص ٣٤٢

(٣) انظر رسالة في معنى كون الرب عادلا في تنزهه عن الظلم لابن تيميـــة ضمن جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٢١

(٤) انظر رسالة في معنى كون الرب عادلا في تنزهه عن الظلم لابن تيميـــة ضمن جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٢١-١٢٢،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢١

بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئته ، وفعلوا ذلك عصيانا لأمره ، وهو لم يخلق شيئا من أفعال العباد لا خيرا ولا شرا ، والعباد أحدثوا المعاصي فاستحقوا العقوبة عليها ، فعاقبهم الله تعالى على أفعالهم ولم يظلمهم شيئا (١)

القول الثالث : وهو الوسط قول أهل السنة والجماعة لأنه وسط بين القدرية والجبرية فليس ما كان من بني آدم ظلما وقبيحا يكون منه تعالى ظلما وقبيحا كما تقول المعتزلة والجبرية ونحوهم فان هذا تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم وهذا لا يجوز ، فمعنى الظلم عند أهل السنة وضع الشيء في غير موضعه ، والعدل وضع كل شيء في موضعه ، والله تعالى حكم عدل يضع كل شيء في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ، ولا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين مختلفين ولا يعاقب الا من يستحق العقوبة ، فيضعها في موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل قال تعالى : ((أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون))(٢)

وقال تعالى : ((أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار))(٣)

وقال تعالى: ((أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات))(٤)

وبهذا يتبين لنا أن كل ما يفعله الله تعالى فهو عدل ، فلا يظلم الله أحدا مثقال ذرة ولا يجزي أحدا الا بذنبه ، فلا يخاف أحد ظلما و لا هضما (٥)

---

(١) انظر رسالة في معنى كون الرب عادلا في تنزهه عن الظلم لابن تيمية ضمن جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٢٣ ،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢١-٥٢٣

(٢) القلم الايتان ٣٥-٣٦

(٣) ص الاية ٢٨

(٤) الجاثية الاية ٢١

(٥) انظر رسالة فى معنى كون الرب عادلا في تنزهه عن الظلم لابن تيمية ضمن جامع الرسائل المجموعة الاولى ص ١٢٣-١٢٤ ،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢١-٥٢٤ ولوامع الانوار البهية للسفاريني ص ٣٢٧-٣٢٨

الفصل العاشر

رأي الامام الباقلاني في النبوات في ضوء عقيدة السلف .

وفيه مباحث :-

المبحث الاول :- اثبات الامام الباقلاني للنبوات ورده على من أنكرها .

المبحث الثاني :- المعجزة معناها وشروطها والفرق بينها وبين السحر عند الامام الباقلاني .

المبحث الثالث :- اثبات الامام الباقلاني لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه مسائل :-

الاولى : القرآن معجزة الاسلام الخالدة .

الثانية : باقي معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثالثة : أوجه اعجاز القرآن عند الامام الباقلاني والرد على من قال بالصرفه .

المبحث الاول

اثبات الامام الباقلاني للنبوات ورده على من أنكرها .

اثبات الامام الباقلاني للنبوات ورده على من أنكرها :ـ

تمهيـــد :

لا شك أن البشرية بحاجة لمن يدلها على الطريق الصحيح والمنهج السليم ، وأن الناس على مر العصور كانوا محتاجين لمن يهديهم سواء السبيل ويعرفهم على الشرع المستقيم ، لذلك فان الله سبحانه وتعالى أرسل رسله رسولا بعد رسول لهداية الناس الى طريق الخير وابعادهم عن طريق الشر،ولكن هل ارسال الرسل جائز أم واجب على الله تعالى أم مستحيل فى حقه تعالى ؟

١ ـ ذهب البراهمة (١) الى القول باستحالة النبوات عقلا ٠

٢ ـ وذهب المعتزلة وبعض الشيعة الى وجوب النبوات عقلا وأنه يجب على الله تعالى ارسال الرسل لطفا بالناس ورأفة بهم (٢)

٣ ـ وذهب الاشاعرة وجمهور أهل السنة الى جواز النبوات عقلا وأنها واجبة سمعا وشرعا ، وأما الوجوب العقلي فقالوا بأنه لا يجب على الله تعالى الا ما أوجبه على نفسه (٣) ، وسيأتي الرد على الاقوال المخالفة مفصلا ٠

وسأعرض رأي الامام الباقلانى فى اثبات النبوات ثم أعقب بالرد على الاقوال المخالفة تفصيلا ٠

يثبت الامام الباقلاني النبوات ويجوز أن يرسل الله تعالى الرسل وفي بيان ذلك يقول : (ويجب أن يعلم أنه يجوز لله تعالى ارسال الرسل وبعث الانبياء ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠)(٤)

واستدل على جواز ارسال اللـه تعالى للرسل بأدلة كثيرة نذكر منهـا :ـ

الاول : انه اذا لم يكن في ارسال الرسل افساد للتكليف ، ولا قلب لبعض الادلة ولا اخراج للقديم عن قدمه ، ولا قلب للحقائق ، ولا الحاق نقيصة

---

(١) البراهمة ينتسبون الى برهم ، وهي ديانة هندية ،من أهم عقائدهم القول بتناسخ الارواح،وقسموا الناس الى طبقات أعلاها البراهمة،وقد قالوا باستحالة النبوة أصلا ورأسا ٠

انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/٢٥٠ـ٢٥١

(٢) انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ٥٦٣،والمحيط بالتكليف له ص ٢١ـ٢٢

(٣) انظر نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٤١٧،وغاية المرام للامدي ص ٣١٨،ولوامع الانوار للسفاريني ٢/٢٥٦،وشرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ١٠٩

(٤) الانصاف للباقلاني ص ٦١

بالمرسل عز وجل ، وكان في الرسالة تعريف للخلق بالثواب الجزيل والنفع العظيم صح ذلك في حكمة الله تعالى ، وكان هذا عدلا من فعله عز وجل (١)

الثاني : ومما يدل على جواز ارسال الله تعالى للرسل علمنا بأن اليهود والنصارى والمسلمين قد أطبقوا على نقل اعلام موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام والكذب مستحيل جوازه على مثلهم ، بحيث يجتمعوا جميعا في بقعة واحدة ويتوافقون على الكذب ونقله واذاعته ، لأنّ اجتماعهم متعذر ولو أمكن اجتماعهم لتعذر في مستقر العادة تواطؤهم على وضع الكذب ونقله وفي بطلان زلك دليل على صحة اثبات النبوات (٢)

الثالث : ومما استدل به الباقلاني قوله : (انه - سبحانه - مالك الملك يفعل ما يشاء مع ما سبق من أنه ليس في ارسال الرسل استحالة ولا خروج عن حقائق العقول فدل على جواز ذلك)(٣)

وأهل السنة عندما قالوا بأن اثبات النبوات وارسال الرسل جائز عقلا وواجب سمعا وشرعا ، ما قالوا ذلك الا نظرا لحاجة البشرية للرسالة والى من يهديهم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وفي بيان ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (والرسالة ضرورية للعباد ، لا بد لهم منها ، وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء ، والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأي صلاح للعالم اذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينا له من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الاموات قال الله تعالى :((أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...))(٤) فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الايمان ...... وأما الكافر فميت القلب في الظلمات ......)(٥)

ويبين الامام ابن القيم حاجة العباد الى الرسالة والرسل فيقول:

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٢٩

(٢) انظر نفس المصدر ص ١٢٩-١٣٠

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٦١

(٤) الانعام الاية ١٢٢

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/٩٣-٩٤

(ومن ههنا يعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة الى معرفة الرسول وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر به ، فانه لا سبيل الى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الاخرة الا على أيدي الرسل ، ولا سبيل الى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل الا من جهتهم ، ولا ينال رضى الله البته الا على أيديهم ، فالطيب من الاعمال والاقوال والاخلاق ، ليس الا هديهم وما جاؤوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الاقوال والاخلاق والاعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة اليهم أعظم من ضرورة البدن الى روحه ، والعين الى نورها ، والروح الى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته الى الرسل فوقها بكثير ....)(١)

وأما من أنكر النبوات من البراهمة ، فلا بد من عرض آرائهم و رد الامام الباقلاني عليهم .

بين الامام الباقلاني أن للبراهمة في النبوات رأيين فمنهم من أنكر النبوة أصلا ورأسا ، ومنهم من أثبتها لبعض الانبياء ونفاها عن البعض الآخر وفي بيان ذلك يقول : (وقد افترقت البراهمة على قولين : فمنهم قوم جحدوا الرسل وزعموا أنه لا يجوز في حكمة الباري وصفته، أن يبعث رسولا الى خلقه ، وأنه لا وجه من ناحيته يصح تلقي الرسالة عن الخالق .

وقال الفريق الآخر : ان الله ما أرسل رسولا من خلقه سوى آدم وكذبوا كل مدع للنبوة سواه ، وقال قوم منهم بل ما بعث الله غير ابراهيم وحده ، وأنكروا نبوة من سواه ، وهذا جملة قولهم)(٢)

والحقيقة أن ما قاله الامام الباقلاني من أن البراهمة قد ذهبوا الى انكار النبوات واستحالتها هو الذي ذهب اليه معظم من كتب في الفرق وأصول الديانات والعقائد (٣) .

الا اني قد رأيت كلاما لبعض العلماء المعاصرين يفيد بأن البراهمة

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٦٩/١

(٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٠٤

(٣) انظر نهاية الاقدام ص ٤١٧،والملل والنحل ٢٥٠/٢-٢٥١،وشرح الاصول الخمسة ص ٥٦٣،والمواقف للايجي ص ٣٤٤،والعقيدة النظامية للجويني ص ٦٣،ولمع الادلة له ص ١٢٣،والارشاد له ص ٣٠٢،وغير ذلك .

لا تنكر النبوات ، وأن ابن الراوندي[1] الملحد خدع الناس فعبر عن آرائه الخاصة في انكار النبوة واستتر بنسبتها الى البراهمة ، وأن المؤرخين الاسلاميين كالباقلاني،وابن حزم،والبغدادي،والشهرستاني،وغيرهم قد أخطؤا في نسبة القول بانكار النبوة الى البراهمة ، وأن الذي عرف عنه حقا انكار النبوة هو ابن الراوندي والرازي الطبيب (٢) (٣)

وعلى أي حال سواء أكان المنكر للنبوة البراهمة أم غيرهم ، فقد وجد من أنكر النبوة واستدل على انكارها بشبه كثيرة ، واليك بعض شبه البراهمة في انكار النبوة ورد الباقلاني عليها وهي ردود تصلح لكل من قال بانكار النبوة :-

أولا : أنه ليس صحيحا في اعتقاد البراهمة ومنكري النبوة - أن يبعث الله رسولا الى خلقه من جنس المرسل اليهم ومن جوهرهم ، وان تحقق هذا فبماذا يفضل الواحد على الآخر ، وتفضيل أحد المتساويين على مثله ونوعه ظلم وجور وخروج عن الحكمة وذلك لا يجوز على القديم (٤)

أجابهم الامام الباقلاني : ولماذا يكون تفضيل الله سبحانه وتعالى لبعض على بعض ظلما وجورا وخروجا عن الحكمة ، فان الله تعالى يفضل بعض خلقه على بعض ويرفع بعضهم على بعض ، وتفضيله هذا ليس ظلما للبعض ولا جورا لهم بل هو منتهى العدل ، بل من الحكمة أن يكرم الله من يشاء من عباده (٥)

ثانيا : قالوا في العقل مندوحة عن البعثة ، لأن الرسل اذا جاءت بما يدرك العقل ، لم يكن في ارسالهم فائدة ، وان جاءت بما لا يدرك العقل

---

(١) أحمد بن يحيى بن اسحاق،أبو الحسين الراوندي ،أو ابن الراوندى،فيلسوف مجاهر بالالحاد،أصله من راوند من قرى أصبهان،وسكن بغداد ونشأ بها ،كان من متكلمي المعتزلة ثم تزندق،ولد سنة ٢٠٠هـ وتوفي سنة ٢٩١هـ،من مصنفاته نعت الحكمة،والزمردة وغير ذلك .

انظر البداية والنهاية ١١/١٢٠،والعبر للذهبي ١/٤٣٩،والاعلام للزركلي ١/٢٦٧

(٢) محمد بن زكريا الرازي،أبو بكر،فيلسوف،ومن الائمة في صناعة الطب،من أهل الرى ولد بها سنة ٢٥١هـ،ومات ببغداد سنة ٣١٣هـ،من مصنفاته الحاوي في الطب والفصول في الطب وغير ذلك .

انظر الاعلام للزركلي ٦/١٣٠،

(٣) انظر آراء أبي بكر بن العربي الكلامية د/ عمار الطالبي ١/٢٦٨-٢٧٠

(٤) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٠٤-١٠٥،والملل والنحل ٢/٢٥١-٢٥٢

(٥) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٠٥

فلا يقبل ما يخالف العقل (١)

وعبر الباقلاني عن شبهتهم هذه بقوله : (وان قالوا : الدليل على منع ارسال الرسل والغنى عنهم أن الله أكمل العقول وحسن فيها الحسن وقبح فيها القبيح وجعلها دلالة على مراشد الخلق ومصالحهم ومنع بها من التظالم وجعلها دلالة وذريعة الى علم كل ما يحتاج اليه ، وليس يجوز أن يأتي الرسل بغير ما وضع في العقل ، فدل ذلك على الغنى عنهم وعدم حاجة الخلق اليهم) (٢)

والصحيح أن العقل لا يحل محل الرسل كما تدعي البراهمة ولا يكون هو الطريق الى العلم بقبح الفعل أو بحسنه (٣)

فهذا الادعاء مرفوض من الباقلاني لاعتقاده-كأشعري - أن الاحكام بأسرها لا تثبت للافعال الا بالشرع دون العقل ، كما أن الاعتماد على العقل وحده كطريق الى العلم في حال عدم وجود الرسل مرفوض عند الباقلاني أيضا لاعتقاده بأننا لا نستطيع معرفة الاحكام فيما اذا كانت قبيحة أو حسنة الا بالشرع دون قضية العقل (٤)

وبين الباقلاني للبراهمة أن دعواهم غير صحيحة وأن أحكام الاشياء لا تثبت الا بالسمع لأنها بدون السمع لا تكون طاعة لله تعالى ولا قربة اليه ولا يثاب صاحبها فقال : (لا بد من سمع يأتي على لسان رسول يفصل ما قرر السمع وجوبه ، وعلم أن العلم بالقرب وحصول الثواب عليها لا يجوز أن يثبت عقلا ، فقد بطل قولكم ان جميع ما يحتاج اليه العباد من المراشد والمصالح مدرك من ناحية العقول)(٥)

ثم بين الباقلاني لهم أنه اذا كان الاعتماد على العقل دون السمع فكيف يعلم العلم بوجوب الصلاة وتقديرها ، والزكاة ونصابها ، وحسن ايجاب الدية على العاقلة ، وتقبيل الحجر والسعي بين الصفا والمروة ، وقبح شرب الخمر والوطأ بغير عقد .... وقبح ترك الصلوات وغير ذلك (٦)

---

(١) انظر المواقف للايجي ص ٣٤٤،والارشاد للجويني ص ٣٠٣،ولمع الادلة له ص١٢٣ والعقيدة النظامية ص ٦٣،وشرح الاصول الخمسة ص٥٦٣،والملل والنحل ٢٥١/٢

(٢) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٢١

(٣) انظر نفس المصدر ص ١٠٥ ، (٤) انظر نفس المصدرص ١٢١

(٥) انظر نفس المصدر ص ١٠٥ ، (٦) انظر نفس المصدر ص ١٢٤

فهذا لا سبيل الى وجوب معرفته بالعقل بل بالسمع ، لأنه هو الذي يكشف عما ينال من الثواب والعقاب ، وبه يحظر الله عز وجل الجهل بوجوده وترك النظر فيما يؤدي الى معرفته على من كلفه ذلك من خلقه ، فعلم من هذا أن العلم بوجوب الافعال وحظرها واباحتها غير مدرك بقضايا العقول بل بالسمع وبهذا يبطل قول البراهمة بأن العقل يستغنى به في ادراك جميع المصالح ويستغنى به عن النبوة (١)

وقد رد العلماء على شبهة البراهمة هذه بردود أخرى نذكرمنها :

ما أجاب به امام الحرمين بقوله : (الشرع يرشد الى ما لا يستدرك بمحض العقول ، ولا يرد بما يقضي العقل بخلافه ، واذا لم يكن في ارسال الرسل استحالة أو خروج عن الحقيقة فيجب الحكم بجوازه)(٢)

وقال في موضع آخر : (انهم جاؤا - أي الرسل - بما لا تنكره العقول ولا تهتدي اليه ، فان مناط الشرائع الوعد والوعيد وبهما تتعلق الاحكام والعقول لا تدركهما ، ولئن تشوفت العقول الى كليات المصالح، لم تقف على تفاصيلها والشرائع توضحها)(٣)

وأجاب الآمدي على شبهتهم هذه بقوله : (ان الرسول لا يأتي الا بما لا تستقل به العقول ، بل هي متوقفة فيه على المنقول ، وذلك كما في مسالك العبادات ، ومناهج الديانات ، والخفى مما يضر وينفع من الاقوال والافعال وغير ذلك مما تتعلق به السعادة والشقاوة في الاولى والآخرى ، وتكون نسبة النبي الى تعريف هذه الاحوال ، كنسبة الطبيب الى تعريف خواص الادوية في العقاقير التي يتعلق بها ضرر الابدان ونفعها)(٤)

وقد رد الامام ابن القيم على منكري النبوات وعلى حجتهم أن في العقل ما يغني عن النبوة ، وصاغ لذلك نصا جامعا بين فيه مهمة العقل وأنه محصور له حدود ، وأن مهمة الرسل هي تكميل ما يعجز العقل البشري عن ادراكه قال فيه : (غاية العقل أن يدرك بالاجمال حسن ما أتى الشرع بتفصيله أو قبحه فيدركه العقل جملة ، ويأتي الشرع بتفصيله ٠٠٠٠٠٠٠٠ وما كان حسنا في وقت

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٢٦

(٢) لمع الادلة للجويني ص ١٢٣

(٣) العقيدة النظامية للجويني ص ٦٣

(٤) غاية المرام للامدي ص ٣٢٦

قبيحا في وقت ، ولم يهتد العقل لوقت حسنه من وقت قبحه ، أتت الشرائع بالامر بهفي وقت حسنه ، وبالنهي عنه في وقت قبحه ، وكذلك الفعل يكون مشتملا على مصلحة ومفسدة ، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح من مصلحته فيتوقف العقل في ذلك فتأتي الشرائع ببيان ذلك وتأمر براجح المصلحة وتنهى عن راجح المفسدة ، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره ، والعقل لا يدرك ذلك فتأتي الشرائع ببيانه فتأمر به من هو مصلحة له وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقه ، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر ، وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي اليها العقل فلا يعلم الا بالشرع كالجهاد والقتل في الله ، ويكون في الظاهر مصلحة وفي ضمنه مفسدة عظيمة لا يهتدي اليها العقل فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة والمفسدة الراجحة هذا مع أن ما يعجز العقل من ادراكه من حسن الافعال وقبحها ليس بدون ما تدركه من ذلك .... - الى أن يقول - فاذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الافعال وقبحها فمن أين له معرفة الله بأسمائه وصفاته ، والاية التي تعرف بها الله الى عباده على ألسنة رسله ، ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده ،ومن أين له تفاصيل مواقع محبته ورضاه وسخطه وكراهته ، ومن أين معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه وما أعده لأوليائه وما أعد لأعدائه ، ومقادير الثواب والعقاب وكيفيتهما ودرجتهما ، ومن أين له معرفة الغيب الذى لم يظهر الله عليه أحد من خلقه الا من ارتضاه من رسله الى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله ، وليس فى العقل طريق الى معرفته ، فكيف يكون معرفة حسن بعض الافعال وقبحها بالعقل مغنيا عما جاءت به الرسل)(١)

ثالثا : قالوا : وجدنا كل من يدعي النبوة يزعم أنه لا طريق الى العلم بصدقهم الا بوجود محالات يمنع العقل وجودها - من نحوفلق البحر وقلب العصا حية واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وما جرى مجرى ذلك(٢)

سألهم الباقلاني ماذا تريدون بقولكم ان هذه الامور مستحيلة ممتنعة في العقل ؟ أتريدون بذلك أنها مستحيلة في العادة أو فى قدرة الصانع عز وجل .

فان قالوا : في قدرة الصانع ألحدوا وتركوا دينهم ، وان قالوا أردنا ان هذه الامور مستحيلة في العادة قيل لهم : فلماذا أنكرتم أن ينقض الله تعالى العادات ويظهر المعجزات على أيدي رسله لما أراده من حسن النظر

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١١٧/٢-١١٨

(٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١١٢

لهم ، ولمن يؤمن بهم كما جاز وحَسُن منه سبحانه أن يحتج عليهم بعقولهم؟ فلا يجدون لذلك جوابا (١)

رابعا : قالوا : وجدنا الشرع وتتبعنا شرائع الرسل فوجدنا فيها أمور أباحوها وأوجبوها وهي مستقبحة عقلا ، ونحن نعلم أن الحكيم لا يأمر بالفواحش ولا يندب الى القبائح ، وذكروا من هذه القبائح العقلية في نظرهم ذبح البهائم غير المضرة واستسخارها وسلخها وايلامها ، وقبح السعي بين الصفا والمروة ، والطواف بالبيت وتقبيل الحجر والامتناع عن الطعام والشراب وتحمل الجوع والعطش في أيام الصيام ٠٠٠٠٠٠٠ الى غير ذلك من الاشياء التي ذكروها وقالوا بأنها مستقبحة في العقل (٢)

أجابهم الامام الباقلاني على ذلك بأنا لو سلمنا لكم أن ذبح البهائم وايلامها محظور في العقل فان هذا يكون اذا لم يبح ذلك فيها مالكها وعلى هذا فلا يكون ذبحها محظورا أيضا مع اطلاق المالك له ، لأن الحظر فيهما بشريطة عدم اذن مالكه فيه ،واذا أذن فيه المالك فلا يكون محظورا (٣)

وأجابهم على ما ذكروه من أمور مستقبحة في العقل - على حد زعمهم - كالسعي بين الصفا والمروة ، والصيام ، وتقبيل الحجر ٠٠٠٠٠ الخ بأنه لماذا لا يكون هذا كله حكمة اذا علم الله سبحانه أن فعله والتعبد به صلاح لكثير من خلقه وداع لهم الى فعل الخير وترك الشر مما ينالون به جزيل الثواب (٤)

وهكذا استمر الامام الباقلاني في الرد عليهم ، وفي تفنيد شبهاتهم حتى أتى عليها جميعا ٠

وقد أجاب على هذه الشبهة امام الحرمين بقوله : (معاشر البراهمة انكم بزعمكم معترفون بالصانع المختار ، ثم بنيتم رد النبوات على تقبيح العقل وتحسينه ، وكل ما ادعيتم قبحه ، مأمور به ، فنحن نريكم مثله من فعل الله تعالى ، فأما ذبح البهائم ، فالله تبارك وتعالى يهلك البهائم بأسباب الهلاك من غير جريرة قارفوها ، ويحل بهم من الآلام ما يشاء ولا معترض عليه فما لم يقبح منه فعله لم يقبح منه الامر به)(٥)

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١١٢-١١٣

(٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١١٤،١١٩،والمواقف للايجي ص ٣٤٨ والارشاد للجويني ص ٣٠٤-٣٠٥،والعقيدة النظامية له ص ٦٣

(٣) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١١٦

(٤) انظر نفس المصدر ص ١٢٠

(٥)العقيدة النظامية للجويني ص٦٣-٦٤،وانظر الارشاد له ص ٣٠٥-٣٠٦

ويمكن أن يجاب أيضا بأن غاية ذلك عدم الوقوف على الحكمة ولايلزم من عدم الوقوف على الحكمة عدم وجود حكمة خفيت عنا وعن عقولنا ولعل هناك مصلحة استأثر الله بالعلم بها . (١)

---

(١) انظر المواقف للايجي ص ٣٤٩

المبحث الثاني

المعجزة معناها وشروطها والفرق بينها وبين السحر عند الامام الباقلاني ٠

المعجزة معناها وشروطها والفرق بينها وبين السحر عند الامام الباقلاني .

تمهيد :-

قبل الخوض في اثبات الامام الباقلاني لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا بد من بيان معنى المعجزة عند الامام الباقلاني وما هي شروطها وصفاتها وما الفرق بينها وبين السحر ، مع بيان المذهب الراجح في كل ذلك .

١- معنى المعجزة :-

المعجزة في اللغة : اسم فاعل من أعجز يعجز فهو معجز ، وانما زيدت التاء في آخره للمبالغة كما في قول العرب علامة ونسابة (١)

وفي تاج العروس : ان أصل المادة مأخوذ من العجز ومعناه الضعف وعدم القدرة على الفعل ، كما في قوله تعالى : ((يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين))(٢) (٣)

(والمعجزة واحدة معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) (٤)

وانما سميت المعجزات بهذا الاسم لأن الناس عجزوا عن معارضتها والاتيان بمثلها (٥)

قال البغدادي : (المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة والمعجز في الحقيقة فاعل العجز في غيره وهو الله تعالى كما أنه هو المقدر لأنه فاعل القدرة في غيره ، وانما قيل لاعلام الرسل عليهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل اليهم عن معارضتهم بأمثالها)(٦)

أما المعجزة في اصطلاح العلماء ، فقد اختلفت عباراتهم فيها وسأذكر تعريف العلماء لها وبيان الراجح منها :-

عرف الامام الباقلاني المعجزة بأنها : (أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الانبياء وتحديهم للامم بالاتيان بمثل ذلك)(٧)

وذكر في موضع آخر أن الاعجاز : (انما هو اقدار الله سبحانه لهم - أي الانبياء - على ما يقدرهم عليه من هذه الأمور ومنع الغير منه وخرق العادة بتمكينهم من فعل كثير هذه الاجناس على وجه لم تجري العادة بالاقدار على مثله حتى يختص بذلك كون المعجز من مقدورات القديم سبحانه التي ينفرد

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة عجز فصل العين حرف الزاي ٢٣٦/٧

(٢) المائدة الاية ٣١

(٣) تاج العروس للزبيدي فصل العين حرف الزاي ٤٩/٤

(٤) مختار الصحاح للرازي ص ٢١٠

(٥) انظر الارشاد للجويني ص ٣٠٧-٣٠٨، والعقيدة النظامية ص٦٥، وغاية المرام ص ٣٣٢-٣٣٣

(٦) أصول الدين للبغدادي ص ١٧٠ ، (٧) الانصاف للباقلاني ص ٦١

بهـــا) (١)

ويبدوا من تعريف الامام الباقلاني للمعجزة أنه سلك في تعريفهـا ما سلكه بعض العلماء من تعريف المعجزة بذكر صفاتها المميزة لها عن غيرها •

وممن ارتضى هذا المسلك امام الحرمين حيث قال في تعريفها :(هـي أفعال الله تعالى الخارقة المستمرة الظاهرة على حسب دعوى النبوة)(٢)

ويظهر من هذه التعاريف أنها ناقصة لأن عجز الخصم عن المعارضـة بالاتيان بمثله يعتبر أمرا جوهريا في المعجزة ولم يذكره الامام الباقلاني ولا امام الحرمين ، فان صدور الخارق للعادة لا يعتبر معجزة الا اذا عجز الخصوم المنكرون عن الاتيان بمثله •

وكذلك فان قولهم أن المعجزة أفعال الله تعالى ، لا يدخل فيهـا ما ليس فعلا بأن يكون تركا للفعل مثلاً ، لأن المعجزة قد تكون فعلا وقد تكون تركا للفعل •

وقد عرف بعض العلماء المعجزة بمفهومها مع قطع النظر عن صفاتها المميزة لها ولم يذكروها صراحة في التعريف بل جعلوها شروطا لها •

وممن سلك هذا القاضي عبد الجبار حيث قال : (بأنها الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة)(٣)

وكذلك التفتازانى بقوله : (هي أمر يظهر بخلاف العادة على يـدي مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله)(٤)

وهذه التعاريف لا تخلو من الاعتراضات الواردة عليها ولا يتسـع المجال لذكرها •

ولعل من أوضح التعاريف للمعجزة ما ذكره الايجي والآمدي من علماء الكلام ، قال الايجي : (وهي عندنا ما قصد به اظهار صدق من ادعى أنه رسول اللـه)(٥)

وقال الآمدي : (وأما حقيقة المعجزة فهي كل ما قصد به اظهار صدق المتحدي بالنبوة المدعي للرسالة)(٦)

---

(١) كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني ص ٣٥-٣٦

(٢) لمع الادلة للجويني ص ١٢٤

(٣) شرح الاصول الخمسة ص ٥٦٨

(٤)شرح العقائد النسفية ض ٨٦

(٥) المواقف للايجي ص ٣٣٩

(٦) غاية المرام للامدي ص ٣٣٣

فان كلا من هذين التعريفين يعتبر جامعا مانعا ، فقد بين كل منهما معنى المعجزة واقتصر في التعريف عليه ، الا أن هذا المفهوم لايتحقق الا بذكر الشروط اللازمة للمعجزة والتي ستذكرها بعد قليل .

ولا يفوتني أن أذكر ما يراه شيخ الاسلام ابن تيمية في معنى المعجزة حيث قال : (وأما لفظ المعجزة فانما يدل على انه أعجز غيره كما قال تعالى ((وما هم بمعجزين))(١) وقال :((وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء))(٢) ومن لا يثبت فعلا الا لله تعالى يقول المعجز هو الله ، وانما سمي غيره معجزا مجازا)(٣)

وبين ابن تيمية في موضع آخر أن المعجزة هي الامر الخارق للعادة(٤) الا أنه يرى أن المعجزة تعم كل خارق للعادة سواء كان للنبي أو للولي فقال : (اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة ، وعرف الائمة المتقدمين كالامام أحمد بن حنبل وغيره ، ويسمونها الايات لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي ، والكرامة للولي وجماعهما الامر الخارق للعادة)(٥)

ويرى ابن تيمية أن يسمى ما يخص النبي آية أو برهان لأنّ هذه الكلمات أكثر دلالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة بخلاف لفظ معجزة ، لأنّ علامة صدق الرسول في دعوى رسالته ما يقدمه من آيات تشهد بصحة دعواه وما يحتج به من براهين تؤيد قوله ، وتسمية ما يقدمه الرسول على صدقه آية أو برهانا أكثر مطابقة لمسمى النبوة ولا تتخلف عنه أبدا بخلاف كلمة معجزة أو خارق للعادة فان دلالتها على صدق المدعي قد تتخلف مع أنها تكون خارقة للعادة ومعجزة للغير ، كما في شأن الكهان والسحرة والشرط في الدليل أن لا يتخلف عن مدلوله ، وهذا يوضح سر تسمية القرآن لها بأنها آية أو برهان ولم يسمها أبدا معجزة (٦)

---

(١) النمل الاية ٤٦ ، (٢) العنكبوت الاية ٢٢

(٣) دقائق التفسير لابن تيمية ١/١٥٠

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٣١١-٣١٢

(٥) المعجزة وكرامات الاولياء لابن تيمية ص ٢٧،وانظر دقائق التفسير له ١/١٥٠

(٦) انظر تفصيل رأي ابن تيمية هذا في كتاب النبوات ص ١٩٢-٢٠٦ ، ودقائق التفسير له ١/١٥٠-١٥١

وفي ذلك يقول : (والله تعالى سماها آيات وبراهين وهو أسم مطابق لمسماه مطرد لا ينتقض فلا تكون قط الا آيات لهم وبراهين)(١)

وأرى أن رأيه هذا رأي سليم موافق للكتاب والسنة ..

وهناك تعريف للمعجزة عند الامام ابن القيم على انها آية خارقة للعادة يظهرها الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده تصديقا له في دعواه مع عجز سائر المخلوقات عن معارضتها والاتيان بمثلها (٢)

بعد هذا ننتقل للحديث عن شروط المعجزة :-

٢- شروط المعجزة :-

هناك شروط للمعجزة ذكرها العلماء ، وسنعرض شروط المعجزة عند الامام الباقلاني ثم نعقب عليها بالتعليق وبأقوال العلماء الذين ذكروا هذه الشروط .

يرى الامام الباقلاني أن هناك شروطا للمعجزة لا تتحقق الا بها ومن هذه الشروط :

الشرط الاول :- أن تكون المعجزة مما ينفرد الله سبحانه وتعالى بالقدرة عليها دون سائر خلقه .

وعبر عن هذا الشرط بقوله :(أن تكون آياتهم من أفعال الله سبحانه التي ينفرد بالقدرة عليها دون سائر خلقه ، .... أو بأن تكون من مقدوراته ومن الجنس الذي لا يقدر العباد على مثله ، اذا وقع منهم على وجه يخرق وطريق يتعذر مثله على غيرهم)(٣)

وقال أيضا : (أن المعجز لا يكون عندنا معجزا حتى يكون مما ينفرد الله عز وجل بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدر الخلق من الملائكة والبشر والجن)(٤)

الى أن قال : (واذا ثبت ذلك ، وجب العلم بأن معنى وصفه بأنه معجز للرسل أنه مما لا قدرة للعباد عليه أو مما لا يصح لهم القدرة عليه)(٥)

ودليله على ذلك أن الخلق لو صح أن يعجزوا لصح أن يقدروا بدلا

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ١٩٣

(٢) انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ١١٣

(٣) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني ص ٤٥ ، وانظر اعجاز القرآن لـه ص ٢٨٨

(٤) البيان للباقلاني ص ٨

(٥) نفس المصدر ص ٨

من العجز عنه ، وذلك أنه لا يصح عجز الخلق الا عن ما تصح قدرتهم عليه (١)

ويرى الباقلاني أن المعجز لا يدخل تحت قدرات العباد لأنه ليس باستطاعة العبد أن يأتي بالاجسام ، والالوان ، والحياة لأنه مخلوق من الله تعالى وهو عرض مثلها ، والعرض لا يخلق العرض ولا يفعله ، والفاعل هو مكتسب من الخالق سواء كان بشرا أو ملائكة أو جنا ولا يصح أن توجد أفعاله الا في محل قدرته غير متعدية عنه ، فلو قدر القادر منا على فعل الاجسام لوجب لا محالة وجودها في نفسه وحيزه ، مما يوجب اجتماع الجسمين والاجسام الكثيرة في حيز واحد وهذا محال ، كما أنه محال أن يقدر القادر منا على فعل عرض في غيره فيوجد العرض في محلين ، ومحال أيضا أن توجد الذات الواحدة في حيزين والا فانه اذا حصل يصبح الجوهر الواحد الذي لا ينقسم في حيزين وهذا محال ، لان الجوهر لا يتجزأ ولذلك لا يقدر القادر منا على فعل عرض في غير محل قدرته (٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وهذا القول وهو أن المعجزة لاتكون الا مقدورة للرب لا للعباد قول كثير من أهل الكلام من القدرية والمثبتة للقدر وغيرهم ، ثم انهم لما طولبوا بالدليل على انه لا يجوز أن تقدر العباد على مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى ونحو ذلك مما ذكروا أنه يمتنع أن يكون مقدورا لغير الله ، اعتمدوا في الدلالة على أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، فلو جاز أن يكون العبد قادرا على هذه الامور ، لوجب أن لا يخلو من ذلك ومن ضده وهو العجز أو القدرة على ضد ذلك الفعل ، كما يقولونه في فعل العبد انه اذا لم يقدر على الفعل فلا بد أن يكون عاجزا أو قادرا على ضده)(٣)

الى أن قال : (وقالوا أيضا ونحن لا نحس من أنفسنا عجزا عن ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى لكننا غير قادرين عليها ، ولا يجوز أن نقدر عليها .... ولهذا قالوا لا ينبغي أن تسمى هذه معجزات لأن ذلك يقضي أن الله أعجز العباد عنها ، وانما يعجز العباد عما تصح قدرتهم

---

(١) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني ص ٩

(٢)انظر نفس المصدر ص ٦٤-٦٥

(٣)النبوات لابن تيمية ص ٢٩

هذا كلام القاضي أبي بكر - يعني الباقلاني - ومن وافقه)(١)

ثم أجاب شيخ الاسلام ابن تيمية على كلامهم هذا : بأن هذين الجوابين مجرد دعوى لا دليل عليها ، فكيف يجوز أن يكون الفرق بين المعجزة وغيرها مبنيا على مثل هذا الكلام الذى ينازعه فيه أكثر العقلاء ؟ ولو كان صحيحا فلا يفهم الا بمشقة ، ولا يفهمه الا قليل من الناس ، ولهذا لما رآى المتأخرون ضعف هذا الفرق كأبي المعالي والرازي والآمدي وغيرهم حذفوا هذا الشرط وهو كون المعجزة مما ينفرد الباري بالقدرة عليها ، واكتفوا بأن تكون خارقة للعادة ، وأن يستدل بها على النبوة ، وأن يتحدى بها ، وأبقوا هذه الشروط الثلاثة فقط (٢)

فهذا الشرط قد عرف أنه لا حقيقة له ولهذا أعرض عنه أكثر الاشاعرة والمتكلمين (٣)

لأن هذا الشرط كما بين شيخ الاسلام ابن تيمية لا حقيقة له لأن جميع الحوادث عند الباقلاني مما يختص الرب بالقدرة عليها ، وكل ما خرج عن قدرة العبد فالرب عندهم مختص بفعله كخوارق السحرة والكهان (٤)

ثم بين ابن تيمية أن حقيقة قولهم أنه لا فرق عندهم بين المعجزات والخوارق الاخرى فقال : (وحقيقة الامر أنه لا فرق عندهم بين المعجزات والكرامات والسحر والكهانة لكن هذه اذا لم تقترن بدعوى النبوة لم تكن آية ، واذا اقترنت بها كانت آية بشرط أن لا تعارض)(٥)

وقد رأيت أن معظم العلماء قد اشترط في المعجزة أن تكون فعلا لله تعالى ، أو ما يقوم مقامه ، ومعنى كون المعجزة فعلا لشيء أو منعا له مثل أن يحيي الله الميت فذلك فعل من الله .

ومعنى ما يقوم مقام الفعل كأن يقول النبي معجزتي أن أضع يدي على رأسي وأنتم لا تقدرون عليه ، ففعل وعجزوا ، فان ذلك معجزة للنبي وهي منع من الفعل والمانع هو الله تعالى (٦) وأرى أن هذا لا يخرج عما اشترطه الامام الباقلاني .

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ٢٩ ، (٢) انظر نفس المصدر ص ٢٩-٣٠،ص ١٣٩

(٣) انظر نفس المصدر ص ١٤١ ، (٤) انظر نفس المصدر ص ١٩٥

(٥) نفس المصدر ص ١٩٥

(٦) انظر الارشاد لامام الحرمين ص ٣٠٨-٣٠٩،والعقيدة النظامية له ص ٦٥،وشرح الاصول الخمسة ص ٥٩٦،والمواقف للايجي ص ٣٣٩،وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٣٣ ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٣

الشـرط الثاني : والشرط الثاني الذي شرطه الباقلاني للمعجزة فهو أن تكون المعجزة خارقة للعادة وقال في ذلك : (أن يكون ذلك الشيء الذي يظهر على أيديهم مما يخرق العادة وينقضها ومتى لم يكن كذلك لم يكن معجزا)(١)

ومعنى خرقها للعادة أن تكون خارقة للامور التي اعتاد الناس عليها وقد اشترطه جمهور العلماء (٢)

ويحدد الامام الباقلاني العادة بأنها :(تكرار علم العالم ووجود الشيء المعتاد على طريقة واحدة ، اما بتجدد صفته وتكرارها أو ببقائه على حالة واحدة ، وهذا هو معنى وصف العادة بأنها عادة ولهذا يقال في اللغة : عادة فلان افشاء السلام واطعام الطعام وحماية الجار ، وعادة فلان الصمت والسكوت .... الى أمثال هذا مما يتكرر وقوعه على طريقة واحدة)(٣)

ثم بين الباقلاني أن الامر المعتاد هو الشيء المتكرر على وجه واحد وأن الاعتياد لذلك : هو وجود المعتاد له ومشاهدته اياه على طريقة واحدة والمعود لذلك الشيء : هو المكرر لفعله على وجه واحد (٤)

وقسم الامام الباقلاني العادة الى ضروب منها :-

أ - عادة يستوي فيها جميع الناس .

ب - وعادة ينفرد بها بعض الناس دون بعض فتكون عادة لهم دون غيرهم .

جـ - وعادة تكون لبعض البشر دون بعض وذلك نحو ما يعتاده بعضهم من حرفة مخصوصة وممارسة أشياء معينة .

د - وعادة للملائكة دون الانس ، أو للجن دون غيرهم ، أو للانس دون غيرهم (٥)

ثم بين الباقلاني أن من صفة هذه العادات أن لا يخرق بعضها بعضا ولا ينقض بعضها بعضا ، ولا تتساوى مع بعضها الا بقدرة الله تعالى وذلك اذا أراد الله أن يدل على صدق الرسل بمعجز يخرق عادة البشر كاحياء الميت أو قلب العصا حية ، فالله تعالى ان أرسل بشرا أرسله بما يخرق عادة البشر وان أرسل جنيا أرسله بما يخرق عادة الجن (٦)

---

(١) كتاب البيان للباقلاني ص ٤٥

(٢) انظر الارشاد لامام الحرمين ص ٣٠٩ ،والعقيدة النظامية له ص ٦٥-٦٧،وشرح الاصول الخمسة ص ٥٧١،والمواقف للايجي ص٣٣٩،وشرح الجوهرة ص١٣٣،ورسالة في التوحيد للالكائي ص ٧٣

(٣) كتاب البيان للباقلاني ص ٥٠-٥١ ، (٤) انظر نفس المصدر ص ٥١

(٥) انظر نفس المصدر ص ٥٢-٥٣ ، (٦) انظر نفس المصدر ص ٥٢،٥٥

وعلى هذا فالباقلاني يفرق بين عادة البشر وعادة الملائكة وعادة الجن ، يقول : (فلذلك لم يكن الطيران والصعود الى السماء والنزول منها خارقا لعادة الملائكة ومسترقي السمع من الجن ، وان كان مثله خارقا لعادة الانس ولم تكن شهوة الانس للاكل والشرب والجماع خارقا لعادة الانس ، ولكن شهوة الملائكة لذلك - لو حدث في أحد منهم - خارقا لعادتهم وناقضا لها وكذلك فليس انبساط الجني وانقباضه وتمثله وسلوكه في حال الاجسام ، وما يقع منه من الافعال ناقضا لعادة الجن ، ولكن مثله ناقض لعادة الانس فهذا يبين أنه لا يجب تساوي الخلق أجمعين من الملائكة والانس والجن في العادات ولا في انخراقها ، فلذلك صح أن يكون لكل قبيل منهم ضرب من التحدي وخرق لما هو عادة لهم دون غيرهم وحجة عليهم دون من سواهم)(١)

والباقلاني يميز دوام العادة عن انخراقها ، فحين تنخرق بمعجز بقدرة الله تعالى على يد أحد ، يستطيع ذلك الرسول أن يدعو الناس الى تصديقه ، كما فعل موسى لدى قلب العصا حية وعيسى لدى احياء الميت فيدعي الرسالة على الله تعالى ، ويخبر عن وحيه له ، فهو السفير بين الله وبين خلقه فتكون المعجزة حجة له على غيره من المدعين الكاذبين (٢)

الا أن شيخ الاسلام ابن تيمية يرى أن الباقلاني وغيره من الاشاعرة جعلوا الوصف المعتبر في المعجزة هو مجرد كونها خارقة للعادة وليس في الكتاب والسنة تعليق الحكم بهذا الوصف ، بل ولا ذكر القرآن خرق العادة ولا لفظ المعجز وانما فيه آيات وبراهين وذلك يوجب اختصاصها بالانبياء (٣)

وبين ابن تيمية أن الباقلاني قد ذهب الى أن ما يحصل على يد الساحر والكاهن وعامل الطلسمات هو مما ينفرد الرب بالقدرة عليه ويكون آية للنبي وهذا معتاد لغير الانبياء ، فلم يبق لخرق العادة عندهم معنى ، بل قد قال الباقلاني : (ويجب على هذا الاصل أن يكون خرق العادة بالشيء ، الذي يفعله الله تعالى انما هو خرق لعادة جميع القبيل الذي يتحداهم الرسول بمثله ويحتج به على نبوته ، فان أرسل ملك الى الملائكة وألزمهم العلم بصدقه أنه مرسل اليهم من جهته - جل ذكره - أظهر على يده ما هو خارق لعادتهم وخارج عن تعارفهم ، وان أرسل بشرا أرسله بما يخرق عادة البشر ، وان أرسل

---

(١) كتاب البيان للباقلاني ص ٥٣

(٢)انظر نفس المصدر ص ٣٧ ، ص ٤٦

(٣)انظر النبوات لابن تيمية ص ٨

جنيا أظهر على يده ما هو خارق لعادة الجن)(١)

ثم أجاب شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا بقوله : (فيقال السحر والكهانة معتاد للبشر وأنتم تقولون يجوز أن يكون ما يأتي به الساحر والكاهن آية بشرط أن لا يمكن معارضته فلم يبق لكونه خارقا للعادة معنى يعقل عندكم)(٢)

كما بين ابن تيمية أنه لا حقيقة لهذا الشرط عندهم فانهم لم يميزوا بين ما يخرق العادة مما لا يخرقها ، ولهذا فقد ذهب بعض محققيهم الى الغاء هذا الشرط أيضا فهم لا يعتبرون خرق عادة جميع البشر بل ما اعتاده السحرة والكهان عندهم يجوز أن يكون آية اذا لم يعارض ، وما اعتاده أهل صناعة أو شجاعة ليس هو عندهم آية وان لم يعارض فالامور العجيبة التي خص الله بالاقدار عليها ، بعض الناس لم يجعلوها خرق عادة والامور المحرمة أو هي كفر كالسحر والكهانة جعلوها خرق عادة وجعلوها آية بشرط أن لا تعارض (٣)

وبين شيخ الاسلام ابن تيمية أن الباقلاني والاشاعرة عموما مضطربون في معنى العادة وانخراقها (٤)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وفي كلام الباقلاني في هذا الباب من الاضطراب ما يطول وصفه وهو رأس هؤلاء الذين اتبعوه كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي والرازي والآمدي وغيرهم)(٥)

والحقيقة أن هناك خلافا في تحديد المراد بالعادة هل هي عادة جميع الناس ؟ أو عادة المخاطبين بالنبوة ؟

فذهب الشهرستاني وغيره من الاشاعرة الى أن المعتبر في العادةهو عادة المخاطبين بالنبوة ولا عبرة بعادة غيرهم وفي ذلك يقول : (والمعتبر في كون الآية حجة أن يكون ذلك نقضا لعادة من كانت الاية حجة عليه والعادة عادة له وكذا لو ادعى النبي مدا وجزرا في جيحون كان ذلك حجة لأنه نقض لعادتها وان كان معتادا لأهل البصرة ، وكذلك لو قال آية صدقي أن ينبت الله نخيلا بخراسان كان ذلك آية معجزة له)(٦)

وكلامه واضح في أن المعتبر عنده عادة الذين أرسل النبي اليهم وان لم تكن عادة لغيرهم .

---

(١) كتاب البيان للباقلاني ص ٥٥ ، (٢) النبوات لابن تيمية ص ١٤٠

(٣) انظر النبوات لابن تيمية ص ١٤١، (٤) انظر نفس المصدر ص ١٩٤

(٥) نفس المصدر ص ١٩٨ ، (٦) نهاية الاقدام للشهرستاني ص ٤٣٩

ويخالف شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الرأي ويرى أن تكون المعجزة خارقة لجميع عادات الناس ما عدا عادة الانبياء وفي ذلك يقول :(النبوة لها خواص مستلزمة لها تعرف بها ، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الانبياء وان كانت معتادة للانبياء فهي لا توجد لغيرهم)(١)

الى أن قال : (فاذا أتى مدعي النبوة بالامر الخارق للعادة الذي لا يكون الا لنبي لا يحصل مثله لساحر ولا كاهن ولا غيرهما كان دليلا على نبوته)(٢)

وقال أيضا : (فان قيل قد ذكرتم أن آيات الانبياء هي الخوارق التي تخرق عادة جميع الثقلين فلا تكون لغير الانبياء ولغير من شهد لهم بالنبوة وهذا كلام صحيح فطلتم به بين آيات الانبياء وغيرهم ...... بخلاف من قال هي خرق للعادة ولم يميزوا بينها وبين غيرها ، وتكلم في خرق العادة بكلام متناقض تارة يمنع وجود السحر والكهانة ، وتارة يجعل هذا الجنس من الايات - ويجعل - الفرق عدم المعارضة لكن لم يذكروا الفرق في نفس الأمر وفي نفس كونها معجزة وخارقا وآية لماذا كان وما هو الوصف الذي امتازت به حتى صارت آية ودليلا دون غيرها .... لا بد أن تكون مما يعجز عنها الانس والجن فان هذين الثقلين بعث اليهم الرسل)(٣)

وقال أيضا : (جنس آيات الانبياء خارجة عن مقدور البشر بل وعن مقدور جنس الحيوان ، وأما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان فانها من جنس أفعال الحيوان من الانس وغيره من الحيوان والجن ....)(٤)

وحاصل رأي ابن تيمية أن الخارق لا بد أن يكون خارقا لعادة البشر وحتى عادة غير البشر من الجن والحيوان ، فلو طار انسان مثلا فلا يعتبر ذلك خارقا معجزا لأن الطير تطير ، ولو أتى بعرش ملك من بلد الى بلد في لحظة فلا يعتبر خارقا معجزا لأن الجن يفعل ذلك كما حدث بعرش بلقيس فلا بد للمعجزة أن تكون خارقة لعادة الجميع من البشر وغيرهم .

ويرد شيخ الاسلام ابن تيمية على من قال أن معنى العادة هو عادة المخاطبين بالنبوة بقوله : (وقالوا - أي الاشاعرة - فالمعتبر خرق عادة من أرسل اليهم وعلى هذا فاذا أرسل الى بني اسرائيل ففعل ما لم يقدروا عليه

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ٢٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٠ ، (٣) نفس المصدر ص ٢١٧

(٤) نفس المصدر ص ٥

كان آية وان كان ذلك مما يقدر عليه العرب ويقدر عليه السحرة والكهان وصرحوا بأن السحر .... يجوز أن يكون من معجزات الانبياء اذا لم يعارض ......)(١)

وقال : (ان عني بكون المعجزة هي الخارق للعادة أنها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة بحيث ليس فيهم من يقدر على ذلك ، فهذا ليس بحجة فان أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر ونحو ذلك)(٢)

الشرط الثالث : وأما الشرط الثالث الذي شرطه الامام الباقلاني في المعجزة هو (أن يكون غير النبي ممنوعا من اظهار ذلك على يده على الوجه الذي ظهر عليه ودعا الى معارضته مع كونه خارقا للعادة)(٣)

واستدل على ذلك بقوله : (وأما ما يدل على انه اختصاص الرسول عليه السلام به من غير مشاركة من ليس بنبى ولا مدع للرسالة له فيه على الوجه والسبيل الذي ظهر عليه من تحديه بمثله واحتجاجه به ، فهو أن الامر اذا خرق العادة وادعاه النبي آية له وأنه مخصوص به وظهر مثله على الوجه الذي ظهر على يده على يد ساحر كذاب ومن ليس بنبي ولا مدع لذلك التبس الامر ولم يكن ما ظهر على يده حجة في نبوته اذ قد علم ظهوره على يد من ليس بنبي فلابد مع ذلك من أن يكون مخصوصا به)(٤)

والحقيقة أن هذا الشرط أيضا قد شرطه جمهور العلماء والمتكلمين فقالوا من شرط المعجزة أن تتعذر معارضة من أتى بها بأن لا يكون في مقدور أحد من الناس أن يأتي بمثل ما أتى به مدعي النبوة ، واذا كان الامر مما هو مقدور عليه عند الناس ، فلا يكون معجزة له ،ولا يدل على صدقه ،لانها على هذه الحالة تكون من الامور المشتركة بينه وبين خصومه ولا تكون مختصة به فلا تكون دليلا على نبوته ولا تقنع خصومه بالايمان به وتصديقه وتفقد الغاية المنشودة من صدورها (٥)

ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الشرط وعلى كلام الباقلاني السابق بقوله : (وهو في الحقيقة خاصة المعجزة عندهم لكن كون غير الرسول

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ١٩٧ ، (٢) نفس المصدر ص ١٣

(٣) كتاب البيان للباقلاني ص ٤٥-٤٦

(٤) نفس المصدر ص ٤٦-٤٧

(٥) انظر العقيدة النظامية للجويني ص ٦٧،والمواقف للايجي ص ٣٣٩،وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٣٣ ، ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٤

ممنوعا منه ان اعتبروا أنه ممنوع مطلقا فهذا لا يعلم ، وان اعتبروا أنه ممنوع من المرسل اليهم فهذا لا يكفي بل يمكن كل ساحر وكاهن أن يدعي النبوة ويقول انني كذا قالوا : لو فعل هذا لكان الله يمنعه فعل ذلك أو يقيض له من يعارضه قلنا : من أين لكم ذلك ومن أين يعلم الناس ذلك ويعلمون أن كل كاذب فلا بد أن يمنع من فعل الامر الذي اعتاده هو وغيره قبل ذلك أو أن يعارض ، والواقع خلاف ذلك فما أكثر من ادعى النبوة أو الاستغناء عن الانبياء وأن طريقه فوق طريق الانبياء وأن الرب يخاطبه بلا رسالة وأتى بخوارق من جنس ما أتى السحرة والكهان ولم يكن فيمن دعاه من يعارضه)(١)

الشرط الرابع : وأما الشرط الرابع الذي شرطه الباقلاني في المعجزة هو (أن يكون واقعا مفعولا عند تحدي الرسول بمثله ، وادعائه آية لنبوته وتقريعه بالعجز عنه من خالفه وكذبه)(٢)

واستدل على صحة هذا الشرط بقوله : (وأما ما يدل على أنه لايكون معجزا الا اذا فعل عند احتجاج الرسول به لصدقه وتحديه بمثله ، فهو انه قد ثبت أنه ليس بمعجز لجنسه ، وأن الله عز وجل لو ابتدأ بفعله - نحو أن يحيي ميتا ويطلع الشمس من مغربها ويزلزل الارض .... لاعند دعوى أحد للرسالة وكون ذلك آية له ، لم يكن ما يفعله الله سبحانه من ذلك معجزا ، وان كان من جنس المعجز ، فلذلك لا يكون احياء الاموات يوم القيامة واطلاع الشمس من مغربها وطي السموات وأمثال ذلك من آيات الساعة آية لاحد وان كان مثله وما هو من جنسه لو فعل في وقتنا هذا عند تحدي الرسول لكان آية له وحجة لنبوته)(٣)

وهذا الشرط أيضا شرطه معظم العلماء الذين تكلموا في المعجزة وشروطها فقالوا : أن تكون المعجزة مقارنة للدعوى ، بأن لا تكون متقدمة عليها ولا متأخرة عنها بزمن كبير ، لأن المعجزة تصديق لصاحبها والتصديق لا بد أن يكون بعد الدعوى ولا يعقل أن يكون قبلها ، وأما المتأخر فان كان متأخرا بزمن يسير يعتاد مثله فظاهر ولا اشكال فيه ، وان كان بزمن بعيد فلا يكون معجزة له دالة على صدقه (٤)

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ١٤١

(٢) كتاب البيان للباقلاني ص ٤٦

(٣) نفس المصدر ص ٤٧-٤٨

(٤) انظر المواقف للايجي ص ٣٤٠،والارشاد للجويني ص ٣١٤،والعقيدة النظامية له ص ٦٧،وشرح الجوهرة ص ١٣٣ ،ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٤

ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الشرط عند الباقلاني وعلى كلامه السابق في هذا فيقول : (وأما الرابع - أي الشرط الرابع - وهو أن يكون عند تحدي الرسول فيه ، يحترزون عن الكرامات وهو شرط باطل بل آيات الانبياء وان لم ينطقوا بالتحدي بالمثل ، وهي دلائل على النبوة وصدق المخبر بها ، والدليل مغاير للمدلول ليس المدلول عليه جزءاً من الدليل)(١)

ثم قال : (وهؤلاء - أي الاشاعرة - قالوا لا يكون دليل النبوة دليلا الا اذا استدل به النبي حين ادعى النبوة فجعل نفس دعواه واستدلاله والمطالبة بالمعارضة وتقريعهم بالعجز عنها كلها جزءاً من الدليل وهذا غلط عظيم بل السكوت عن هذه الامور أبلغ في الدلالة والنطق بها لا يقوي الدليل والله تعالى لم يقل فليأتوا بحديث مثله حين قالوا افتراه لم يجعل هذا القول شرطا في الدليل بل نفس عجزهم عن المعارضة هو من تمام الدليل)(٢)

ويرى ابن تيمية انهم اشترطوا هذا الشرط ليفرقوا بين المعجزات والكرامات والسحر والكهانة مع انهم لم يفرقوا بينها بهذا ولم يجعلوا لآيات الانبياء خاصة تتميز بها عن غيرها ، وفي ذلك يقول : (وهم انما شرطوا ذلك لأن كرامات الاولياء عندهم متى اقترن بها دعوى النبوة كانت آية للنبوة وجنس السحر والكهانة متى اقترن به دعوى النبوة كان دليلا على النبوة عندهم لكن قالوا : الساحر والكاهن لو ادعى النبوة لكان يمتنع من ذلك أو يعارض بمثله ، وأما الصالح يدعي ، فكان أصلهم ان ما يأتي به النبي والساحر والكاهن والولي من جنس واحد لا يتميز بعضه عن بعض بوصف لكن خاصة النبي اقتران الدعوى والاستدلال والتحدي بالمثل بما يأتي به ، فلم يجعلوا لآيات الانبياء خاصة تتميز بها عن السحر والكهانة وعما يكون لآحاد المؤمنين ولم يجعلوا للنبي مزية على عموم المؤمنين ولا على السحرة والكهان من جهة الايات التي يدل الله بها العباد على صدقه ، وهذا افتراء عظيم على الانبياء وعلى آياتهم وتسوية بين أفضل الخلق وشرار الخلق بل تسوية بين ما يدل على النبوة وما يدل على نقيضها فان ما يأتي به السحرة والكهان لا يكون الا لكذاب فاجر عدو الله فهو مناقض للنبوة ، فلم يفرقوا بين ما يدل على النبوة وما يدل على نقيضها .... فان آيات الانبياء تدل على النبوة وعجائب السحرة والكهان تدل على نقيض النبوة)(٣)

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ١٤١

(٢) نفس المصدر ص ١٤٢

(٣) نفس المصدر ص ١٤٢-١٤٣

وهناك شروطا أخرى للمعجزة ذكرها العلماء اضافة للشروط السابقة التي ذكرها الباقلاني وسأذكرها بايجاز اتماما للفائدة ولأنها تعتبر مكملة للشروط السابقة وهى : -

الشـــرط الخامـــس : أن تكون المعجزة ظاهرة على يد مدعـــي النبوة ليعلم أنها تصديق له ، فلو ظهر الخارق للعادة على يد من لم يـــدع النبوة فلا يكون معجزة ويكون اما كرامة ان ظهر على يد ولي ، أو سحر ان ظهر على يد كافر ، والسبب في اشتراط هذا الشرط أن المعجزة انما صدرت لتكـون دليلا على نبوة صاحبها فلو لم يدع صاحبها النبوة فلا معنى لكونها معجـزة تدل على صدق نبوتـــه (١)

الشـــرط السادس : أن تكون المعجزة موافقة للدعوى فلا تكون مخالفة له وذلك مثلا كما اذا قال آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبـــل أو قال آية صدقي أن أحيي ميتا ففعل غير ذلك ، فلا بد أن يكون الاحياء هـو الخارق الذي حصل له فلو فعل خارقا آخر فلا يكون فعله معجزة له تدل على صدق نبوته حتى يفعل ما ادعا من احياء الميت (٢)

الشـــرط السابـــع : أن لا تكون المعجزة التي ادعاها وأظهرها مكذبة له ، كما اذا قال معجزتي أن ينطق هذا الذئب أو ينطق هذا الجماد فنطق الذئب أو الجماد ، وقال بأنه مفتر كذاب وبذلك لا يعلم صدقه ، بل يزداد اعتقاد كذبه . (٣)

الشـــرط الثامـــن : وزاد بعض العلماء شرطا ثامنا وهو أن لاتكون المعجزة في زمن نقض العادة ، كزمن طلوع الشمس من مغربها ، فخرج بذلـــك ما يقع من الدجال كأمره السماء أن تمطر فتمطر ، وللارض أن تنبت فتنبـــت وغير ذلك من الخوارق التى تقع عند قيام الساعة (٤)

---

(١) انظر العقيدة النظامية للجويني ص ٦٧، والمواقف للايجى ص ٣٣٩، وشـــرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٣٣، ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٣

(٢) انظر العقيدة النظامية ص ٦٧، والمواقف للايجي ص ٣٣٩، وشرح الجوهـــرة للبيجوري ص ١٣٣، ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٤

(٣) انظر الارشاد لامام الحرمين ص ٣١٥، والعقيدة النظامية له ص ٦٧، والمواقف للايجي ص ٣٣٩، وشرح الجوهرة للبيجورى ص ١٣٣، ورسالة فى التوحيد للطائى ص ٧٤

(٤) انظر شرح الجوهرة للبيجوري ص ١٣٣-١٣٤، ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٤

فهذه هي مجمل الشروط التي ذكرها العلماء من المتكلمين للمعجزة ويرى شيخ الاسلام ابن تيمية أن معظم هذه الشروط لا دليل عليه ، وأيضا فانها متناقضة مع أصول مذهبهم ، وهو لذلك لم يرتضي هذه الشروط في المعجزة ٠

٣- الفرق بين المعجزة والسحر عند الامام الباقلاني :-

يثبت الامام الباقلاني السحر وأن له حقيقة ويرى أنه لا سبيل لانكاره لأن الله تعالى أخبر عن وجوده في كتابه ، يقول الباقلاني :(فكيف يمكن أن يقال : ان السحر باطل لا حقيقة له والله عز وجل يقول في نص كتابه :((واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله))(١)

فهذا نص منه تعالى على أن السحر صحيح وأنه ضار للمسحور وان لم يضر الا باذن الله)(٢)

ويقول في استدلاله أيضا على وجود السحر : (ولو لم يكن في اثبات السحر الا هذه الاية ، لكفى هذا ، مع أن الاثار قد توافقت بأن النبي صلى الله عليه وسلم سحر ، وأن يهوديا يقال له لبيد بن الاعصم سحره ، وأمر عليه السلام باخراج سحره ، وأن يهودية يقال لها زينب سحرته ، وأخرج سحرها) (٣)

ثم قال بعد ذلك :(فلا سبيل مع ما وصفناه الى انكار السحر وابطاله مع شهادة القرآن والاخبار به واختلاف العلماء في حكم الساحر ، اذا كان على ملة الاسلام أو كان كتابيا ، واذا عمله بنفسه أو عمل له ، أو اذا قتل أو لم يقتل ، واذا كان ذلك كذلك ثبت القول بوجود السحر وصحته)(٤)

وقد قسم الامام الباقلاني السحر الى أنواع :-

١- منها التخييل والتمثيل بالالات المعروفة ، كما فعل سحرة فرعون في تخييل الحيات بأنها تسعى كما قال تعالى : ((يخيل اليهم من سحرهم أنها تسعى))(٥)

---

(١) البقرة الاية ١٠٢ ، (٢) كتاب البيان للباقلاني ص ٧٩

(٣) نفس المصدر ص ٨٢-٨٣ ، (٤) نفس المصدر ص ٨٤-٨٥،وانظر ص ٨٦

(٥) طه الاية ٦٦

٢- ومنها الحيل والشعوذة وهي تجري بآلة للسحرة لطيفة أو بمادة الزئبق وغير ذلك من الالات التي يعرفها السحرة وذلك بأن يأتي المشعوذ ويخفي حية ، ويخرج من جوفها اخرى بخفة ودربة ·

٣- والنوع الثالث من السحر هو ما ورد في القرآن الكريم وتواترت به الآثار كالتفريق بين الزوجين ، والاضرار بالناس ، وهو يختلف عن النوعين السابقين لشدة ضرره ، فقد أفتى بعض الائمة بقتل عامله لا بأستتابته ، وذلك بعد أن يعترف بعمل سحره في المسحور (١)

ثم فرق الامام الباقلاني بعد ذلك بين المعجز والسحر وترجم له بقوله :(ذكر القول في الفصل بين المعجز والسحر) (٢)

ويتسائل الامام الباقلاني بعد أن أثبت وجود السحر فما الفصل بين هذا وبين معجزات الرسل؟ وكيف تنفصل مع ذلك المعجزات من السحر وكيف يمكن أن نفرق بين النبي والساحر ؟

ثم يضع الامام الباقلاني الفرق بين المعجز والسحر :-

بأن المعجز من فعل الله تعالى في النبي يتحدى به فلا أحد يأتي بمثله وأما الساحر المتنبيء اذا فعل فعلا وادعى به النبوة أبطله الله تعالى عليه من وجهين :-

الاول : اما أن ينسيه الله عمل السحر جملة ، أو لا يفعل سبحانه عند قوله وما يفعله في نفسه من الافعال شيئا في المسحور من موت أو سقم أو بغض ، ولا يخلق فيه الصعود الى جهة السماء ، والقدرة على الدخول في بقرة ، فاذا منعه هذه الاسباب فقد بطل سحره وبان الفرق بين النبي وبينه (٣)

والثاني : (أن أبواب السحر معلومة عند السحرة ······· وهي أمور معروفة ، فاذا تحدى ساحر من السحرة بشيء يفعل عند سحره ········· من جنس بعض آيات الرسل وتحدى به لم يلبث أن يوجد خلق من السحرة يفعلون مثل فعله ويعارضونه بأدق وأبلغ مما أورده ، فينتقض بذلك ما ادعاه ويبطل)(٤) ومعنى هذا أن يأتي من يشارك الساحر في فعله فلا يكون معجزا ·

---

(١) انظر كتاب البيان للباقلاني ص ٧٧-٧٨

(٢) نفس المصدر ص ٩٣

(٣) انظر نفس المصدر ص ٩٣-٩٥

(٤) نفس المصدر ص ٩٥-٩٦ ، وانظر ٩٧-٩٨

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن الباقلاني لا يفرق بين الجنسين من المعجز والسحر بل يجوز أن يكون ما هو معجزة للرسول يظهر على يد الساحر(١)

ثم قال ابن تيمية بعد ذلك : (وهذا عمدة القوم ولهذا طعن الناس في طريقهم وشنع عليهم ابن حزم وغيره ، وذلك أن هذا الكلام مستدرك من وجوه)(٢)

ثم سرد شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الوجوه والاستدراكات على مذهب الباقلاني ، نذكرها فيما يأتي :-

أحدها : (انه اذا جوز أن يكون ما ينفرد الرب بالقدرة عليه على قوله أن يأتي به النبي تارة والساحر تارة ولا فرق بينهما الا دعوى النبوة والاستدلال به ، والتحدي بالمثل فلا حاجة الى كونه مما انفرد الباري بالقدرة عليه ، لا سيما وقد ظهر ضعف الفرق بين ما يمتنع قدرة العباد عليه وما لايمتنع ولهذا أعرض المتأخرون عن هذا القيد)(٣)

الوجه الثاني : أنه على قوله - أي الباقلاني - هذا لم تتميز المعجزات بوصف تختص به وانما امتازت باقترانها بدعوى النبوة وهذا حقيقة قولهم ، واذا كان هذا قولهم فيكون لا فرق عندهم بين المعجزة والسحر وهذا باطل من طريقين :

* الاول : ان كون آيات الانبياء مساوية في الحد والحقيقة بسحر السحرة أمرمعلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام .

* والثاني : أن هذا يكون من أعظم القدح في الانبياء اذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان (٤)

الوجه الثالث : (انه على هذا التقدير لا تبقى دلالة فان الدليل ما يستلزم المدلول ويختص به فاذا كان مشتركا بينه وبين غيره لم يبق دليلا فهؤلاء قدحوا في آيات الانبياء ولم يذكروا دليلا على صدقهم)(٥)

الوجه الرابع : أنه على كلام الباقلاني السابق يمكن للساحر دعوى النبوة وقوله أنه عند ذلك يسلبه الله القدرة على السحر أو يأتي بمن يعارضه دعوى مجردة لأن المنازع يقول لا نسلم أنه اذا ادعى النبوة فلا بد أن يفعل الله ذلك (٦)

---

(١) انظر النبوات لابن تيمية ص ٣٠ ، (٢) نفس المصدر ص ٣١-٣٢

(٣) النبوات لابن تيمية ص ٣٢ ، (٤) انظر نفس المصدر ص ٣٢

(٥) نفس المصدر ص٣٢ ، (٦) انظر نفس المصدر ص ٣٢

الوجه الخامس : أن الباقلاني قد جوز أن تظهر المعجزات على يد كاذب اذا خلق مثلها على يد من يعارضه ، فعمدته سلامة المعجز من المعارضة بالمثل ويقول ان من ادعى الاتيان بالمعجزة فاما أن لا يظهرها الله على يديه واما أن يقيض الله من يعارضه بمثلها ، وليس هناك فرقا حقيقيا بين النبي والساحر وانما هو مجرد دعوى (١)

الوجه السادس : (وهو أن من الناس من ادعى النبوة وكان كاذبا وظهرت على يده بعض هذه الخوارق فلم يمنع منها ولم يعارضه أحد بل عرف أن الذي أتى به ليس من آيات الانبياء وعرف كذبه بطرق متعددة كما في قصة الاسود العنسي ومسليمة الكذاب .... وغير هؤلاء ممن ادعى النبوة فقولهم - أي الباقلاني وغيره من الاشاعرة - أن الكذاب لا يأتي بمثل هذا الجنس ليس كما ادعوه)(٢)

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع آخر على الباقلاني والاشاعرة عموما الذين أثبتوا السحر والكهانة والكرامات ، ولم يفرقوا فرقا صحيحا بين هذه وبين المعجزات وأنهم قالوا لا فرق في نفس الجنس ، وليس في جنس مقدورات الرب ما يختص بالانبياء لكن جنس خرق العادة واحد .

وأنهم جعلوا الفرق بينها أن تقترن المعجزة بدعوى النبوة وأن تسلم عن المعارضة عند تحدي الرسول بالمثل فيكون دليلا ، فهي عندهم لم تدل لكونها في نفسها وجنسها دليلا بل اذا أستدل بها المدعي للنبوة كانت دليلا والا لم تكن دليلا ، وأبطل شيخ الاسلام ابن تيمية كلامهم هذا بوجوه كثيرة ورد عليهم بكلام طويل مفصل (٣)

ويهمنا من هذه الردود أنه قد ادعى جماعة من الكذابين النبوة وأتوا بخوارق من جنس خوارق الكهان والسحرة ولم يعارضهم أحد في ذلك المكان والزمان ، وبهذا يبطل قول الباقلاني والاشاعرة -بأن الكذاب اذا أتى بمثل خوارق السحرة والكهان فلا بد أن يمنعه الله ذلك الخارق أو يقيض له من يعارضه ومثال ذلك الاسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يخبر بأشياء من جنس أخبار الكهان ولم يعارضه

(١) انظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ٣٣

(٢) نفس المصدر ص ٣٣

(٣) انظر نفس المصدر ص ١٠٣-١٠٩

أحد ، وقد عرف كذبه بوجوه متعددة ، وكذلك مسيلمة الكذاب ومكحول الطبي وغير هؤلاء (١)

وأيضا فان آيات الانبياء خارجة عن مقدور من أرسل الانبياء اليهم وهم الجن والانس ، فلا تقدر الانس والجن أن تأتي بمثل معجزات الانبياء (٢)

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فروقا كثيرة بين المعجزة والسحر زادت على عشرة فروق أذكر منها :-

١- أن النبي صادق فيما يخبر به عن الكتب ، وما تخبر به الانبياء من المعجزات لا يكون الا صدقا ، وأما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان فلا بد أن يكذب .

٢- أن الانبياء لا يأمرون الا بالعدل والسعي للآخرة وعبادة الله وحده ومخالفوهم يأمرون بالشرك والظلم والعدوان .

٣- ان ما يأتي به السحرة والكهان معتاد لغيرهم من السحرة والكهان بينما المعجزة مخالفة لما يعتاده الناس .

٤- المعجزة لا تحصل بكسب العبد ، ولو قدر أنها تنال بالكسب فانما تنال بالاعمال الصالحة والصدق والتوحيد لا تحصل مع الكذب ، والسحر وغيره مما يمكن التوصل اليه بسبب .

٥- ان المعجزة لا يمكن معارضتها لا بمثلها ولا بأقوى منها ، وأما السحر فيمكن معارضته بمثله وأقوى منه .

٦- المعجزة انما تحصل لتدل على صدق مدعي النبوة وعدله ، بخلاف السحر والكهانة فان السحرة والكهان تحصل لهم خوارق مع الكذب والاثم .

وبقية الفروق التي ذكرها شيخ الاسلام يمكن ارجاعها الى هذه (٣)

وزاد بعض العلماء فروقا أخرى منها :-

* أن سيرة من ظهرت على يده المعجزة حميدة ، فهو صادق ، صريح في القول والفعل ، يدعو الى الحق والى طريق الخير ، أما الساحر فسيرته ذميمة وعاقبته وخيمة وهو خائن خداع يدعو الى الباطل والى طريق الشر .

* أن من ظهرت على يده المعجزة يقود الامم الى الخير والسعادة وأما الساحر فهو آفة الوحدة ونذير الفرقة وهو يقود الناس الى الشر والخسران (٤)

---

(١) انظر النبوات لابن تيمية ص ١٠٦ ، (٢) انظر نفس المصدر ص ١٠٧

(٣) انظر النبوات لابن تيمية ص ١٢٧-١٢٨،ومذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ص ٤٦

(٤) انظر مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ص ٤٦-٤٧

المبحث الثالث

اثبات الامام الباقلاني لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

اثبات الامام الباقلاني لنبوة محمد صلى الله عليه وسلـــم ·

بعد هذا العرض للمعجزة وشروطها والفرق بينها وبين السحر ننتقل الآن لاثبات الامام الباقلاني لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ·

لأن في ثبوت نبوته ثبوت لنبوة جميع الانبياء عليهم السلام لأنـــه عليه الصلاة والسلام قد أخبرنا من القرآن والسنة بأنهم أنبياء الله سبحانه وتعالى ، فثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم يستلزم ثبوت جميع ما أخبر بـــه وصحته ، ومما أخبر به ثبوت نبوة جميع الانبياء ، ففي ذكر دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ما يغني عن ذكر دلائل نبوة جميع الانبياء (١).

يعتبر القرآن معجزة الاسلام الخالدة الدالة على صدق نبوة محمـــد صلى الله عليه وسلم ، لأنها معجزة باقية على مر العصور ناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في كل زمان ومكان ، فهو أبلغ وأعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم ·

يقسم الامام الباقلاني معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الى قسمين لأنه يرى أن الدلائل التي تشير الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما ظهر على يديه من الايات والمعجزات القاهرة ، التي خرقت العادة وخرجت عن تركيب الطبيعـــة ·

القســم الاول : وهو القرآن الكريم المرسوم في المصاحف وهـــو من المعجزات الكبرى التي أتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدى العرب بالاتيان بمثله ، ويرى الباقلاني ان الطريق الى معرفة هذه المعجزة هـــو الاضطرار فان العلم بظهور القرآن على يد النبي صلى الله عليه وسلم ومجيئه به وأنه تحدى العرب أن يأتوا بمثله ، فهو علم اضطرار لأنه واقع للجميـــع اضطرارا من حيث أنه لا يمكن لأحد جحده ونكرانه ، ولا يمكن أن يرتاب فـــي وجوده ، كما أن ظهور النبى صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة ، ودعوته الى نفسه كان علم ضرورة ، فاليهود والنصارى والمجوس والصائبة والثانوية والزنادقة ،وكل من يدين بغير ملة الاسلام أقر بأن القرآن المتلو في محاريـب المسلمين ظهر على محمد صلى الله عليه وسلم ودعا الى نفسه ، وهذه حقيقـــة لا يجحدها أحد لحصولها ووقوعها كما وقعت حقيقة نبوة موسى وعيسى،وادعاء الاول التوراة وادعاء الثاني الانجيـل ، وكما أننا لا نستطيع حتى انكار " قفا نبك " من شعر امرىء القيس ، وانكار "ودع هريرة ان الركب مرتحل " أنه من نظم الاعشى ، فكذلك لا ننكر ظهور القرآن من جهة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر ارشاد الثقات للشوكاني ص ٦٨

لأنه أظهر وأثبت وما تواتر الخبرّ به والعلم به اضطرارا لا يمكن جحده ولاالشك فيــــه (١)

أما القسم الثاني : من معجزاته صلى الله عليه وسلم فهي مثـــل كلام الذراع (٢) وحنين الجذع (٣) وتسبيح الحصى (٤) وجعل قليل الطعام كثير (٥) وانشقاق القمر (٦) وغير هذه الايات كثير مـــن أعلامــــه عليـــــه الصلاة

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٣٢ـ١٣٤ ٠، (٢) سبق تخريجه ص ٣٠١

(٣) روي ذلك عن جمع من الصحابة ،وروى البخاري عن جابر بن عبد الله أنه قال ((كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت))
أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ١٧٣/٤ـ١٧٤

(٤) سبق تخريجه ص ٣٠١

(٥) وقد روي ذلك من طريق أنس وغيره حوادث متعددة منها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث طويل وفيه :((أن أبو طلحة قال يا أم سلمة قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم ،فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله هلم يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز ،فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول،ثم قال ائذن بعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا))
أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ١٧٠/٤ـ١٧١

(٦) هذه معجزة باهرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وردت بالقرآن والسنة قال تعالى((اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهوائهم وكل أمر مستقر)) القمر الايات ١ـ٣ ،وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال :((انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا))
أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ١٨٦/٤،وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلـــم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر)) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر ١٨٦/٤

والسلام (١) فان العلم بها والطريق الى معرفتها هو النظر والاستدلال ، لا الاضطرار لأن هذه المعجزات في اعتبار الباقلاني قد تناقلها الرواة خلف عن سلف ممن شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعاصروه ، وأن الامة لم تخل قط في زمن من الازمان من نقله لهذه الاعلام وما جرى مجراها وعزوهم ذلك الى مشهد وواقعة حضرها الجمع الكثير من الصحابة رضي الله عنهم (٢)

(وقد علم بمستقر العادة امتناع امساك مثل ذلك العددالكثير والجم الغفيرعن انكار كذب يدعى عليهم ويضاف الى سماعهم ومشاهدتهم مع ما هم عليه من نزاهة الانفس وكبر الهمم وعظم الحظر وجلالة القدر .... وتحريم الكذب والذم له والتبجح بالصدق وشدة تمسكهم به ، فلو كانوا عالمين بكذب ما ادعاه النقلة عليهم ، لسارع جميعهم أو الجمهور منهم ، وقت سماع الكذب عليهم واضافة ما لا أصل له اليهم وبعد ذلك الوقت الى انكاره وتبكيت ناقله وتكذيبه وذمه واعلام الناس كذبه)(٣)

كما أنه ثابت في مستقر العادة :(أن اجتماع مثل عدد من ذكرنا على نقل لكذب وكتمان ما شوهد، ممتنع مع استمرار السلامة في النقل .... وكما يستحيل في موضع العادة على نقلة السير والوقائع والبلدان الكذب فيما نقلوه واذا كان ذلك كذلك دل امساك الصحابة رضوان الله عليهم عن تكذيب ما نقل من هذه الاعلام وادعى حضورهم ومشاهدتهم وسماعهم على صدق ما أضيف اليهم وادعي عليهم ، وقام امساكهم عن انكار ذلك مقام نقلهم لمثل ما نقله الآحاد وشهادتهم من جهة النطق به وقولهم "قد صدقوا فيما نقلوه وقد شاهدنا منه مثل الذي شاهدوه" وهذه دلالة ظاهرة وحجة قاهرة على صحة نقل هذه الاعلام وصدق رواتها وان قصروا عن حد أهل التواتر)(٤)

---

(١) لا يمكن سرد واستيفاء جميع ما للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات فان ذلك يطول وقد اقتصرت على ماذكره الامام الباقلاني،وللعلماء مصنفات في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم منها دلائل النبوة للبيهقى ودلائل النبوة للاصفهاني،وممن ألف كتبا مستقلة في ذلك أيضا الامام أبو بكر بن أبي الدنيا والامام أبو اسحاق الحربي،والامام أبو بكر جعفر الفريابي ،والامام أبو الفرج بن الجوزي وغير هؤلاء كثير .

(٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثى ص ١٣٢ ، ١٣٤-١٣٥

(٣) نفس المصدر ص ١٣٥

(٤) نفس المصدر ص ١٣٦

وهذه المعجزات وان لم تصل الى حد التواتر فالقدر المشترك متواتر لا ريب فيه وهو ظهور معجزة ما في يده ، فمجموعهما مشاهد على صدق نبوته ورسالته) (١)

أوجه اعجاز القرآن الكريم :-

لم يتكلم أحد من علماء المسلمين في القرنين الاولين في مسألة اعجاز القرآن الكريم وذلك لهيبة القرآن في نفوسهم ، ولصفاء عقيدتهم ولأنهم لم يكونوا بحاجة الى الكتابة في اعجاز القرآن ونواحي الاعجاز فيه ، فان هذه الامور ما دعت الداعية اليها الا لما استحكم الجدل بين الناس فأخذ العلماء في البحث عن أوجه الاعجاز في القرآن حتى يبينوها للناس ، ويقنعوهم بها .

لذا فلا نكاد نجد في عصر الوحي وعصر الراشدين والامويين من تناول فكرة اعجاز القرآن لأن هذا كان عندهم من المسلمات التي لا تحتاج الى البحث

وبعد أن نشأت فرقة المعتزلة ونشأت معها مسألة خلق القرآن وقدمه فيما نشأ معها من مسائل ، وتناولوا مسألة الاعجاز فيما تناولوه من مسائل وأشهر من تكلم فيها منهم ابراهيم النظام (٢) المتوفي سنة (٢٣١هـ) وهو من شيوخ المعتزلة ، ونسب هذا القول الى الشريف المرتضى (٣) من الشيعة ، وغير هؤلاء من المعتزلة (٤)

---

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٣١

(٢) ابراهيم بن سيار بن هانئ البصري،أبو اسحاق النظام ،من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة وانفرد بآراء خاصة تابعته فيهافرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة اليه

انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٩٣،والاعلام للزركلي ٤٣/١

(٣) علي بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي،الملقب بالشريف المرتضى من أحفاد الحسين بن علي،نقيب الطالبين،أحد الائمة في علم الكلام والادب والشعر يقول بالاعتزال وكان اماما في التشيع مولده ببغداد سنة ٣٥٥هـ،ووفاته فيها سنة ٤٣٦هـ،من مصنفاته أمالي المرتضى،والشافي وغير ذلك

انظر البداية والنهاية ٥٦/١٢-٥٧،والعبر للذهبي ٢٧٢/٢-٢٧٣،والاعلام للزركلي ٢٧٨/٤

(٤) انظر اعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٤-١٤٥،والمعجزة الكبرى القرآن للشيخ أبو زهرة ص ٨١-٨٢

القول بالصرفة وجها من وجوه الاعجاز عند المعتزلة ورد الباقلاني عليهم :-

والحقيقة أن المصادر التي تعرضت لقضية الاعجاز في القرآن لم تستطع أن تعين أول من ذكر الصرفة باعتبارها الظاهرة التي من ناحيتها كان اعجاز القرآن وكل الذي تدل اليه المصادر أن أول من قال بالصرفة وجها من وجوه اعجاز القرآن هو ابراهيم بن سيار النظام واليه انتسبت فرقة النظامية يقول الشهرستاني : (النظامية أصحاب ابراهيم بن يسار بن هانئ النظام قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل)(١)

وذكر من هذه المسائل : (قوله في اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية ، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا ، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما)(٢)

ومعنى هذا أن الله صرف العرب عن الاتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا وعلى هذا فمعنى الصرفة عنده :(أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها ، فكان هذا الصرف خارقا للعادة)(٣)

وعلى قولهم هذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن نفسه .

وذكر الفخر الرازي أن النظام قال : (ان الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الاحكام والعرب انما لم يعارضوه لأن الله صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به)(٤)

ولم يصلنا شيء من كتب النظام أو أبحاثه وانما عرفنا رأيه هذا من كتب العلماء التي بحثت في هذا الموضوع .

ولم يرتض العلماء وخاصة علماء السلف هذا المذهب في اعجاز القرآن لانه مذهب فاسد وهو زعم لا يقوم على دليل من النقل أو العقل .

والامام الباقلاني رفض هذا القول ورد على من قال بالصرفة بعد أن عرض مذهبه بقوله : (فان قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات ، وتصرفهم في أجناس الفصاحات ؟ وهلا قلتم : ان من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة بوجه من هذه الطرق الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادرا وانما يصرفه الله عنه ضربا من الصرف أو يمنعه من الاتيان بمثله ضربا من المنع أو تقصر دواعيه اليه دونه مع قدرته عليه)(٥)

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/٥٣-٥٤، (٢) نفس المصدر ١/٥٦-٥٧ ، (٣) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٤، (٤) نهاية الايجاز للرازي ص ٥ ، (٥) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩

بعد هذا رد الامام الباقلاني على مذهب الصرفة بأنه لو كان الامر على ما ذهبوا اليه لكان أولى وأبين في الحجة أن يأتي القرآن في أدنى درجات البلاغة والفصاحة (ولكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه ، ومنع من مقدار الفصاحة في نظمه - يكون - أبلغ في الاعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ، ومنعوا من معارضته وعدلت دواعيهم عنه)(١)

واذا كان الامر على ما قالوا لم يكن ما يدعو لمجيئه في نظم بديع أو تنزيله في معرض فصيح عجيب ، لأن الاوضح في ظهور الحجة اذا كانت الصرفة هي الوجه في اعجاز القرآن ، أن يكون القرآن في مستو كلام العرب أو دونه ليكون الصرف عن ذلك أدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ..

ويرد الباقلاني القول بالصرفة من طريق آخر بأنا لو سلمنا بأن العرب الذين نزل فيهم القرآن ، وتحداهم بالاتيان بمثله ، قد منعوا من الاتيان بمثله بصرف الله لهم عن ذلك ، فماذا يقول أصحاب هذا المذهب في أهل الجاهلية ومن كان من العرب قبل نزول القرآن وقبل التحدي به ومنهم فحول الشعراء والخطباء ، ومع ذلك لا نجد لهم شيئا يشبه القرآن أو يقاربه فلم يبق الا أن يكون القرآن بصياغته وبنظمه ، قد جاء على مستو لا تصل الى مثله قدر البشر من غير ما صرف ولا منع وفي بيان ذلك يقول : (على أنه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه ، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لانهم لم يتحدوا اليه ولم تلزمهم حجته ، فلما لم يوجد في كلام من قبلهم مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان)(٢)

وقد رد عليهم الباقلاني في معرض آخر بأن قولهم هذا لو كان كذلك (لكان آية عظيمة وخرقا للعادة كما أن نبينا لو تحدى قومه بتحريك أيديهم أو الخروج عن أماكنهم الى أقرب المواضع اليها ، فمنعوا القدرة على ذلك وقد اعتدوا الاقتدار عليه ، ثم أقدروا عليه ثانية بعد تقضي تحديه ، لكان خرق العادة بايجاد القدرة واعدامها على خلاف المتعالم المألوف آية عظيمة وحجة بينة واذا كان ذلك كذلك سقط ما قالوه)(٣)

---

(١) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩

(٢) نفس المصدر ص ٣٠

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٥٧

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قريبا من هذا وأعجبني ما رد به على من قال بالصرفة يقوله : (ومن أضعف الاقوال قول من يقول من أهل الكلام : انه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو بسلب القدرة الجازمة ، وهو أن الله صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضى التام أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما .... وهو أنه اذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله ، فامتناعهم - جميعا - عن هذه المعارضة مع قيام الدواعى العظيمة الى المعارضة من أبلغ الايات الخارقة للعادات .... ولو قدر أن واحدا صنف كتابا ، يقدر أمثاله على تصنيف مثله ، أو قال شعرا يقدروا أن يقولوا مثله ، وتحداهم كلهم فقال : عارضوني وان لم تعارضوني فأنتم كفار مأواكم النار ودمائكم حلال ، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد فاذا لم يعارضوه ، كان هذا من العجائب الخارقة للعادة ، والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم : أنا رسول الله اليكم جميعا ، ومن آمن بي دخل الجنة ، ومن لم يؤمن بي دخل النار ، وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم ، ووجب عليهم كلهم طاعتي ، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق ، ومن آياتي هذا القرآن فانه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله ، وأنا أخبركم أن أحدا لا يأتي بمثله .

فيقال : لا يخلو اما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين ، وان كانوا قادرين ولم يعارضوه ، بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم ، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه ، فان سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل : معجزتي انكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الاكل والشرب ، فان المنع المعتاد كاحداث غير المعتاد فهذا من أبلغ الخوارق ، وان كانوا عاجزين ثبت أنه خارق للعادة فثبت كونه خارقا للعادة على تقدير النقيضين ، النفي والاثبات فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الامر)(١)

ويتابع شيخ الاسلام ابن تيمية قوله :(فالصواب المقطوع به ، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته ، لا يقدرون على ذلك ، ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه ، على أن يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه ، لكل من له أدنى تدبر كما قد أخبر في قوله : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))(٢) وأيضا فالناس يجدون دواعيهم الى المعارضة حاطة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٧٥/٤-٧٦ ،وانظر نفس هذا الكلام بالنص في دقائق التفسير له ١٥٥/١-١٥٦ ، (٢) الاسراء الاية ٨٨

ولكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولو كانوا قادرين لعارضوه)(١)

ولو كان المانع الذي منع العرب من الاتيان بمثله هو الصرفة فلا يكون القرآن هو المعجز ، بل يكون المعجز هو الصرفة ، وعلى هذا فيكونوا غير عاجزين وانما يكون قد أعجزهم الله تعالى عن ذلك ، وهذا غير صحيح فان القرآن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ، والقول بالصرفة ينفي عنه خواص الاعجاز (٢)

وكذلك فان القول بالصرفة في اعجاز القرآن كمثل قول من قال فيه من العرب بأنه سحر يؤثر في قوله تعالى:((ان هو الا سحر يؤثر))(٣)

قال الرافعي(٤):(وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القول به ضربا من العمى :((أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون))(٥))(٦)

وسأحاول باختصار شديد تتبع من ألف في الاعجاز قبل الباقلاني وأبين أوجه اعجاز القرآن الكريم عندهم لأرى أين يقف الامام الباقلاني في هذا الموضوع.

بعد ظهور القول بالصرفة ورد العلماء عليه وبيان فساده وبطلانه بدأ العلماء في التصنيف في اعجاز القرآن ، ويعتبر كتاب نظم القرآن للجاحظ(٧) (ت ٢٥٥هـ) أول كتاب أفرد في الاعجاز (٨)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٧٦/٤، وانظر نص الكلام في دقائق التفسير له ١٥٦/١

(٢) المعجزة الكبرى القرآن للشيخ أبو زهرة ص ٨٤

(٣) المدثر الاية ٢٤

(٤) مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي،عالم بالادب شاعر،من كبار الكتاب،أصله من طرابلس الشام ، ومولده في بهيتم سنة ١٢٩٨هـ ووفاته في مصر سنة ١٣٥٦هـ له ديوان شعر،وتاريخ أدب العرب، واعجاز القرآن،ووحي القلم،وغير ذلك انظر الاعلام للزركلي ٢٣٥/٧

(٥) الطور الاية ١٥

(٦) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٦

(٧) عمرو بن بحر بن محبوب × أبو عثمان الشهير بالجاحظ،كان عالما بالادب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة،مولده في البصرة سنة ١٦٣هـ ووفاته فيها سنة ٢٥٥هـ،له تصانيف كثيرة منها الحيوان،والبيان والتبين،وغير ذلك .
انظر نزهة الالباء ص ١٤٨-١٥١، والاعلام للزركلي ٧٤/٥

(٨) انظر اعجاز القرآن للرافعي ص ١٥١

١- نظم القرآن للجاحظ :

ويظهر من عنوان الكتاب أن اتجاه الجاحظ فيه هو اتجاه من يقول بأن الاعجاز انما هو في النظم وليس في الصرفة ، والكتاب مفقود الا انه يمكن ترجيح ذلك من عنوان الكتاب وهو نظم القرآن مما يدل على أنه عقد القلب على ان النظم هو وجه الاعجاز فيه لا غير ذلك .

وأيضا ما ذكره الجاحظ عن كتابه هذا بقوله :(ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن الكريم لتعرف بها فضل ما بين الايجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات فاذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز والجمع بين المعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة)(١)

ويبدو أن كتاب الجاحظ هذا قد بقي الي عهد الباقلاني، ويبدو أنه اطلع عليه ولم يعجبه اسلوبه فقد عابه وغض منه حين قال : (وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا ، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى)(٢)

٢- اعجاز القرآن لابي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦ه) :

والكتاب مفقود أيضا ولم أجد من تكلم عنه وعن فكرة مؤلفه في الاعجاز الا ما ذكره الرافعي من أنه أول من جوّد في مذهب من قال ان القرآن معجز بالنظم وأنه بسط القول فيه على طريقتهم في التأليف (٣)

٣- كتاب النكت في اعجاز القرآن للرماني (٤) المتوفي سنة (٣٨٤ه)

وممن ألف في الاعجاز قبل الباقلاني علي بن عيسى الرماني،وبدأ المصنف رسالته في شكل جواب عن سؤال وجه اليه عن ذكر النكت في اعجاز القرآن دون التطويل في الحجاج ، ويجيب على هذا السؤال فيقول :(وجوه اعجاز القرآن تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والاخبار الصادقة عن الامور المستقبلة ،ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة)(٥)

---

(١) الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ٨٦/٣

(٢) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٦

(٣) انظر اعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٢

(٤) أبو الحسن الرماني،علي بن عيسى بن عبد الله المعروف بالرماني،من كبار النحاة أصله من سامراء،ومولده ووفاته ببغداد،ولد سنة ٢٩٦ه،وتوفي سنة ٣٨٤ه من مصنفاته الاسماء والصفات،والمعلوم والمجهول،والنكت في اعجاز القرآن،وغير ذلك . انظر نزهة الالباء ص ٢٣٣-٢٣٥ ،ووفيات الاعيان ٢٩٩/٣ ،والاعلام للزركلي٣١٧/٤

(٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني ص ٧٥

ثم بدأ الرماني بشرح الوجه الرابع من هذه الوجوه وهو البلاغة وكأنه يشعر بأهمية البلاغة في القضية فيختارها من بين الوجوه السبعة ويخصها بحديث طويل استأثر بمعظم الرسالة ٠

وكنت أظن أن الرماني بعد أن تحدث عن البلاغة وجها من وجوه الاعجاز في القرآن ، أنه سيتحدث عن الصرفة على أنها مما قال به بعضهم في الاعجاز وأنه لا يرضى ذلك الا انه قد صرح بخلاف ذلك فقال : (وهذا عندنا أحد وجوه الاعجاز الذي يظهر منها للعقول)(١)

ومن الغريب والعجيب أن يجمع الرماني في وجوه الاعجاز عنده بين البلاغة وبين الصرفة الذين ينفي الواحد منهما الآخر ٠

ومن الملاحظ على الرماني أنه جمع كثير من وجوه اعجاز القرآن التي قيلت قبله ، وأخذها على علاتها دون أن يقبل أو يرفض بعضها دون الآخر وكأنه يحاول أن يوفق بين هذه الآراء المختلفة ٠

٤- كتاب بيان اعجاز القرآن لابي سليمان الخطابي المتوفي سنة (٣٨٨هـ)

ويأتي بعد الرماني معاصره الخطابي وكتابه هذا أيضا عبارة عن رسالة أرادبها صاحبها اثبات اعجاز القرآن ، وقد بدأها بأن الناس قد أكثروا من الخوض في هذه القضية قديما وحديثا وذهبوا فيه مذاهب مختلفة ومع ذلك لم يصدروا عن رأي لتعذر وجه الاعجاز في القرآن الكريم (٢)

ثم يرد على من جعل من وجوه الاعجاز القول بالصرفة (٣)

ويرفض الخطابي أن يكون وجه الاعجاز في القرآن الكريم هو الاخبار عن أمور تقع في المستقبل ، لأن ذلك ليس عاما موجودا في كل سورة من سور القرآن (٤)

ويرى الخطابي أن اعجاز القرآن انما هو في البلاغة ويذكر أن القائلين به هم أكثر علماء النظر (٥)

ويختم الخطابي حديثه في الاعجاز بأن هناك وجها من وجوه الاعجاز قد ذهب عنه الناس ولم يتفطنوا اليه الا القليل منهم ويريد بهذا الوجه ما عبر عنه بقوله : (قلت في اعجاز القرآن وجها آخر ذهب الناس عنه فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس ٠٠٠)(٦)

---

(١) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني ص ١١٠

(٢) انظر نفس المصدر ص ٢١ ، (٣) انظر نفس المصدر ص ٢٣

(٤) انظر نفس المصدر ص ٢٣-٢٤ ، (٥) انظر نفس المصدر ص ٢٤-٣٥

(٦) نفس المصدر ص ٧٠

ويلاحظ على الخطابي أنه قد جمع بين أوجه كثيرة قيلت في اعجاز القرآن دون أن يكون بين بعضها البعض أي تناقض ، ويدل جمعه اياها على معرفة عميقة بجمال الكلام وبالبلاغة الحقيقية .

٥- اعجاز القرآن للباقلاني (ت٤٠٣هـ) وأوجه الاعجاز عنده :-

بعد هذا التسلسل لمن ألف في الاعجاز قبل الباقلاني نعود لموضوعنا الرئيسي وهو أوجه اعجاز القرآن عند الباقلاني .

ألف الامام الباقلاني بعد ذلك كتابا مشهورا في اعجاز القرآن وتتلخص أوجه اعجاز القرآن عند الباقلاني في ثلاثة أوجه :-

الوجه الاول : ما تضمنه القرآن من الاخبار عن المغيبات والى هذا أشار بقوله (فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن ، ذكر أصحابنا في ذلك ثلاثة أوجه من الاعجاز أحدها : أنه يتضمن الاخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الاديان بقوله عز وجل : ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))(١) ففعل ذلك)(٢)

ويؤكد الباقلاني على أن الانباء عن الغيوب أحد وجوه الاعجاز في القرآن فيذكر ذلك في غير كتاب الاعجاز فيقول في التمهيد :(فان قال قائل فهل في القرآن وجه من وجوه الاعجاز غير ما ذكرتموه ....

قيل له فيه وجهان آخران من وجوه الاعجاز أحدها : ما انطوى عليه من الاخبار عن الغيوب التي يعلم كل عاقل عجز الخلق عن معرفتها والتوصل الى ادراكها)(٣)

وقال في الانصاف : (ومن وجوه الاعجاز اشتمال القرآن على ما لا يحصى من علم غيوبه متعلقة بالمستقبل)(٤)

ثم يسوق الباقلاني الامثلة الكثيرة على ذلك نذكر منها :-

١- قوله تعالى : ((الم ، غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون))(٥) فغلبت الروم فارس فى بضع سنين وراهن أبو بكر رضي الله عنه في ذلك وصدق الله وعده (٦)

---

(١) التوبة الاية ٣٣ ، (٢) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٣

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٥٧

(٤) الانصاف للباقلاني ص ٦٣

(٥) الروم الايتان ١-٢

(٦) انظر اعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٨ ، والتمهيد له ص ١٥٩

٢- قوله تعالى :((لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنيين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون))(١) فدخلوه كما وعدهم وأخبرهم (٢)

٣- وقوله تعالى : ((واذ يعدكم الله احدى الطائفتين))(٣) فصدق فيه ووفي لهم بما وعد (٤)

٤- وقوله تعالى : ((قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد))(٥) وغير ذلك من الايات ٠

الوجه الثاني : يرى الباقلاني أن الوجه الثاني من أوجه اعجاز القرآن هو أمية الرسول صلى الله عليه وسلم فقال في بيان ذلك :(والوجه الثاني : انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب الاقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعثه)(٦)

الى أن قال :(ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل اليه ، الا عن تعلم ، واذا كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الاثار وحملة الاخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ ، فيجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه علم أنه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال تعالى : ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون))(٧) وقال : ((وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست))(٨))(٩)

وقال في التمهيد (والوجه الاخر : ما انطوى عليه القرآن من قصص الاولين وسير الماضين وأحاديث المتقدمين وذكر ما شجر بينهم وكان في اعصارهم مما لا يجوز حصول علمه الا لمن كثر لقاؤه لأهل السير ، ودرسه لها وعنايته بها ،ومجالسته لأهلها ، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها مع العلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتلو كتابا ولا يخطه بيمينه ٠٠ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فدل ذلك على أن المخبر له عن هذه الامور هو الله سبحانه علام

---

(١) الفتح الاية ٢٧ ، (٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٥٧-١٥٨ والانصاف له ص ٦٣ ، (٣) الانفال الاية ٧ ، (٤) انظر اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٤،٤٨، (٥) آل عمران الاية ١٢ ، (٦) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٤

(٧) العنكبوت الاية ٤٨ ، (٨) الانعام الاية ١٠٥

(٩) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٤-٣٥ ، وانظر ص ٤٩-٥٠

الغيـــوب)(١)

ويؤكد الباقلاني على أن هذا الوجه من وجوه اعجاز القرآن فيقـول في الانصاف : (ومن وجوه الاعجاز في القرآن : اشتماله على قصص الاولين وما كان من أخبار الماضين ، مع القطع بأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولم يعهد منه صلى الله عليه وسلم في جميع زمانه تعاط لدراسة كتب ولا تعلمها)(٢)

الوجه الثالث : وهو من جهة نظم القرآن وبراعته واسلوبه وبلاغته فقال في هذا الوجه : (الوجه الثالث : أنه بديع النظم ، عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه)(٣)

وقال في معرض آخر عند هذا الوجه في اعجاز القرآن وهو (ما اختص به من جهة الجزالة والنظم والفصاحة الخارجة عن أساليب الكلام وتحدى بـه فصحاء العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بمثله وهم أهـل الفصاحة والبلاغة)(٤)

وحتى عجز جميع ارباب البلاغة والبيان منذ عصر النبوة وحتى عصرنا هذا عن معارضته رغم تحدي النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد تعرض الباقلاني لمسألة التحدي وأثبت وقوعها على يد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (واذا ثبت هذا الاصل - يريد صحة نسبة القرآن الى الله عز وجل على لسان رسوله وصحة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به - فانا نقول : انه تحداهم الى أن يأتوا بمثله ، وقرعهم على ترك الاتيان به ، طول السنين .... فقال : ((وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ....))(٥)

وقال : ((أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ..... الاية))(٦) فجعل عجزهم عن الاتيان بمثله دليلا على أنه منه ، ودليلا على وحدانيته)(٧)

واستدل ايضا على اثبات التحدي بقوله تعالى : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))(٨)

---

(١) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٥٩

(٢) الانصاف للباقلاني ص ٦٢-٦٣ ، (٣) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٥ ،وانظر ص ٥٠ ، والتمهيد له تحقيق مكارثي ص ١٤١

(٤) الانصاف للباقلاني ص ٦٢ ، (٥) البقرة الايـة ٢٣

(٦) هود الاية ١٣ ، (٧) اعجاز القرآن للباقلاني ص ١٧

(٨) الاسراء الاية ٨٨

وقوله تعالى:((أم يقولون افتراه ، بل لا يأمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين))(١)

ثم قال الباقلاني : (وقد ثبت بما بيناه أنه تحداهم اليه ولم يأتوا بمثله وفي هذا أمران : أحدهما : التحدي اليه ، والآخر : أنهم لم يأتوا له بمثل ، والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري فلا يمكن جحود واحد من هذين الامرين)(٢)

وقال في موضع آخر : (فانا نعلم انه صلى الله عليه وسلم تحدى العرب بأن تأتي بمثله في براعته وفصاحته وحسن تأليفه ونظمه وجزالته ورصانته وايجازه واختصاره واشتمال اللفظ اليسير منه على المعاني الكثيرة ، ودعاهم الى ذلك وطالبهم به في أيام المواسم وغيرها مجتمعين ومتفرقين .... الى أن قال - فلو كانوا مع ذلك قادرين على معارضته أو معارضة سورة منه لسارعوا الى ذلك ولكان أهون عليهم وأخف من نصب الحرب معه والجلاء عن الاوطان وتحمل الاهوال والصبر على القتل وألم الجراح)(٣)

ويتابع الباقلاني قوله بأن : (في صدفهم عن هذا أجمع وعن تكلف معارضة سورة منه أو ايراد ما قبل وكثر من ذلك .... أعظم دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم)(٤)

ويرجع الامام الباقلاني بديع نظم القرآن وبراعته الى عشرة أمور :-

١- أن اسلوب القرآن خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد ومباين للاساليب المعروفة .

٢- انه لم يوجد عند العرب أثر أدبي يجاري القرآن في بلاغته وجمال اسلوبه ويكون في طوله بقدر القرآن .

٣- عرض القرآن لموضوعات مختلفة في الحكم والاوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص ، فأجاد القرآن فيها كلها ، ولا يقارن بما جاء به القرآن أحسن الاشعار والخطب ، والشعر والخطباء انما يجيدون في نوع واحد منها ، والقرآن أجاد فيها كلها .

---

(١) الطور الايتان ٣٣- ٣٤

(٢) اعجاز القرآن للباقلاني ص ١٨

(٣) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ١٤١-١٤٢

(٤) نفس المصدر ص ١٤٢-١٤٣

٤ـ ان الكلام يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول وان أحسن الادباء اذا كتبوا في موضوع واحد نرى التفاوت في كتاباتهم وخاصة عندما ينقلون من فكرة الى أخرى ، والقرآن على خلاف ذلك بحيث يجمع النواحي المختلفة فيبرزها بطريقة تظهر فيها أنها وحدة منسجمة ٠

٥ـ أسلوب القرآن وبلاغته ليس أعلى من اسلوب الانس فقط بل ومن اسلوب الجن أيضا ٠

٦ـ أساليب الاداء المختلفة الموجودة في كلام العرب من بسط وايجاز وجمع وتفريق ، واستعارة وتصريح ، موجودة في القرآن ، وهي في القرآن أعلى من تلك اذا قورنت بها ٠

٧ـ ان تأليف كلام في رأى جديد أصعب من تأليف كلمات في رأي مألوف والقرآن يعبر عن أفكار جديدة بطريقة تفوق قدرة البشر ٠

٨ ـ تظهر جودة نظم القرآن وسمو بلاغته ، اذا أخذت منه كلمة واستعملتها في كلام آخر شعر أو نثر ، فانها تسترعي انتباه القارئ والسامع وتأتي في الكلام كالجواهر والدرر ٠

٩ـ ان الحروف الهجائية هي (٢٨) حرفا ، والمقاطع التي ابتدأ بها بهذه الحروف في القرآن هي (٢٨) ، وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات (١٤) حرفا أى نصف عدد هذه المقاطع ، فهذا الاعجاز العددي كما يسميه بعض العلماء دليل على معرفة أمور المستقبل معرفة لا يتأتى صدورها الا من الله تعالى علام الغيوب ٠

١٠ـ ان لغة القرآن سهلة ومدلولاتها تفهم على أيسر وجه ولا تتخللها كلمات أو تراكيب غريبة مستنكرة أو عويصة مشكلة ، ومع ذلك فليس بالامكان مجاراة اسلوبه ٠ (١)

وقد خص الامام الباقلاني معظم الكتاب للتوسع في هذه الامور واستأثر الوجه الثالث من وجوه الاعجاز عند الباقلاني وهو براعة النظم بالقسم الاكبر من الكتاب ٠

وكتاب الباقلاني يعتبر بحق الحلقة الوسطى بين الابحاث التي كتبت قبله في الاعجاز ، فهو يلخص كلام من تقدمه من المؤلفين واليه تنتهي ومنه تتفرع كل الكتب التي ألفت بعده ، فنرى معظم المتكلمين من الاشاعرة قد

---

(١) انظر هذه الامور في كتاب اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٥ـ٤٧

أخذوا بهذه الوجوه الثلاثة في اثبات اعجاز القرآن (١)

ومن الملاحظ على الباقلاني في كتابه اعجاز القرآن انه لم يذكر كتاب الواسطي ولا الرماني ولا الخطابي الذي كان يعاصره وأومأ الى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما ، وكأنه هو الذي ابتدأ التأليف في هذا الفن ولم يسبقه اليه أحد . (٢)

وينتقد الرافعي كتاب الباقلاني ، بالرغم من اعترافه بعظم شأنه بما انتقد به الباقلاني كتاب الجاحظ فيقول : (على أن كتاب الباقلاني وان كان فيه الجيد الكثير، وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له ، الا انه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ، ولم يتحاش وجها من التأليف لم يرضه من سواه ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ " لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى"، فان مرجع الاعجاز فيه الى الكلام والى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول .... وقد حشر اليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر ذهبت بأكثره وغمرت جملته ، وعدها في محاسنه وهي من عيوبه ....)(٣)

الى أن قال : (وكان الباقلاني - رحمه الله وأثابه - واسع الحيلة في العبارة ، مبسوط اللسان الى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ .... على بصر وتمكن وحسن تصرف ، فجاء كتابه وكأنه في غير ما وضع له ،لما فيه من الاغراق في الحشد ،والمبالغة في الاستعانة والاستراحة الى النقل)(٤)

ثم يوضح الرافعي مع ذلك أهمية الكتاب وعظم شأنه فيقول :(على أن كتابه قد استبد بهذاالفرع من التصنيف في الاعجاز ، واحتمل المؤنة فيه بجملتها من الكلام والعربية والبيان والنقد ووفى بكثير مما قصد اليه من أمهات المسائل والاصول التي أوقع الكلام عليها ، حتى عدوه الكتاب وحده

---

(١) انظر لمع الادلةللجويني ص ١٢٦،ونهاية الاقدام للشهرستاني ص ٤٤٧-٤٥١ والمواقف للايجي ص ٣٤٩-٣٥٠، وغاية المرام للآمدي ص ٣٤٤-٣٤٥،والارشاد للجويني ص ٣٥٠-٣٥٣،ودلائل التوحيد للقاسمي ص ١٥٤

(٢) انظر اعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٢،والمعجزة الكبرى القرآن للشيخ أبو زهرة ص ٨٨

(٣) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٢

(٤) نفس المصدر ص ١٥٣

لا يشرك العلماء معه كتابا آخر في خطره ومنزلته .... وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره ......)(١)

ولا يفوتني أخيرا وأنا أذكر أوجه اعجاز القرآن عند الباقلاني أن أذكر ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في ذلك .

فقد رأى ابن تيمية أن من الناس من ذهب الى أن اعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه وبراعته ، ومنهم من ذهب الى أن اعجاز القرآن في اخباره عن الغيوب ، ومنهم من ذهب الى أ ن اعجازه في تشريعاته ومنهم من ذهب الى كذا ...... وكذا ...... الى آخره .

وهو يرى أن جميع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء حجة على اعجازه ولا تناقض في ذلك يقول : (وكون القرآن أنه معجزة ، ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة اخباره بالغيب فقط ، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم و من جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي ، وعن الغيب المستقبل،ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والاقيسة العقلية ، التي هي الامثال المضروبة ، كما قال تعالى :((ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا))(٢)

.... وكل ما ذكره الناس من الوجوه في اعجاز القرآن ، هو حجة على اعجازه ولا يناقض ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له)(٣)

ويرى قريبا من هذا الرأي الامام ابن القيم ، حيث انتقد من يأخذ بوجه من وجوه الاعجاز دون غيره ، بعد أن عرض ما يراه مناسبا في اعجازالقرآن فقال : (فتأمل هذا الموضع من اعجاز القرآن تعرف قصور كثير من المتكلمين وتقصيرهم في بيان اعجازه وانهم لن يوفوه عشر معشار حقه حتى قصر بعضهم الاعجاز على صرف الدواعي عن معارضته مع القدرة عليها ، وبعضهم قصر الاعجاز على مجرد فصاحته وبلاغته ، وبعضهم على مخالفة أسلوب نظمه لا ساليب نظم الكلام ، وبعضهم على ما اشتمل عليه من الاخبار بالغيوب الى غير ذلك من الاقوال القاصرة التي لا تشفي ولا تجدي واعجازه فوق ذلك ووراء ذلك كله ....)(٤)

وأرى أن ما ذكره ابن تيمية وتلميذه ابن القيم قول سديد لانه يجمع بين جميع الوجوه التي ذكرها العلماء في اعجاز القرآن .

---

(١) اعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٣ـ١٥٤، (٢) الكهف الاية ٥٤
(٣) الجواب الصحيح لابن تيمية ٧٤/٤ـ٧٥، وانظر هذا بنصه في دقائق التفسير له ١٥٥/١
(٤) بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ١٣٥ـ١٣٦

الفصـــــل الحادي عشـــــر

رأي الامـــــام الباقلانـــي في السمعيـــــات في ضوء عقيدة السلـف .

وفيـــــه مباحـــث :-

المبحث الاول : في اثبات عذاب القبر ونعيمـــه وسؤال الملكيـــن .

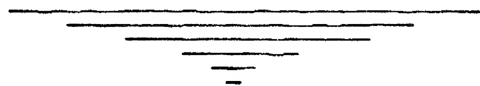
المبحث الثاني : في اثبات الصـــراط .

المبحث الثالث : في اثبات الميزان .

المبحث الرابع : في اثبات الحوض .

المبحث الخامس : في اثبات الشفاعة .

المبحث السادس : في الجنة والنار وأنهما مخلوقتان دائمتان لا تفنيان أبدا ولا يفنى من فيهمـــا .



المبحث الاول

في اثبات عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين

تمهيـــــد :

في هذا الفصل سنتناول رأي الامام الباقلاني في السمعيات ، والسمعيات هي الامور الغيبية التي علمت بطريق السمع فقط من الكتاب أو السنة ، فان الامام الاشعري وأكثر أصحابه ومن تبعهم من أصحاب المذاهب الاربعة يسمونها بالسمعيات لأنها لا تعلم الا بالسمع . (١)

وجمهور أهل السنة على أنها سمعية لاتعلم الا بورود السمع (٢)

وسأذكر رأي الامام الباقلاني في بعض هذه الامور السمعية التي تعرض لها وسأبحث كل مسألة على حده ، مع أنه لم يفصل القول فيها بل جاء حديثه عنها وأدلته عليها على طريق الاجمال ، وهو كغيره من علماء أهل السنة اعتمد على الادلة النقلية من الكتاب والسنة .

اثبات عـــذاب القبـــر ونعيمه وسؤال الملكين :-

يرى الامام الباقلاني أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ، ونصب الصراط ، والميزان ، والحوض ، والشفاعة للعصاة من المؤمنين ...... الى غير ذلك حق يجب الايمان به والقطع بذلك لأنه غير مستحيل في العقل ؛ (٣)

واستدل على اثبات عذاب القبر بالادلة من الكتاب والسنة ، أما من الكتاب فاستدل بقوله تعالى : ((ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا))(٤)

وقال في وجه استدلاله بهذه الاية : (قال أبو هريرة يعني عذاب القبـــر)(٥)

واستدل من السنة : بقوله صلى الله عليه وسلم :((القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار))(٦)

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٦٨

(٢) لوامع الانوار للسفاريني ٣/٢

(٣) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥١

(٤) طـه الاية ١٢٤

(٥) الانصاف للباقلاني ص ٥١

(٦) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب رقم (٢٦) ٥٥١/٤ وقال : حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، والحديث من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقد قال تعالى :((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا))(١)والغدو والعشي انما يكون في الدنيا ، فجعل عذابهم يوم القيامة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدوا وعشيا ٠

كما استدل أيضا من السنة بما روي عن النبي طى الله عليه وسلم أنه كان يقول : ((أعوذ بالله من عذاب القبر))(٢) (٣)

والحقيقة أن هذا قد اتفق عليه أهل السنة والجماعة وأن عذاب القبر حق وأن الانسان اذا مات اما أن يكون في قبره في نعيم أو عذاب لا خلاف في ذلك بين الاشعرية والمعتزلة والسلف (٤)

وقد نقل الاجماع على هذا الامام الاشعري حيث قال : (وأجمعوا - أي أهل السنة - على أن عذاب القبر حق ، وأن الناس يسألون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها)(٥)

والاشاعرة يقولون : (عذاب القبر للكافرين ، ولبعض عصاة المؤمنين وتنعيم أهل الطاعة في القبر بما يعلمه الله تعالى ويريده ، وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية)(٦)

ولا يعرف خلاف في هذا الا ما يروى عن ضرار بن عمرو بن وبشر المريسي(٧) الذين أنكروا عذاب القبر وشبهتهم في ذلك أنه لو كان عذاب القبر حقيقة لكان يجب في المطلوب،والميت الذي لم يدفن أن يسمع أنينه و أن يشاهد اضطرابه ، ولما لم يحدث كل ذلك كان العذاب مستحيلا (٨)

وفي الرد على هذا يقرر الامام ابن القيم مذهب السلف بقوله :(ان

---

(١) غافر الاية ٤٦

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٤١٢/١،من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٠

(٣) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥١

(٤) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٧٣٠-٧٣١

(٥) رسالة أهل الثغر للاشعرى ص ٩٥،وانظر الابانة له ص ١٨١-١٨٣

(٦) شرح العقائد النسفية ص٦٦-٦٧،وانظر شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٦٩

(٧) انظر المواقف للايجي ص ٣٨٢

(٨) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٧٣٣

مذهب سلف الامة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب)(١)

ويقول أيضا : (ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رمادا ، ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل الى القبور)(٢)

يلاحظ من هذا النص أن العذاب ثابت سواء قبر الميت أو لم يقبر مما يدل على كمال علم الله بمخلوقاته وما يلحقها من عذاب أو نعيم ، وفي هذا رد على ما زعمه ضرار وبشر المريسي في اتخاذهم عدم سماع أنين المطلوب الذي لم يدفن حجة في عدم اثبات عذاب القبر وهذا قول باطل ٠

والادلة التي استدل بها الامام الباقلاني هي عين الادلة التى استدل بها جمهور أهل السنة والجماعة ٠ (٣)

ومما استدل به أهل السنة والجماعة اضافة لما ذكره الباقلاني ما ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين ، فقال :((انهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول ، وأما الاخر فكان يمشي بالنميمة فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال : لعله يخفف عنهما مالم ييبسا))(٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم :((ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل

---

(١) الروح لابن القيم ص ٧٣-٧٤،وانظر الابانة لابن بطة ص ١٩٧،والشريعة للآجري ٣٥٨-٣٦٤ ٠

(٢) الروح لابن القيم ص ٨١

(٣) انظر العاقبة في ذكر الموت والآخرة للاشبيلي ص ٢٣٥-٢٤٨ ،وعذاب القبر للبيهقي ص ٦٢-٧٠،والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ١٦٨/١-١٧٠ ولوامع الانوار ١٢/٢-١٣، ومعارج القبول للحكمي ١٤٢/٢-١٧٠

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ٦٠/١-٦١ ومسلم فى كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ٢٤٠/١-٢٤١،والترمذي فى الطهارة باب ما جاء في التشدد من البول ١٠٢/١-١٠٣،وابن ماجة في الطهارة باب التشدد في البول ١٢٥/١٠

النار فمن أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة))(١)

قال شارح الطحاوية :(وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا ، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك ، والايمان به ، ولا نتكلم في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول ، فان عود الروح الى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا)(٢)

وقال الامام القرطبي :(الايمان بعذاب القبر وفتنته : واجب والتصديق به لازم حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره يرد الحياة اليه ، ويجعله في العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعده له في قبره من كرامة أو هوان ، وبهذا نطقت الاخبار عن النبي المختار ...... وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة ....)(٣)

وأما سؤال الملكين للانسان في القبر عن ربه ودينه ونبيه فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبين أن هذا من فتنة القبر نعوذ بالله من ذلك .

فالامام الباقلاني أثبت ذلك بما ثبت عنده من الادلة من الكتاب والسنة فقال :(والدليل على سؤال منكر ونكير قوله تعالى :((يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة))(٤) يعني وفي الآخرة عند سؤال منكر ونكير)(٥)

واستدل على ذلك بما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر رضي الله عنه ((كيف بك ياعمر اذا جاءك فتانا القبر ؟ فقال : أكون كما أنا الآن فقال له : نعم ، فقال له : اذا أكفيكهما))(٦)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ١٠٣/٢،ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٢١٩٩/٤،والترمذي في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٣٨٤/٣ وابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر القبر ١٤٢٧/٢،من حديث نافع عن ابن عمر

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الاخرة للقرطبي ١٥٧/١

(٤) ابراهيم الاية ٢٧ ، (٥) الانصاف للباقلاني ص ٥١

(٦) أخرجه بتمامه الاجري في الشريعة ص٣٦٦ـ٣٦٧،عن عطاء بن يسار مرسلا .

واستدل بما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال ((رأيت أبي في النوم فقلت له يا أبت منكر ونكير حق ؟ فقال : أي والله الذي لا اله الا هو لقد جاءاني فقالا لي : من ربك؟ فأخذت عليهما وقلت لهما : لا أخلي عنكما حتى تعرفاني من ربكما فقال أحدهما للآخر : دعه فانه عمر الفاروق سراج أهل الجنة)) (١) (٢)

ومذهب الباقلاني في هذا هو مما اتفق عليه أهل السنة أيضا وأدلته هي أدلتهم (٣)

ويمكن أن يضاف الى أدلة الباقلاني السابقة ما استدل به أهل السنة والجماعة وهو ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس فيقال له لا دريت و لا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين))(٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم :((اذا قبر الميت " أو قال أحدكم " أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير..الى آخر الحديث))(٥)

---

(١) لم أعثر على هذا الاثر في كتب الآثار الموجودة .

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٢

(٣) انظر الشرح والابانة لابن بطة ص ١٩٧-١٩٩،والشريعة للآجري ص ٣٦٥-٣٧١ والتذكرة للقرطبي ١٤٣/١-١٥٥،وقطف الثمر لصديق خان ص ١٣٢-١٣٣،ولوامع الانوار للسفاريني ٥/٢-٧

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ١٠٢/٢،ومسلم في كتاب صفة الجنة ونعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .. ٢٢٠٠/٤-٢٢٠١ .

(٥) أخرجه الترمذي مرفوعا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٣٨٣/٣،وصححه ابن خزيمة ، انظر موارد الظمآن حديث رقم (٧٨٠) ، وأخرجه الآجري في الشريعة ص ٣٦٥

المبحث الثاني

في اثبات الصراط .

فـــي الصـــــراط :-

يثبت الامام الباقلاني الصراط ، واستدل على اثباته بالادلة النقلية مـــن الكتاب والسنة ٠

فقال :(ويدل على نصب الصراط قوله تعالى :((وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا))(١) قيل في التفسير هو العبور على الصراط)(٢)

قال شارح الطحاوية :(اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في الاية ٠٠٠٠٠٠٠ ما هو ؟ والاظهر والاقوى أنه المرور على الصراط)(٣)

ويمكن أن يقال كيف يكون هذا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلـم أنه قال :((لا يدخل النار ان شاء الله ، من أصحاب الشجرة أحد ، الذيـــن بايعوا تحتها)) فقالت حفصة ((وان منكم الا واردها)) فقال النبى صلـــى الله عليه وسلم قد قال الله عز وجل:((ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيـــا))(٤) (٥) فأشار صلى الله عليه وسلم أن ورود النار لايستلزم دخولها (٦)

فالجميع يمر على الصراط من فوق جهنم ، وينجي الله المؤمنيـــن ويذر الظالمين فيها جثيا ٠

كما استدل الامام الباقلانى على اثبات الصراط بقوله صلى الله عليه وسلم :((ينصب الصراط على متن جهنم دحض مزلة والانبياء عليه يقولون سلـم سلم والناس يمرون عليه ، فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالجواد من الخيل ٠٠٠٠٠٠٠ الى آخر الحديث))(٧)

والصراط هو جسرمنصوم على جهنم يرده الاولون والآخرون من الانبياء والصدقين والشهداء وغيرهم (٨)

---

(١) مريم الاية ٧١ ، (٢) الانصاف للباقلاني ص ٥٢

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٨، (٤) مريم الاية ٧٢

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة ١٩٤٢/٤

(٦) انظر شرح الطحاوية ص ٤٧٨

(٧) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ٣٧٦/٢ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد موقوفا على ابن مسعود وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ٣٦٠/١٠

(٨) انظر شرح الطحاوية ص ٤٧٧،والايمان لمحمد نعيم ياسين ص ١٣٧ـ١٣٨،ورسالة في التوحيد لكمال الطائي ص ١١٨،ولوامع الانوار ١٨٩/٢

وقد ورد أن الناس يمرون عليه وتكون سهولة ذلك عليهم بقدر أعمالهم الصالحة في الدنيا ، فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يمر يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا ويلقى في جهنم (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :(فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة)(٢)

وقد جعل القرطبي هذه القنطرة صراط آخر فقال :(اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم الا من دخل الجنة بغير حساب ، أو من يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه الا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ من حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء احد ان شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقة ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه)(٣)

والحقيقة أن أدلة الامام الباقلاني هي أدلة غيره من أهل السنة والجماعة على اثبات الصراط مستمدة من الكتاب والسنة ويمكن التوسع في هذا ومعرفة أدلة اثبات الصراط وصفته في مصنفات العلماء من أهل السنة (٤)

---

(١) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها للهراس ص ١٤٧، وشرح الطحاوية ص ٤٧٧-٤٧٨، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٨٠-١٨١، والنشر الطيب للوزاني ٣٨٠/٢، وقطف الثمر لصديق خان ص ١٣٧، ورسالة في التوحيد للطائي ص ١١٨

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس ص ١٤٧

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ٤٠٨/٢

(٤) انظر الشرح والابانة لابن بطة ص ٢٠١-٢٠٢، والعاقبة في ذكر الموت والآخرة للاشبيلي ص ٣١٣-٣١٥، والتذكرة للقرطبي ٣٩٦/٢-٤٠٩، وشرح العقائد النسفية ص ٦٩-٧٠ وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٧٩-١٨١، وشرح الطحاوية ص ٤٧٧-٤٧٩، ولوامع الانوار ١٨٩/٢-١٩٤، ومعارج القبول للحكمي ٢٧٢/٢-٢٧٩، وجمع الشتيت للصنعاني ص ٦٨-٧١

واثبات الصراط مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة قال الاشعري: (وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم وأنهم يتفاوتون في السرعة والابطاء على قدر ذلك)(١)

ومما استدل به أهل السنة والجماعة اضافة لما سبق من أدلة الباقلاني ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((...... يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفونها فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلّم ، وفي جهنم كلاليب (٢) مثل شوك السعدان (٣) هل رأيتم السعدان؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن يقي بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجى .... الخ الحديث))(٤)

وكذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك - وهكذا يأتون معظم الانبياء والكل يعتذر ويقول لست بصاحب ذلك - فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له ، وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي (٥) الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق)) قال - أي أبو هريرة - قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال :((ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع في

---

(١) رسالة أهل الثغر للاشعري ص ٩٦

(٢) جمع كلُّوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس

(٣) نبات له شوكة عظيمة من كل الجوانب .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٢٠٥/٧، ومسلم في كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١-١٦٥ ، واللفظ له .

(٥) أي ناحيته اليمنى واليسرى

طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال (١) تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلّم سلّم حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال : وفي حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس(٢) في النار))(٣)

والاحاديث في ذلك متواترة .

---

(١) أي كعدو الرجال وجريهم .

(٢) مكدوس أي مدفوع ، وتكدس الانسان اذا دفع من ورائه فسقط .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٨٦/١-١٨٧

المبحث الثالث

في اثبات الميزان .

في اثبات الميزان :-

يثبت الامام الباقلاني كغيره من علماء أهل السنة الميزان واستدل على اثباته بقوله تعالى :((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين))(١)

وقوله تعالى :((فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا))(٢)

واستدل من السنة بحديث عائشة وأنها قالت يا رسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال :((أما عند مواطن ثلاثة فلا ، الكتاب والميزان ، والصراط))(٣) (٤)

ويرى العلماء أن الميزان حقيقي له كفتان ولسان (٥)

قال شارح الواسطية :(وهي موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان)(٦)

ويكون وزن الاعمال بعد اتمام الحساب ، لأن الوزن للجزاء .قال القرطبي :(قال العلماء واذا انقضى الحساب ، كان بعد وزن الاعمال ، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فان المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها)(٧)

والحاصل أن الايمان بالميزان ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ،قال ابن بطة :(وقد اتفق أهل العلم بالاخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الامصار أن الايمان بذلك واجب لازم)(٨)

والباقلاني كغيره من أهل السنة أثبت الميزان واستدل عليه من الكتاب والسنة ، ولا خلاف في ذلك بين أهل السنة وأدلتهم على اثبات ذلك

---

(١) الانبياء الاية ٤٧

(٢) الكهف الاية ١٠٥

(٣) أخرجه أبو داود بنحوه في كتاب السنة باب ذكر الميزان ١١٦/٥ ، حديث رقم (٤٧٥٥)

(٤) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٢

(٥) انظر شرح الطحاوية ص ٤٨٠،ولوامع الانوار ١٨٤/٢ـ١٨٥،وقطف الثمر ص ١٣٥

(٦) شرح العقيدة الواسطية ص ١٣٥

(٧) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الاخرة للقرطبي ٣٧٣/٢

(٨) الشرح والابانة لابن بطة ص ٢٠٣

كثيرة مشهورة (١) ولا يعرف خلاف في هذا الا ما نقل عن بعض المعتزلة من انكار الميزان وأنه كناية عن العدل لأن الاعمال عندهم أعراض ، والاعراض يستحيل وزنها اذ لا تقوم بأنفسها ، ورد عليهم بأن الله تعالى يقلب الاعراض أجساما فيزنها وهو على كل شيء قدير (٢)

* واختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر :

فقيل : هو ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال .

وقيل : لكل أمة ميزان .

وقيل : لكل واحد من المكلفين ميزان .

وقيل : الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى: ((ونضع الموازين))(٣) وقوله تعالى :((فمن ثقلت موازينه))(٤)

وقيل : انما جمع الموازين في الاية الكريمة لكثرة من توزن اعمالهم وهو رأي حسن (٥)

* واختلف في الموزون ما هو ؟ هل العبد يوزن مع عمله ،أم الصحف أم العمل ؟ على عدة أقوال :-

القول الاول : أن الموزون هو الاعمال نفسها وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان ، واستدل اصحاب هذا القول بعدة أحاديث منها :

ما روى مسلم عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ......الحديث))(٦)

---

(١) انظر الشرح والابانة لابن بطة ص ٢٠٢-٢٠٣، والشريعة للآجري ص ٣٨٢-٣٨٧ وشرح العقائد النسفية ص ٦٨-٦٩،والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٣٧،والتذكرة للقرطبي ٣٧٣/٢-٣٩٥،والعاقبة في ذكر الموت والآخرة ص ٣٠٨-٣١٠.

(٢) انظر الاقتصاد للغزالي ص ١٣٧،وشرح العقائد النسفية ص ٦٨-٦٩،ورسالة في التوحيد للطائي ص ١١٤،وشرح الطحاوية ص ٤٨٣

(٣) الانبياء الاية ٤٧

(٤) القارعة الاية ٦

(٥) انظر لوامع الانوار للسفاريني ١٨٦/٢

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ٢٠٣/١،والترمذي في الدعوات باب رقم (٨٦) ٥٠١/٥،والنسائي في الزكاة باب وجوب الزكاة ٥/٥-٦،وأحمد في المسند ٢٤٣/٥-٢٤٤.

وما روي في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم :((كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم))(١) وغير ذلك من الاحاديث .

القول الثاني : أن الذي يوزن هو صحائف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وذهب اليه جمهور المفسرين واختاره الامام الباقلاني واستدل عليه بحديث البطاقة ، وكل من قال بهذا القول استدل عليه بحديث البطاقة وهو ما روي من حديث أبي عبد الرحمن الحُبلي قال : سمعت عبد الرحمن بن عمرو رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يارب ، فيقول : ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول : بلى ، ان لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ،فيقول: احضروه ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : انك لاتظلم قال فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل شيء مع اسم الله الرحمن الرحيم))(٢)

القول الثالث : أن الموزون هو العامل نفسه ، وأصحاب هذا القول استدلوا عليه بما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((انه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ١٦٨/٧،ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح ٢٠٧٢/٤، وابن ماجه في الادب باب فضل التسبيح ١٢٥١/٢، وأحمد في المسند ٢٣٢/٢ ،من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الايمان باب ما جاء فيمن يموت وهويشهد أن لا اله الا الله ،وحسنه ، ٢٥/٥ ،وأحمد في المسند ٢١٣/٢ ،وابن ماجه في كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله عز وجل يوم القيامة ١٤٣٧/٢ ،وابن حبان في صحيحه في الزهد باب الخوف والرجاء انظر موارد الظمآن ص ،والحاكم في المستدرك في كتاب الايمان باب فضيلة شهادة أن لا اله الا الله وثقلها في الميزان ٦/١ وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ،من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .

لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرؤا ان شئتم ((فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا))(١)))(٢)

وما روى عن الامام أحمد عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، وضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّ تضحكون ؟ قالوا : يا رسول الله من دقة ساقيه فقال : ((والذي نفسي بيده ، لهما أثقل في الميزان من أحد))(٣)

وأجيب عن هذا الرأي بأن أمثال هذه الاحاديث ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذي يغتر بجسمه فان الله تعالى لا ينظر الى الصور ولا الى الاجسام ولكن ينظر الى الاعمال والقلوب ٠

القول الرابع : ورجحه بعض العلماء وهو أن الموزون هو العامل وعمله وصحائف الاعمال ، كل ذلك يوزن جمعا بين النصوص والاحاديث الواردة المتفرقة في الوزن ويدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البطاقة السابق برواية أخرى من رواية الامام أحمد :((توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى الرجل فيوضع في كفة ، ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان قال فيبعث الى النار قال فاذا أدبر اذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فانه قد بقي له ، فيؤتى ببطاقة فيها لا اله الا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان))(٤)

قالوا فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع مع حسناته وصحيفة أعماله في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الاخرى قالوا : وبهذا يمكن الجمع بين سائر أحاديث الوزن (٥)

---

(١) الكهف الاية ١٠٥

(٢) اخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة الكهف ٢٣٦/٥،ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٧/٤

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٢٠/١-٤٢١،واسناده حسن ،وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٩/٩

(٤) رواه أحمد في المسند ٢٢١/٢-٢٢٢

(٥) انظر في الاقوال السابقة التذكرة للقرطبي ٣٧٣/٢-٣٨٣،والانصاف للباقلاني ص٥٢ وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٧٨-١٧٩،وشرح الطحاوية ص ٤٨٠-٤٨٤،ولوامع الانوار للسفاريني ١٨٧/٢-١٨٨،ومعارج القبول للحكمي ٢٦٨/٢-٢٧٢،والنشر الطيب للوزاني ٢٨٤/٢-٢٨٨ ٠

المبحث الرابع

في اثبات الحوض .

في اثبات الحوض :

أثبت الامام الباقلاني كغيره من علماء أهل السنة والجماعة الحوض لوروده بالادلة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي بلغت مبلغ التواتر عن أكثر من ثلاثين صحابيا (١)

واستدل على اثباته بقوله تعالى :((انا أعطيناك الكوثر))(٢)

قال :(قيل في التفسير هو الحوض)(٣)

واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم :((حوضي كما بين ايلة ومكة له ميزبان من الجنة أكوابه كعددنجوم السماء ......))(٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم :((شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من كذب به اليوم لم يصبه الشرب يومئذ))(٥)(٦)

ومما استدل به أهل السنة من الاحاديث على اثبات الحوض اضافة لما استدل به الامام الباقلاني ما روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال :((بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا ، اذ أغفى اغفاءة ثم

---

(١) انظر الشرح والابانة لابن بطة ص ٢٠٣-٢٠٤ ،والشريعة للاجري ص ٣٥٢-٣٥٧ ،والابانة للاشعري ص ١٧٩-١٨٠ ،وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٢٢ ،والبعث والنشور للبيهقي ص ١١٠-١٣٠ ، والعاقبة في ذكر الموت والآخرة للاشبيلي ص ٢٨٦-٢٩١ ،وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٢٨٤ ،وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٦٩ ،وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٠ ،وشرح العقيدة الواسطية ص ١٤٦ ،ولوامع الانوار البهية ٢/١٩٤-١٩٥ ،ومعارج القبول للحكمي ٢/٢٩٢-٣٠٣ وقطف الثمر لصديق خان ص ١٣٧ .

(٢) الكوثر الاية ١

(٣) الانصاف للباقلاني ص ٥٣

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٠ ،من حديث أنس بن مالك بنحوه وفي سنده ضعف وله شواهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وحديث ثوبان رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/١٢٢ ،والحاكم في المستدرك وصححه ٣/٥٤٣ بنحوه .

(٦) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٣

رفع رأسه مبتسما فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال :((انزلت علي آنفا سورة)) فقرأ :((بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصلي لربك وانحر ان شانئك هو الابتر)) ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : ((الله ورسوله أعلم)) قال :((فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منه فأقول ربي انه من أمتي فيقول : ما تدري ما أحدثت بعدك))(١)

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((قدر حوضي كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء))(٢)

وفي الصحيحين أيضا عن جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((أنا فرطكم على الحوض))(٣)

والفرط هو الذي يسبق الى الماء ، والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم متقدمكم الى الحوض ، والاحاديث في صفة الحوض واثابته كثيرة جدا .

قال شارح الطحاوية : (والذي يتلخص من الاحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحا من المسك وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر ، وفي بعض الاحاديث أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع .... فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء)(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة ٣٠٠/١ وأحمد في المسند ١٠٢/٣ ،والنسائي في الافتتاح باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ١٣٣/٢-١٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ٢٠٧/٧ ،ومسلم في كتاب الفضائل باب اثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ١٨٠٠/٤ ،والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في صفة الحوض ٥٤٢/٤

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ٢٠٦/٧ ،ومسلم في كتاب الفضائل باب اثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ١٧٩٢/٤ ،وأحمد في المسند ٣١٣/٤

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٢

ومع هذه الاحاديث الصحيحة الصريحة فقد خالفت المعتزلة ولم تقل باثبات الحوض فقاتل الله من ينكر وجوده ، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الاكبر (١)

وقد اختلفت الروايات في تحديد الحوض وقدره ، ففي بعض الروايات أنه مسيرة شهر وزواياه سواء ، وفي رواية لأحمد ((أن الحوض كما بين عدن وعمان)) وفي رواية في الصحيحين ((ما بين صنعاء والمدينة)) وفي رواية ((ما بين مكة وايلة (٢))) وفي رواية عند ابن ماجه ((ما بين مكة وبيت المقدس)) وفي رواية (مابين جرباء (٣) وأذرح (٤))) وفي رواية في الصحيحين ((مابين ايلة وصنعاء اليمن))

وقد أجاب العلماء عن اختلاف هذه الروايات بأن هذا لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا ، وانما جاء في أحاديث مختلفة عن أكثر من واحد من الصحابة ، فقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيه تلك الالفاظ المختلفة لأنه كان يخاطب كل قوم على حسب الجهة التي يعرفونها وبمسافة المواضع التي يعلمونها فيقول لأهل الشام مابين جرباء وأذرح ، ولأهل اليمن من صنعاء الى عدن وغير ذلك ، وتارة يقدر بالزمان فيقول مسيرة شهر ، والمعنى أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا ،ومعظم الروايات الواردة في ذلك متقاربة لأنها كلها تقدر بنحو شهر أو تزيد أوتنقص(٥) ويمكن أن تحمل المسافة البعيدة الواردة في الاحاديث على طول الحوض والمسافة القصيرة على عرضه ، لأن كل هذه المسافات واردة بالاحاديث الصحيحة.

---

(١) انظر شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٨٤،وشرح الطحاوية ص ٢٢٣،ولوامع الانوار البهية ٢٠٢/٢

(٢) ايلة : مدينة على شاطئ البحر في منصف ما بين مكة ومصر،انظر معجم ما استعجم للبكري ٢١٦/١-٢١٧

(٣) جرباء : قرية بالشام بينها وبين أذرح مسيرة ثلاثة أيام ،انظر معجم ما استعجم للبكري ١٣١/١ ، ٣٧٤-٣٧٥

(٤) أذرح : مدينة في أدنى الشام ، انظر معجم ما استعجم للبكري ١٣٠/١

(٥) التذكرة للقرطبي ٣٦٤/١،وفتح الباري لابن حجر ٤٧١/١١،وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٨٥،ولوامع الانوار ٢٠١/٢-٢٠٢

* كما اختلف في الحوض والصراط أيهما قبل الآخر ؟

فقال بعض العلماء : ان الحوض بعد الصراط لأن الماء ينصب فيه من الكوثر وهو النهر الذي في داخل الجنة ، فيكون الحوض بعد الصراط قرب الجنة .

وقد اعترض على هذا بأن الناس اذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلا حاجة بهم الى الشرب منه .

وأجيب عن ذلك : بأنهم يحبسون هناك لأجل المظالم التي بينهم حتى يتحللوا منها ، وهو المسمى بموقف القصاص .

والذي ذهب اليه جمهور العلماء أن الحوض قبل الصراط . قال القرطبي (والمعنى يقتضيه - أي تقديم الحوض على الصراط - فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم)(١) فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه .

وقال الغزالي : (حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله)(٢)

واختار هو أن الحوض يكون قبل الصراط .

وصحح القرطبي أن هناك حوضان لا واحد فقال : (والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما : في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا ، والكوثر في كلام العرب الخير الكثير)(٣)

وجمع بعض العلماء ذلك بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وأن يتأخر لقوم آخرين الى ما بعد الصراط بحسب ما عليهم من الذنوب والآثام حتى يهذبوا منها على الصراط (٤) والله تعالى أعلم .

---

(١) التذكرة للقرطبي ٣٦٢/١

(٢) الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للغزالي ص ١٦٨

(٣) التذكرة للقرطبي ٣٦٢/١

(٤) انظر فيما تقدم التذكرة للقرطبي ٣٦٢/١-٣٦٣،وشرح جوهرة التوحيد ص ١٨٥ وشرح الطحاوية ص ٢٢٢-٢٢٣،ولوامع الانوار للسفاريني ١٩٥/٢-١٩٦،والنشر الطيب للوزاني ٣٩٣/٢

المبحـــــث الخامــــس

فـــي اثبـــات الشفـــاعة .

فــــي اثبـــــات الشفاعـــة :-

أثبت الامام الباقلاني شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي الشفاعة العظمى كما أثبت شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته ، وهو بهذا موافق لجمهور أهل السنة وأدلته عين أدلتهم (١)

وقد أثبت الامام الاشعري اجماع السلف على اثبات الشفاعة وخاصة . الشفاعة في أهل الكبائر فقال : (وأجمعوا على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته ، وعلى أنه يخرج من النار قوم من أمته بعد ما صاروا حمما فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في سهل السيل)(٢)

واستدل الامام الباقلاني على اثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب والسنة واجماع الأمة .

فاستدل من الكتاب بقوله تعالى : ((عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا))(٣) وهذه هي الشفاعة العظمى يوم القيامة وهي المقام المحمود الذي أخبر الله تعالى عنه وهي الشفاعة الاولى الخاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

واستدل من السنة بأحاديث كثيرة على اثبات الشفاعة عن عدد كبير من الصحابة حيث قال : (وقد روى خبر الشفاعة عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة - من الصحابة - منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورواه حذيفة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه أيضا أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم)(٤)

كما استدل بما رواه البخاري عن معبد بن هلال وثابت البناني من حديث أنس بن مالك الطويل وفيه أن معبدا وناسا من البصرة اجتمعوا فذهبوا الى أنس بن مالك ليسألوه عن حديث الشفاعة فقال ثابت لأنس بن مالك يا

---

(١) انظر العاقبة للاشبيلي ص ٢٩٢-٢٩٥،والابانة للاشعري ص ١٧٧-١٧٨،والشريعة للآجري ص ٣٣٠-٣٥١،وشرح الجوهرة ص ١٨٦-١٨٧، والتوحيد لابن خزيمة ٥٨٨/٢-٧٢٧ ومجموع فتاوى ابن تيمية ١١٦/١،والدرة الفاخرة للغزالي ص ١٥٠-١٥٢،والتذكرة للقرطبي ٢٩٤/١-٣٠٣،ومعارج القبول للحكمي ٣٠٥/٢-٣٢١ .

(٢) رسالة أهل الثغر للاشعري ص ٩٧

(٣) الاسراء الاية ٧٩

(٤) التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٦٥

أبا حمزة اخوانك من أهل البصرة جاؤ ك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال :((اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا الى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يارب أمتي أمتي فيقال : انطلق فاخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال : انطلق فاخرج منها من كان في قلبه ذرة أو خردلة من ايمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فاخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه من النار فانطلق فأفعل)) وزاد الحسن البصري في هذه الرواية عن أنس أنه قال :((ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أئذني لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله))(١)(٢)

كما استدل بقوله صلى الله عليه وسلم :((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل مع الانبيا ٩/٢٠٠ـ٢٠٢ وفي كتاب التوحيد باب قوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة ٨/١٨٣ـ١٨٤،ومسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٨٢ـ١٨٤،وأحمد في المسند ٣/٢٤٤،٢٤٧،٢٤٨،وابن ماجه في الزهد باب ذكر الشفاعة ٢/١٤٤٢ـ١٤٤٣ .

(٢) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٦٥ـ٣٦٧

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب رقم (١١) ٤/٥٣٩ـ٥٤٠،وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ،وأحمد في المسند٣/٢٣٠،وابن خزيمةفي التوحيد ٢/٦٥١،وابن أبي عاصم في السنة٢/٣٩٩،وصححه ابن حبان،انظر مورد الظمان حديث رقم (٢٥٩٦)والحاكم في المستدرك ١/٦٩،وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ،انظرطرق هذاالحديثعن أنس وشواهدهفيكتاب الشفاعةللوادعي ص ٨٧ـ٩٠

قال الامام الباقلاني :(وهذا فيه الحجة على من أنكر الشفاعة أصلا ، ومن قال انها لغير أهل الكبائر)(١)

كما استدل بقوله طى الله عليه وسلم :((خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ولكنها للمؤمنين المتلوثين الخاطئين))(٢) (٣)

والاخبار في الشفاعة كثيرة جدا وهي متواترة عن كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ·

واستدل الامام الباقلاني على اثبات الشفاعة باجماع سلف الأمة على تسليم صحة هذه الاحاديث الواردة في الشفاعة وظهورها وانتشارها مع أنها مروية عن الصحابة والتابعين ، ولو كانت مما لم تقم به الحجة بها لطعن فيها ولكان الصحابة أعلم بذلك وأشد تسرعا الى انكارها (٤)

وقد أنكر المعتزلة الشفاعة وخاصة فيمن استحق النار أو دخلها من أهل الكبائر أن يخرج منها ، وتعلقوا على ذلك بمذهبهم في مرتكب الكبيرة وأنه مخلد في النار واحتجوا على مذهبهم هذا بالآيات النافية للشفاعة وستأتي شبهاتهم ورد الباقلاني عليها ·

قال الامام الآجري : (اعلموا رحمكم الله ، أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها وهذا مذهب المعتزلة ويكذبون بها - أي بالشفاعة - وبأشياء سنذكرها ان شاء الله ، ومما لها أصل في كتاب الله عزوجل وسنن رسول الله طى الله عليه وسلم ، وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم باحسان وقول فقهاء المسلمين ، والمعتزلة يخالفون هذا كله ، لا يلتفتون الى سنن الرسول طى الله عليه وسلم ولا الى سنن الصحابة رضى الله

---

(١) الانصاف للباقلاني ص ١٧٠ وانظر ص ٥٣

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٧٥/٢،وابن أبي عاصم فى السنة ٣٦٨/٢-٣٦٩،من طريق معمر بن سليمان الرقي عن زياد بن خيثمة عن علي بن النعمان بن قراد عن رجل عن ابن معمر ،قال الشيخ الالبانى في تخريجه لكتاب السنة اسناده ضعيف لجهالة الرجل الذي لم يسم وكذا الراوي عنه فانه لم يوثقه غير ابن حبان،وفي اسناده ايضا اضطراب ،انظر السنة لابن أبي عاصم ٣٦٩/٢،وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ١٤٤١/٢،وانظر أيضا كتاب الشفاعة للوادعي ص ٧١-٧٢

(٣) انظر الانصاف للباقلانى ص ٥٣

(٤) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثى ص ٣٦٧

عنهم ، وانما يعارضون بمتشابه القرآن ، وبما أراهم العقل عندهم ، وليس هذا طريق المطمين)(١)

وقد بين الامام الباقلانى أن المعتزلة افترقت في الشفاعة الى فرقتين :-

الاولى : أنكرت الشفاعة جملة وتفصيلا وردوا الاخبار الصحيحة الواردة في ذلك وما دل عليه القرآن الكريم .

والثانية : أقرو بشفاعة الانبياء والملائكة وغيرهم الا انهم قصروها على ثلاث فرق من الناس :

١- فريق ممن هم أصحاب صغائر ولم يقعوا في الكبائر .

٢- والفريق الثاني أصحاب الكبائر الذين تابوا منها وندموا عليها

٣- والفريق الثالث المؤمنون الذين ليس عليهم ذنوب .

وأما صاحب الكبيرة الذى مات من غير توبة فقالوا : لا شفاعة له وكلا القولين باطل (٢)

لأن الشفاعة للفريقين الاولين لا معنى لها لأنها شفاعة الى الله في أن لا يظلم ، وصاحب الصغيرة عندكم غير مستحق للعذاب اذا لم يفعل معها الكبائر ، وكذلك من تاب من الكبيرة قد أزال عن نفسه العقاب بتوبته وصار عقابه مع التوبة ظلما قبيحا ، فلا معنى للشفاعة لمن هذا حاله .

وأما الشفاعة لمن ليس له ذنب أصلا فانها خلاف الشفاعة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لم يذكر في شيء من الاخبار .(٣)

ويقال لهم الشفاعة التي جاءت بها الاخبار والقرآن ، هل لها عندكم معنى أم لا ؟ فان قالوا : لا صاروا الى جحد القرآن والسنة ، وان أثبتوها وتأولوها فالرد عليهم على ما تقدم (٤)

وقد رد الامام الباقلاني على شبهاتهم في انكار الشفاعة وخاصة الشفاعة في أهل الكبائر .

[١] قالت المعتزلة : هذه الاحاديث التي احتججتم بها معارضة بمثلها فقد روى الحسن البصري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي))

---

(١) الشريعة للآجري ص ٣٣١

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٦٩،والتمهيد له تحقيق مكارثي ص ٣٧٤

(٣) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٧٥

(٤) نفس المصدر ص ٣٧٥

أجابهم الامام الباقلاني :-

بأن هذه الروايات التي ذكرتموها عن الحسن البصري غير معروفة ولا ثابتة عند أهل النقل ، فلا تعارض الاحاديث الصحاح المتفق على صحتها (١)

[٢] قالت المعتزلة : أليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من تحسى سما وقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا))(٢)

وورد ذلك أيضا فيمن قتل نفسه بحديدة وفيمن تردى من جبل فهذه الاخبار معارضة لاخبار الشفاعة ٠

أجاب الامام الباقلاني أن هذه الاخبار لو صحت كثبوت خبر الشفاعة فيمكن الجمع بينهما بأن تحمل هذه الاخبار على من فعل ذلك مستحلا لفعله أو فعلها على وجه تكذيب الخبر الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣)

[٣] قالت المعتزلة : أليس الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشفع الا في مؤمن ؟ وقد وردت بعض الاخبار في أنه لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن،وقوله : ((من غشنا فليس منا)) وغير ذلك من الاخبار ، فكيف يشفع النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ليس بمؤمن ؟

أجابهم الامام الباقلاني بأن هذه الاخبار أيضا لا تعارض أخبار الشفاعة لأنها محتملة لوجوه فالمراد بأن الزاني لا يزني والسارق لا يسرق وهو مؤمن أي لا يفعل ذلك وهو مستحل له ، ويحتمل أنه ليس بمؤمن كالمؤمن الذي لم يسرق ولم يزني من جهة طهارته وسلامته من الذنوب (٤)

[٤] قالت المعتزلة : فما معنى قوله تعالى :((ولا يشفعون الا لمن ارتضى))(٥)

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٦٨،والانصاف له ص ١٧٠-١٧١

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قتل النفس ٩٩/٢-١٠٠ بنحوه ،ومسلم في كتاب الايمان باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه ١٠٣/١،من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٠

(٣) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٦٩،والانصاف له ص ١٧٢

(٤) انظر التمهيد للباقلاني تحقيق مكارثي ص ٣٦٩-٣٧٠،والانصاف له ص ١٧٢-١٧٣

(٥) الانبياء الاية ٢٨

أجابهم الباقلاني بأن معنى الاية الكريمة الرد على من أنكر الشفاعة فأثبت الشفاعة ولكن لمن أراد الله تعالى أن يشفعوا له وأذن فيه ، ويحتمل أن يكون أنه أراد أنهم لايشفعون الا لمن كان معه عمل مرتضى ، والمؤمن معه أفضل الاعمال التيترضى وهو توحيد الله تعالى ، وان كان عاصيا فاسقا (١)

٥ قالت المعتزلة : فما معنى قوله تعالى :((ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع))(٢)

أجابهم الباقلاني بأن معنى ذلك أنه لا شفاعة للظالمين ، والمراد بالظلم هنا الكفر والشرك بدليل قوله تعالى :((ان الشرك لظلم عظيم))(٣) فدل هذا على أن لا شفاعة تنفع الكافر ، والمؤمن على خلاف ذلك (٤)

---

(١) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٧٣،والتمهيد له تحقيق مكارثي ص ٣٧١

(٢) غافر الاية ١٨

(٣) لقمان الاية ١٣

(٤) انظر الانصاف للباقلاني ص ١٧٤،والتمهيد له تحقيق مكارثي ص ٣٧١

المبحـــث الســادس

في الجنة والنار وأنهما مخلوقتان دائمتان باقيتان وانهما لا تفنيان أبدا ولا يفنى من فيهمـــا ·

في الجنة والنار وأنهما مخلوقتان دائمتان باقيتان وانهما لا تفنيان أبدا ولا يفنى من فيهما :-

يرى الامام الباقلاني أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان واستدل على ذلك بالكتاب والسنة :

أما من الكتاب فقوله تعالى : ((وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين))(١)

ووجه استدلاله بالاية الكريمة أن الله تعالى أخبر أنها معدة ،والمعد لا يكون الا موجودا مهيئا . (٢)

وقوله تعالى :((انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا))(٣)

واستدل من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم :((عرضت عليّ ليلة الاسراء الجنة والنار))(٤) (٥)

ومما يستدل به في هذا ايضا ما روى الامام مسلم من حديث أنس بن مالك :((والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار))(٦)

وكذلك ما روي في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، وان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة))(٧)

---

(١) آل عمران الاية ١٣٣

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٣

(٣) الكهف الاية ١٠٢

(٤) قطعة من حديث الاسراء أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٧٧/٤-٧٨،ومسلم في الايمان باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤٩/١-١٥٠ والترمذى في كتاب التفسير باب قوله تعالى((ألم نشرح لك صدرك)) ٤١٢/٥-٤١٣ والنسائي في الصلاة باب فرض الصلاة ٢١٧/١-٢١٨،وأحمد في المسند ٢٠٨/٤-٢١٠ من حديث أنس بن مالك .

(٥) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٣

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة باب تحريم سبق الامام بركوع أو سجود ٣٢٠/١ والنسائي في السهو باب النهي عن مبادرة الامام بالانصراف من الصلاة ٨٣/٣

(٧) سبق تخريجه ص في هذا الفصل ص ٥٠٤-٥٠٥ .

وهذا الذى ذهب اليه الامام الباقلاني من أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن هو ما اتفق عليه جمهور أهل السنة . (١)

قال شارح الطحاوية : (اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ......)(٢)

وقال شيخ الاسلام الصابوني في بيان عقيدة أهل السنة في ذلك: (ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وانهما باقيتان لا تفنيان أبدا وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوالها لا يخرجون أبدا)(٣)

وقال الآجري :(كتاب الايمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان وأن نعيم أهل الجنة لا ينقطع عن أهلها أبدا ، وأن عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبدا ....الى أن قال - ان القرآن شاهد ان الله عز وجل خلق الجنة والنار، قبل أن يخلق آدم عليه السلام وخلق للجنة أهلا ، وللنار أهلا ، قبل أن يخرجهم الى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الاسلام ، وذاق حلاوة طعم الايمان دل على ذلك القرآن والسنة)(٤)

أما القول في خلود نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النارفقد استدل عليه الامام الباقلاني بقوله تعالى :((خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه))(٥)

واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم : ((يؤتي بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فينظرون اليه فيقال لهم هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت ، فيذبح ثم ينادي مناد يا أهل

---

(١) انظر الشرح والابانة لابن بطة ص ٢٠٦،والشريعة للآجري ص ٣٨٧-٣٩٧،وشرح الطحاوية ص ٤٨٤-٤٩٠،ولوامع الانوار ٢/٢٣١،والنشر الطيب للوازاني ٢/٣٩٣-٣٩٦ ومعارج القبول للحكمي ٢/٢٧٩-٢٨٥،وقطف الثمر لصديق خان ص ١٣٨،ورسالة في التوحيد للطائي ص ١٠٩ ،والايمان لنعيم ياسين ص ١٤٠-١٤٤

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٨٤

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٢٣،

(٤) الشريعة للآجري ص ٣٨٧

(٥) البينة الاية ٨

الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت))(١) (٢)

وهذا هو قول جمهور العلماء من أهل السنة قال الامام الطحاوي :

(والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان)(٣)

قال الشارح : (هذا قول جمهور الائمة من السلف والخلف)(٤)

وقد سبق كلام شيخ الاسلام الصابوني والامام الآجري في تخليد نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، وقد ترجم الامام الآجري بابا في كتاب الشريعة قال فيه :(باب ذكر الايمان بأن أهل الجنة خالدون فيها أبدا وأن أهل النار من الكفار خالدون فيها أبدا)(٥)

وقد ذهب بعض العلماء الى القول ببقاء الجنة وفناء النار الا أن قولهم بفناء النار على فرض ثبوته عنهم فلا يعتد به ، ويكفي لمعرفة بطلانه مخالفته للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي عليها جمهور أهل السنة والجماعة (٦)

وقد نقل الامام ابن حزم الاتفاق على القول بخلود الجنة والنار ومن فيهما فقال : (وان الجنة حق ، وأنها دار نعيم أبدا لا تفنى ولا يفنى أهلها .... وأن النار حق ، وأنها دار عذاب لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدا)(٧)

وقد رجح هذا القول الامام السفاريني وأثبت أنه اجماع السلف حيث قال :(ثبت بما ذكرنا من الايات الصريحة والاخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كلا بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم ، وعلى هذا اجماع أهل السنة والجماعة ، فأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع)(٨)

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب التفسير باب قوله عز وجل وأنذرهم يوم الحسرة ٢٣٦/٥-٢٣٧،ومسلم في كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤،من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر الانصاف للباقلاني ص ٥٣-٥٤، (٣) متن العقيدة الطحاوية مع الشرح ص٤٨٤

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٠ ، (٥) الشريعة للآجري ص ٣٩٨

(٦) انظر مقدمة التحقيق لكتاب رفع الاستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار تقديم الشيخ الالباني ص د-٥٢

(٧) مراتب الاجماع لابن حزم ص ١٧٣

(٨) لوامع الانوار للسفاريني ٢٣٤/٢

وفي الحقيقة أن هذا هو اختيار أهل السنة (١)

كما يرى الامام الباقلاني أنه لا يخلد في النار أحد من المؤمنين بذنب واستدل على ذلك من الكتاب والسنة :

أما من الكتاب فقوله تعالى :((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))(٢)

وقوله تعالى :((قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا))(٣)

واستدل من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم :((لا يبقي في النار من في قلبه ذرة من الايمان))(٤)

قال الامام الباقلاني :(فان الكفار لا ينفعهم احسان مع الكفر ولا يخرجون من النار ، وكذلك الموحد : لا تضره سيئة مع اثبات التوحيد ولا يخلد في النار)(٥)

وقال شارح الطحاوية :(وانما يخرج منها - أي النار - في حال بقائها أهل التوحيد ، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .... وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الايمان ، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما ، بل بابقاء الله لهما)(٦)

---

(١) انظر الشريعة للآجري ص ٣٩٨-٤٠١،والشرح والابانة لابن بطة ص ٢٠٨-٢٠٩ وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٢٣ ولوامع الانوار للسفاريني ٢/٢٣٤،وقطف الثمر لصديق خان ص ١٣٨،ورسالة في التوحيد للطائي ص١١٢-١١٣، والايمان لنعيم ياسين ص ١٤٤،ومعارج القبول للحكمي ٢/٢٨٥-٢٨٨

(٢) النساء الاية ٤٨

(٣) الزمر الاية ٥٣

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري فى كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه ١/١٦،ومسلم بنحوه في كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٧-١٧٠ وأحمد فى المسند ٣/١١

(٥) الانصاف للباقلانى ص ٥٤

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٦

الخاتمة

الخاتمة

ألخص فيها أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث فيما يلي :-

أولا : تبين لي من دراسة عصر الباقلاني فساد الحالتين السياسية والاجتماعية ، بخلاف الحالة العلمية التي ازدهرت في عصره ازدهارا عظيما .

ثانيا : برزت لنا معالم شخصية هذا الامام الكبير، أثناء الحديث عن حياته ، وشيوخه وتلاميذه ومن تأثر بهم وأثر فيهم .

وقد ظهرت قوة شخصية هذا الامام من خلال رحلاته ومناظراته ،كما علمنا أن الباقلاني قد تولى المناصب العالية فتولى القضاء ولقب بالقاضي ، كما تبين أن هذا الامام قد خلف أثارا كثيرة في شتى الفنون ولكن مع الأسف لم يبق منها الا القليل .

ثالثا : ان الامام الباقلاني قد سلك في الاستدلال طريق السلف وان خالف هذا في كثير من المسائل عند التطبيق .

وقد اعتمد الامام الباقلاني في عرض مذهبه على الكتاب والسنة والاجماع ، وأدلة العقول ، ولغة العرب .

كما كشف لنا هذا البحث عن قوة شخصية الامام الباقلاني واظهاره للحق ودحض الباطل ، وتبينت جهوده في الرد على المخالفين .

وقد اعتمد الباقلاني في الرد على الخصوم على الحجة العقلية وأكثر من استعمال التقسيم الحاصر للشيء ، ثم ابطال أحد الطرفين المتقابلين ببطلان الآخر ، أو ابطاله باثبات الآخر ، وكثير من الاحيان يحاول أن يستخرج ما يلزم من رأي الخصم من نتائج فاسدة وغالبا ما يستعمل الباقلاني اسلوب الحوار ليتدرج بالسامع الى فهم ما يريد مع ايراده لما يوجه الى رأيه من اعتراضات والرد عليها وتفنيدها واحدا بعد واحد .

رابعا : فيما يتعلق بمسألة وجود الله تعالى ، خالف الباقلاني السلف ووافق الاشاعرة في الاستدلال على ذلك بدليل الحدوث مدعيا أن هذا الطريق هو طريق الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقد ظهر لنا مخالفة ذلك لمذهب السلف ، واتبعت ذلك بالادلة الصحيحة على وجود الله تعالى .

خامسا : فيما يتعلق بتقرير وحدانية الله تعالى اتضح لي أن الامام الباقلاني موافق فيها للاشاعرة ومخالف للسلف سواء في مفهوم الوحدانية أو أنواعها أو الدليل على اثباتها ، وتبين أن المذهب الحق في ذلك هو ما عليه علماء السلف من تقسيم الوحدانية الى أنواع ثلاث هي توحيد الألوهية والربوبية والاسماء والصفات ، واستدلالهم على اثباتها من القرآن الكريم .

سادسا : يخالف الامام الباقلاني طريق السلف حين يرى أن من توحيد الله تعالى ونفي التشبيه عنه ، نفي الجسمية والعرضية ، والمكانية والزمانية والحق عدم النفي المطلق في مثل هذه الالفاظ المجملة ، فيجب الاستفصال عن المقصود بالنفي أو الاثبات فان كان المقصود صحيحا قبل والا ردّ .

سابعا : أما في مسائل الايمان فقد خالف فيها الباقلاني طريق السلف واختار في ذلك طريق الاشاعرة حيث جعل حقيقة الايمان هو التصديق فقط ومنع من زيادته ونقصانه ، وخالف في الاستثناء في الايمان وغير ذلك من المسائل.

وقد ناقشت الباقلاني فيما ذهب اليه ، وبينت مذهب السلف في كل هذه المسائل مع أدلتهم من الكتاب والسنة التي استدلوا بها على اثبات هذه المسائل .

ثامنا : في طريق ثبوت أسماء الله تعالى ظهر لي أن الباقلاني ارتضى مذهب المعتزلة وهو جواز اطلاق الاسماء اللائق معناها به تعالى فاذا دل العقل على أن اللفظ يحمل معنى ثابت في حقه تعالى جاز اطلاق ذلك على الله تعالى سواء ورد التوقيف به أو لم يرد ، وهو بهذا مخالف لمذهب السلف وهو التوقيف فلا يصح اطلاق أي اسم على الله تعالى الا بتوقيف من الشارع بأن يرد فيه نص من الكتاب أو السنة أو الاجماع ، وقد بينت الأدلة في ذلك .

تاسعا : ذهب الامام الباقلاني في حقيقة الاسم والمسمى الى أن الاسم هو المسمى ، ومع أن هذا الرأي قال به بعض السلف الا انني رأيت أن المذهب الصحيح الموافق للكتاب والسنة ولصحيح المعقول وصريح المنقول أن الاسم للمسمى كما ذهب الى ذلك علماء السلف .

عاشرا : ان الامام الباقلاني يتفق مع السلف في طريق تقسيم الصفات كما يتفق معهم في اثبات الصفات العقلية الذاتية والفعلية ، وفي طريق الاستدلال على اثباتها .

الا أنه خالف في المسائل التي تتعلق بعلاقة الذات بالصفات .

الحادي عشر : ان الباقلاني يختلف مع السلف في جميع ما يتعلق بصفة الكلام حيث أثبت أن حقيقة الكلام هو النفسي ، وقوله بأن القرآن عبارة عن كلام الله تعالى ، وأنه معنى واحد ، وأن كلام الله بلا حرف ولا صوت ، وهو في ذلك موافق لمذهب الاشاعرة ومخالف لمذهب السلف ، وقد بينت خطأ ما ذهب اليه ، وبينت المذهب الصحيح في كل ذلك والادلة عليه تفصيلا ، الا أن الباقلاني يتفق مع السلف في الرد على من قال بخلق القرآن .

الثاني عشر : يوافق الامام الباقلاني مذهب السلف في اثبات صفات الذات الخبرية ، ووافقهم أيضا في اثبات صفات الفعل الخبرية ،كما رد الباقلاني شبه المخالفين فيما ذهبوا اليه من نفي صفاته تعالى وتأويلها .

الا أنه خالف في بعض صفات الفعل فذهب الى تأويلها مثل صفة الغضب والرضا ، والموالاة والمعاداة ونحو ذلك .

الثالث عشر : يوافق الامام الباقلاني السلف في اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة ، وفي الرد على الخصوم المنكرين لها .

الرابع عشر : يتفق الباقلاني مع مذهب السلف في معظم مباحث القضاء والقدر ، فيثبت عموم ارادة الله تعالى ، وأن الله خالق لأفعال العباد الا أن كلامه في الكسب يؤول الى مذهب الاشعري .

الخامس عشر : أبرزت جهود الامام الباقلاني في اثبات النبوات وفي الرد على المنكرين ، كما بينت أدلته في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفصلت القول في أوجه اعجاز القرآن عند الباقلاني ، ورده على من جعل الصرفة وجها من وجوه الاعجاز .

وتبين لي أن أوجه الاعجاز عنده في ثلاثة أمور في نظمه وأسلوبه وبلاغته ، وفي اخباره عن الغيوب ، وفي أمية الرسول صلى الله عليه وسلم .

السادس عشر : بينت مذهب الباقلاني في السمعيات وأدلته على اثباتها ، وتبين أنه موافق فيها لمذهب السلف .

ولا أزعم انني في عرضي هذا قد بلغت الكمال ، وكل ما استطيع أن أدعيه هو انني لم آل جهدا في أن أصل الى هذه النتائج التي سجلتها في بحثي هذا ، وانما توصلت اليها عن طريق الدراسة والبحث .

هذا وبالله التوفيق ، وهو الهادي الى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

فهـــرس المراجـــع

* القرآن الكريـــم .

حرف الالـــف

- الابانة عن أصول الديانة : أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، طبـــع مكتبة دار البيان بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

- ابن تيمية السلفي : الدكتور محمد خليل هراس ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

- ابن تيمية وقضية التأويل : الدكتور محمد السيد الجليند ، طبعة شركـــة مكتبات عكاظ ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ

- ابن قدامة واثاره الاصولية : الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض ، ١٣٩٧ هـ .

- ابن القيم وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف : الدكتور عبد الله محمد جار النبي ، طبعة مؤسسة مكة للطباعة والاعلام مكة المكرمة ، الطبعة الاولـــى ١٤٠٦ هـ .

- اثبات صفة العلو : الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة تحقيق وتعليق بدر بن عبد الله البدر ، طبع الدار السلفية حولي الكويت ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

- اجتماع الجيوش الاسلامية : محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، طبعـــة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ.

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة : أبو عبد الله محمد بـــن مسلم بن قتيبة ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية : الدكتور عمار الطالبي ، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

- ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات : الامام محمد بن علي الشوكاني ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولـــى ١٤٠٤ هـ .

- الارشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد : امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق د/ محمد يوسف موسى ، وعلي عبـــد المنعم ، طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٠ م ، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٦٩ هـ .

- أساس التقديس : أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .
- اسلام بلا مذاهب : الدكتور مصطفى الشكعة ، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة .
- الاسماء والصفات : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، المركز الاسلامي للكتاب ، مصورة عن طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .
- اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين : عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، تحقيق د/ عبد المجيد ذياب ، طبع شركة الطباعة العربية الرياض السعودية ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .
- الاصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني طبع دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
- أصول الدين : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، مصورة عن الطبعة التركية .
- أصول الفقه تاريخه ورجاله : الدكتور شعبان محمد اسماعيل ، الناشر دار المريخ الرياض ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .
- أصول الفقه : عبد الوهاب خلاف ، الناشر دار القلم للطباعة والنشر الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٣ هـ .
- أصول الفقه : للشيخ محمد الخضري بك ، طبع دار احياء التراث العربي بيروت ، الطبعة السادسة ١٣٨٩ هـ .
- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الامين الشنقيطي ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : محمد بن عمر الخطيب الرازي ، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ١٣٩٨ هـ ، نشر مكتبة الكليات الازهرية
- اعتقاد الامام أحمد : املاء الشيخ أبي الفضل التميمي ، مطبوع مع طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ، الناشر دار المعرفة بيروت .
- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة : أحمد بن الحسين البيهقي طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .
- اعجاز القرآن للباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .

- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

- الاعلام : خير الدين الزركلي ، طبعة دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .

- الاقتصاد في الاعتقاد : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- الامتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

- الانساب : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلم اليماني ، الناشر محمد أمين دمج بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، طبعة مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ .

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : اسماعيل باشا البغدادي طبعة دار الفكر ١٤٠٢ هـ .

- الايمان : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبع المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ .

- الايمان : أبو عبيد القاسم بن سلام : تحقيق الشيخ ناصر الدين الالباني طبع المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

- الايمان : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق الشيخ ناصر الدين الالباني ، طبع المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

- الايمان : محمد بن اسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، طبعة احياء التراث الاسلامي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

- الايمان : الدكتور محمد نعيم ياسين ، طبع مكتبة الفلاح الكويت ،الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ٠
- الايمان : محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ، تحقيق حمد بن حمدي الحربي طبع الدار السلفية بالكويت ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ ٠
حرف البـــاء
- الباقلاني وآراؤه الكلامية ،محمد رمضان عبدالله ، طبعة مطبعة الامـــة بغداد ١٩٨٦ م ٠
- الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن : الدكتور عبد الرؤوف مخلوف ، نشـــر دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨ م ٠
- بدائع الفوائد : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيـــة طبعة دار الفكر بيروت ٠
- البداية والنهاية : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ، تحقيـق الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرون ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ٠
- البرهان في أصول الفقه : امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب ، توزيع دار الانصار القاهرة ، الطبعـــة الثانية ١٤٠٠ هـ ٠
- البعث والنشور : أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق الشيخ عامر أحمـــد حيدر ، طبع مركز الخدمات والابحاث الثقافية ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ ٠
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصـــر ١٣٨٤ هـ ٠
- بيان تلبيس الجهمية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ترتيب محمد بـن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ ٠
- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحـــر والنارنجات : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، عني بتصحيحه ونشره الاب رتشرد يوسف مكارثي ، المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٨ م ٠
- بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول : أحمد بن عبد الحليم بـــن تيمية ، مطبوع بهامش منهاج السنة ، طبعة المطبعة الاميرية الكبرى ببـــولاق مصـــر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢١ هـ ٠

حــرف التــاء

- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي ، منشورات مكتبة الحياة بيروت .

- التاج المكلل : صديق حسن خان ، المطبعة الهندية العربية ، بتصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين ، الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ .

- تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب ود/ رمضان عبد التواب ، طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .

- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٥ م .

- تاريخ بغداد : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

- تاريخ التراث العربي : الدكتور فؤاد سزكين ، ترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي والدكتور فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م

- تاريخ فلاسفة الاسلام : محمد لطفي جمعه ، دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة .

- تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ، طبعة دار القلم بيروت .

- تاريخ المذاهب الاسلامية : محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي بيروت .

- تأويلات أهل السنة : أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي ، تحقيق الدكتور ابراهيم عوضين ، والسيد عوضين ، مطابع الاهرام التجارية بمصر ١٣٩١ هـ .

- تأويل مختلف الحديث : أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة ، تصحيح محمد زهري النجار ، طبع دار الجيل بيروت ١٣٩٣ هـ .

- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين : أبو المظفر الاسفراييني ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- التبيان في أقسام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تصحيح وتعليق طه يوسف شاهين ، مكتبة القاهرة بمصر .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري : علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٩ هـ .

- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية : فالح بن مهدي آل مهدي،تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن ناصر المحمود ، الناشر مكتبة الحرمين بالرياض الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

- تذكرة الحفاظ : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : القاضي عياض بن موسى البستي ، تحقيق سيد أحمد اعراب ، طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٢ هـ .

- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان : أبو عبد الله محمد بن المرتضى ابن الوزير اليماني ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

- التصديق بالنظر الى الله تعالى في الآخرة : أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد غياث الجنباز ، طبعة دار عالم الكتب ١٤٠٥ هـ .

- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق ابراهيم الابياري دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- تعظيم قدر الصلاة : محمد بن نصر المروزي ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الفريوائي ، الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

- تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ، الناشر دار المعرفة بيروت ١٣٨٨ هـ .

- التفسير الكبير : أبو عبد الله محمد بن عمر الخطيب الرازي ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

- تفسير النسفي : عبد الله أحمد بن محمود النسفي ، طبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

- تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبعة دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ .

- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق وتعليق محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريده ، الناشر دار الفكر العربي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٩٥ هـ .

- التمهيد : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، عني بتصحيحه ونشره الاب رتشرد يوسف مكارثي ، المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧ م ..

- التمهيد : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ .

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

- تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ بمطبعة دائرة المعارف النظامية في الهند حيدر أباد الدكن ، تصوير دار الفكر العربي بيروت .

- التوحيد واخلاص العمل لله عز وجل : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند ، مطبعة التقدم بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

- التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل : أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان ، طبع دار الرشد بالرياض ، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ ..

- التوحيد : أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي ، تحقيق وتقديم الدكتور فتح الله خليف ، طبع دار المشرق بيروت ، توزيع المكتبة الشرقية .

حرف الثاء

- الثقات : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، مؤسسة الكتب الثقافية مصورة عن الطبعة الاولى المطبوعة بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن .

- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني : تحقيق وتعليق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .

حرف الجيم

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، طبعة دار المعارف بمصر .

- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ : أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، تحقيق وتقديم محمد أبو الاجفان وعثمان بطيخ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .

- الجامع لاحكام القرآن : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .

- جمع الشتيت في شرح ابيات التثبيت : محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني تصحيح حسن محمد المشاط ، الناشر مكتبة الايمان بالمدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تقديم علي السيد صبيح المدني ، طبع مطبعة المدني .

حرف الحاء
================

- حادي الارواح الى بلاد الافراح : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طبع ونشر دار المدني للطباعة والنشر جدة .

- حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين : محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٥٣ هـ .

- حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية : أحمد بن محمد الصاوي ، طبع المطبعة الازهرية بمصر الطبعة الثانية ١٣٤٧ هـ .

- حاشية الكلنبوي على شرح جلال الدين الدواني على العقائد العضدية : الشيخ اسماعيل الكلنبوي ، طبعة دار الطباعة العامرة استانبول ١٣١٧ هـ .

- حد الاسلام وحقيقة الايمان : عبد المجيد الشاذلي ، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة المكرمة الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

حرف الخاء
=================

- خبيئة الاكوان في افتراق الامم على المذاهب والاديان : صديق حسن خان دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- خلق أفعال العباد : محمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيق النشار وعمار الطالبي ضمن عقائد السلف ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية .

حـــــرف الـــــــدال

- درء تعارض العقل والنقل : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيـــــق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميـــــة الطبعة الاولـــــى ١٤٠٠ هـ .

- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية : عبـــــد الرحمن بن ناصر السعدي ، طبعة مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٦ هـ .

- درة الغواص في أوهام الخواص : أبو محمد القاسم بن علي الحريري مكتبة المثنـــــى ببغداد .

- الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة : أبو حامد محمد بن محمد الغزالـي تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، طبعة دار الشباب للطباعة القاهرة .

- دعوة التوحيد : الدكتور محمد خليل هراس ، طبعة مكتبة الصحابة القاهرة

- دقائق التفسير الجامع لتفسير الامام ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند ، طبعة مؤسسة علوم القرآن دمشـــــق ١٤٠٤ هـ .

- دلائل التوحيد : محمد جمال الدين القاسمي ، طبع دار الكتب العلميـــــة بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : برهان الدين ابراهيـم بن علي بن فرحون المالكي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

حرف الذال

- الذيل على طبقات الحنابلة : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، مطبوع مع طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى .

حرف الراء

- رد الدارمي على بشر المريسي : أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي تحقيق محمد حامد الفقي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الاولى ١٣٥٨ هـ .

- الرد على الجهمية والزنادقة : الامام أحمد بن حنبل ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، طبع دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .

- الرد على الجهمية : أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن منده ، تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

- الرد على الجهمية : أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق زهير الشاويش تخريج الالباني ، طبع المكتب الاسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ .

- الرد على المنطقيين : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبعة ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان ، الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ .

- رسالة الاحتجاج بالقدر : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .

- رسالة الامام الباقلاني وكتابه التمهيد : محمد عبد الرزاق حمزه ، مطبوع مع طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الاباطيل ، في مطبعة الامام بمصر .

- رسالة أهل الثغر : أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند ، مطبعة التقدم القاهرة .

- رسالة التبيان في نزول القرآن : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .

- الرسالة التدمرية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض

- رسالة تفصيل الاجمال فيما يجب لله من صفات الكمال : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- رسالة الزهد والورع والعبادة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،تحقيق حماد سلامة اشراف الدكتور محمد عويضه ، طبع مكتبة المنار الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ .
- رسالة الفرقان بين الحق والباطل : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .
- رسالة في اثبات الاستواء ومسألة الحرف والصوت : أبو محمد الجويني والد امام الحرمين ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .
- رسالة في الارادة والامر : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .
- رسالة في التوحيد وبعض الفرق المعاصرة : كمال الدين عبد المحسن الطائي ، المكتبة الوطنية ١٩٧٢ م .
- رسالة في الصفات الاختيارية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن جامع الرسائل،تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- رسالة في صفات الله تعالى وعلوه على خلقه : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .
- رسالة في مراتب الارادة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .
- رسالة في معنى كون الرب عادلا في تنزهه عن الظلم : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن جامع الرسائل ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم مطبعة المدني القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- رسالة القضاء والقدر : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .
- رسالة القيرواني : أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، طبع شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ .
- رسالة مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- رفع الاستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار : محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني ، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني ، طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- الروح : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق وتقديم محمد اسكندر طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبوالفضل شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي ، نشر دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني ، تحقيق أسد الله اسماعيليان ، طبعة مراستوار سنة ١٣٩٢ هـ، الناشر مكتبة اسماعيليان طهران .

حرف الزاي

- زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، طبع المكتب الاسلامي ، الطبعة الاولى ١٣٨٧ هـ .

- زاد المعاد في هدى خير العباد : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الاسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

حرف السين

- سلسلة الاحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الالباني ، طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .

- سلسلة الاحاديث الضعيفة : محمد ناصر الدين الالباني ، طبعة المكتبة الاسلامية عمان ومكتبة المعارف الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ .

- السنة : عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني طبع دار ابن القيم للتوزيع والنشر ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

- السنة : أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك ، تحقيق الاليانى ، طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ .

- سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الفكر بيروت .

ـ سنن أبي داود : سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي ، اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، طبع دار الحديث حمص ، الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ ٠

ـ سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ٠

ـ سنن الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، طبع بعناية محمد أمين دهمان ، ونشرته دار احياء السنة النبوية ٠

ـ سنن النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، طبع دار احياء التراث العربي بيروت ٠

ـ سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ٠

حرف الشين

ـ الشامل في أصول الدين : امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق علي سامي النشار وآخرون ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩ م ٠

ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن محمد مخلوف ، طبعة دار الفكر بيروت ٠

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي طبعة دار المسيرة بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ٠

ـ الشرح والابانة على أصول السنة والديانة ٠٠٠٠٠ : عبيد الله محمد بن بطة العكبري ، تحقيق الدكتور رضا بن نعسان معطي ، طبع مكتبة الفيصلية مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ ٠

ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان ، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ، الطبعة الاولى ٠

ـ شرح الاصول الخمسة : القاضي عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، الناشر مكتبة وهبه القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ ٠

ـ شرح أم البراهين : أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي طبع مطبعة الاستقامة ، الطبعة الاولى ١٣٥١ ٠

- شرح جلال الدين الدواني على العقائد العضدية : جلال الدين الدواني مطبعة دار الطباعة العامرة تركيا ١٣١٧ هـ .

- شرح جوهرة التوحيد المسماة تحفة المريد : ابراهيم محمد البيجوري دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- شرح حديث النزول : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبع ونشر المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة السادسة ١٤٠٢ هـ .

- شرح رمضان أفندي على شرح العقائد النسفية : رمضان أفندي ، طبعة استانبول تركيا .

- شرح العقائد النسفية : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، طبع ونشر مكتبة الكليات الازهرية القاهرة الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ.

- شرح العقيدة الاصفهانية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تقديم وتعليق حسنين محمد مخلوف ، توزيع دار الكتب الحديثة القاهرة .

- شرح العقيدة الطحاوية : علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق بشير محمد عيون ، الناشر مكتبة دار البيان دمشق ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- شرح العقيدة الواسطية : الدكتور محمد خليل هراس ، طبع ادارات البحوث العلمية والافتاء بالرياض ١٤٠٣ هـ .

- شرح الفقه الاكبر : أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي ، ضمن مجموعة كتب مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن ، طبع على نفقة الشؤن الدينية بدولة قطر .

- شرح الفقه الاكبر : الملا على القاري الحنفي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

- شرح الفقه الاكبر : أبو المنتهى أحمد بن محمد المغنساوي الحنفي ، ضمن مجموعة رسائل مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن طبع على نفقة الشؤن الدينية بدولة قطر .

- شرح القصائد العشر : أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ، تحقيق الاستاذ عبد السلام الحوفي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ.

- شرح القصيدة النونية : أحمد بن ابراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ .

- شرح القصيدة النونية : الدكتور محمد خليل هراس ، الناشر دار الفاروق الحديثة القاهرة .

- شرح لمعة الاعتقاد والهادي الى سبيل الرشاد : محمد صالح العثيمين طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، توزيع مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .

- شرح المعلقات السبع : أبو عبد الله حسين بن أحمد الزوزني ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

- شرح المقاصد : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، الناشر مكتبة الكليات الازهرية .

- شرح وصية الامام أبي حنيفة : ملا حسين بن اسكندر الحنفي ، ضمن مجموعة رسائل مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن ، وطبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر .

- الشريعة :أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي الناشر أنصار السنة المحمدية لاهور باكستان .

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ .

- الشفاعة : أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، نشر وتوزيع دار الارقم الكويت ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .

حرف الصاد

- صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، طبع المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر استانبول تركيا .

- صحيح الجامع الصغير وزيادته : محمد ناصر الدين الالباني ، طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .

- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع دار احياء التراث العربي بيروت

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام : جلال الدين السيوطي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

حرف الضاد

- ضحى الاسلام : أحمد أمين ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت .
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته : محمد ناصر الدين الالباني ، طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : محمد بن عبد الرحمن السخاوي ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة القدسي القاهرة .

حرف الطاء

- طبقات الاطباء والحكماء : سليمان بن حسان الاندلسي المعروف بابن جلجل تحقيق فؤاد سيد ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت،الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- طبقات الحفاظ : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ،طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .
- طبقات الحنابلة : القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى ، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي ، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي ، والدكتور عبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ .
- طبقات الفقهاء : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، طبع دار الرائد العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .
- طبقات المفسرين : جلال الدين السيوطي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ.
- طبقات المفسرين : شمس الدين محمد بن علي الداودي ، طبع دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

حرف الظاء

- ظهر الاسلام : أحمدأمين ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م .

حـرف العين

- العاقبة في ذكر الموت والآخرة : أبو محمد عبد الحق الاشبيلي ، تحقيق خضر محمد خضر ، طبع مكتبة دار الاقصى الكويت،الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ ٠

- العالم الاسلامي في العصر العباسي : الدكتور حسن أحمد محمود والدكتور أحمد ابراهيم الشريف ، الطبعة الخامسة ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ٠

- العبر في خبر من غبر : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق أبو هاجر محمد زغلول ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ٠

- عذاب القبر وسؤال الملكين : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق المكتب السلفي ، طبع مكتبة التراث الاسلامي القاهرة ٠

- العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد : الدكتور محمود أحمد خفاجي ، طبع مطبعة الامانة القاهرة ١٣٩٩ هـ ٠

- العقيدة الحموية الكبرى : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت ٠

- عقيدة السلف أصحاب الحديث : أبو عثمان شيخ الاسلام اسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت ٠

- العقيدة في الله : الدكتور عمر سليمان الاشقر ، طبعة مكتبة الفلاح الكويت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م ٠

- العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية : امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، الناشر مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ١٣٩٨ هـ ٠

- العلو للعلي الغفار في صحيح الاخبار وسقيمها : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تقديم وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ٠

- عيون الانباء في طبقات الاطباء : أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة شرح وتحقيق د/ نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ م ٠

حـــرف الغين

- غاية الاماني في الرد على النبهاني : محمود شكري الألوسي ، طبع المطبة العربية لاهور باكستان ١٤٠٣ هـ .

- غاية المرام في علم الكلام : سيف الدين الآمدي ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، مطابع الاهرام التجارية القاهرة ١٣٩١ هـ .

حـــرف الفاء

- الفتاوى الكبرى : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تقديم حسين محمد مخلوف ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

- الفتح المبين في طبقات الاصوليين : عبد الله مصطفى المراغي ، الناشر محمد أمين دمج وشركاه بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ .

- الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- الفصل في الملل والاهواء والنحل : أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم نصر ، والدكتور عبد الرحمن عميرة طبع شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .

- فضائل الصحابة : أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، تحقيق الدكتور وصي الله محمد عباس ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ،مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى .

- الفهرست : محمد بن اسحاق ابن النديم ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية : محمد عبد الحي اللكنوي الهندي طبع دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

- الفوائد : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، الناشر المكتبة القيمة القاهرة ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ .

- في علم الكلام : الدكتور أحمد محمد صبحي ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ .

حـرف القاف

- قاعدة نافعة في صفة الكلام : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت .

- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، طبعة دار الفكر .

- القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طبع دار المعرفة بيروت .

- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الاثر : صديق حسن خان ، تحقيق الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي ، طبع شركة الشرق الاوسط للطباعة الاردن الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ .

- قواعد العقائد : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق موسى محمد علي ، طبعة عالم الكتب بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

- القواعد المثلى في صفات الله واسمائه الحسنى : محمد صالح عثيمين طبع مطابع السفراء الرياض ١٤٠٦ هـ .

حـرف الكاف

- الكامل في التاريخ : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الاثير ، دار صادر للطباعة بيروت ١٣٨٦ هـ .

- كتاب الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٥٦ هـ .

- كتاب الدعاء : للحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق الدكتور محمد سعيد البخاري ، طبعة دار البشائر الاسلامية ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ .

- كتاب النزول وكتاب الصفات : أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، طبع دار المعرفة بيروت .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، طبع دار الفكر ١٤٠٢ هـ .

- الكشف عن مناهج الادلة : القاضي محمد بن أحمد بن رشد الاندلسي ،صححه وراجعه مصطفى عبد الجواد عمران ، طبع المكتبة المحمودية التجارية القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ .

- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : علاء الدين المتقى الهندي ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ .

- كنوز الاجداد : محمد علي كرد ، طبع دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .

حـرف اللام

- اللباب في تهذيب الانساب : عز الدين بن الاثير الجزري ، طبعة دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ .

- لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن : علي بن محمد بن ابراهيم الخازن ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ .

- لسان العرب : جمال الدين محمد بن منظور ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، مطابع كونستانس ماس وشركاه .

- لسان الميزان : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

- لمع الادلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة : امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين ، طبعة عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .

- اللمع في أصول الفقه : أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .

- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع :أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، تصحيح وتقديم الدكتور حموده غرابه ، مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية القاهرة ١٩٧٥م .

- لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية : محمد بن أحمد السفاريني طبعة المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

ـ لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات : أبو عبد الله محمد بن عمر الخطيب الرازي ، تعليق وتقديم طه عبد الرؤوف سعد ، طبع دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ ٠

حرف الميم

ـ متشابه القرآن : القاضي عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق عدنان محمد زرزور ، طبع دار النصر للطباعة بالقاهرة ٠

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ٠

ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وولده ، طبع ادارة المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ ٠

ـ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين: أبو عبد الله محمد بن عمر الخطيب الرازي ، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ ٠

ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين : تحقيق وتقديم الاستاذ سليمان دنيا دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ٠ عيسى البابي الحلبي ٠

ـ المحيط بالتكليف : القاضي عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق عمر السيد عزمي ، والدكتور أحمد فؤاد الاهواني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ٠

ـ مختار الصُّحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ٠

ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : ابن القيم الجوزية اختصره محمد بن الموصلي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ٠

ـ مختصر العلو للعلي الغفار : محمد ناصر الدين الالباني ، طبع المكتب الاسلامي بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ ٠

ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٢ هـ ٠

ـ المدخل لدراسة الفقه الاسلامي : الدكتور حسين حامد حسان ، شركة الطوبجي للطباعة والنشر القاهرة ١٤٠١ هـ ٠

ـ مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة : محمد الامين بن المختار الشنقيطي ، الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة ٠

ـ مذكرة التوحيد : عبد الرزاق عفيفي ، طبع المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ٠

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ٠

ـ مراتب الاجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات : أبو محمد علـــي بن أحمد بن حزم الظاهري ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ٠

ـ المستدرك على الصحيحين : أبو عبدالله محمد الحاكم النيسابوري ، طبعة دار المعرفة بيروت ٠

ـ المستصفى في علم الاصول : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ٠

ـ مسند الامام أحمد : الامام أحمد بن حنبل ، طبعة المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ ٠

ـ المسند للامام أحمد بن حنبل : شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف للطباعة بمصر ، الطبعة الثالثة ١٣٦٨ هـ ٠

ـ مشكل الحديث : أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ ٠

ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد : حافـــظ بن أحمد الحكمي ، المطبعة السلفية ومكتبتها ٠

ـ معالم أصول الدين : أبو عبد الله محمد بن عمر الخطيب الرازي ،تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٤ هـ ٠

ـ المعجزة الكبرى القرآن : محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ٠

ـ المعجزة وكرامات الاولياء : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية طبع دار الكتب العلمية بيروت ٠

ـ معجم البلدان : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، طبعة دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة بيروت ١٤٠٤ هـ ٠

ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق مططفى السقا ، طبعة عالم الكتب بيروت ٠

- معجم المؤلفين : عمر رضا كحاله ، الناشر مكتبة المثنى ودار احياء التراث العربي بيروت •

- معيار العلم في فن المنطق : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، طبع دار الاندلسي بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ •

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت •

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم : أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، طبع دار الكتب الحديثة القاهرة •

- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٣٩٨ هـ •

- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة •

- المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت •

- الملل والنحل : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٠ هـ •

- مناهج البحث عند مفكري الاسلام : الدكتور علي سامي النشار ، طبع دار النهضة للطباعة بيروت ١٤٠٤ هـ •

- المنتظم في تاريخ الملوك والامم : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، الطبعة الاولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن ١٣٥٨ هـ•

- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال : شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، اختصار أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق محب الدين الخطيب ، توزيع مكتبة ابن تيمية القاهرة

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مطبوع بالمطبعة الاميرية الكبرى ببولاق مصر الطبعة الاولى ١٣٢١ هـ •

- المنهج الاحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد : أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مراجعة عادل نويهض طبع عالم الكتب بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .
- منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات : محمد الامين الشنقيطي ، طبع مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر جدة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ .
- المنية والامل في شرح الملل والنحل : أحمد بن يحيى بن المرتضى ،تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور ، طبعة دار الفكر بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ .
- موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية بيروت
- المواقف في علم الكلام : القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجي ، طبع عالم الكتب بيروت .
- موطأ مالك : الامام مالك بن أنس رضي الله عنه ، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع دار احياء التراث العربي بيروت .
- موقف البشر تحت سلطان القدر : مصطفى صبري ، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ،الطبعة الاولى ١٣٥٢ هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق علي محمد البيجاوي ، طبع دار المعرفة بيروت .

حرف النون

- النبوات : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبعة دار الفكر بيروت .
- النجاة : أبو علي الحسين بن سينا ، طبع بمطبعة السعادة بمصر ،الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين يوسف بن تغري بردي ، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
- نزهة الالباء في طبقات الادباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الانباري ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، طبع مكتبة المنار الاردن ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ
- النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب : ادريس أحمد الحسيني الوزاني طبع المطبعة الاسلامية بالازهر الشريف القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٥٢ هـ .
- نظم الدرر في شرح الفقه الاكبر : القاضي عبيد الله مفتي بديرة غازي خان باكستان ، نشر المجلس العلمي كراتشي .

- النعت الاكمل لأصحاب الامام أحمد بن حنبل : محمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري ، طبع دار الفكر دمشق ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .

- نكت الانتصار لنقل القرآن : الامام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني اختصار أبو عبد الله الصيرفي ، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية .

- نهاية الاقدام في علم الكلام : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تصحيح الفرد جيوم ، مكتبة زهران القاهرة .

- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز في علوم البلاغة وبيان اعجاز القرآن الشريف : أبو عبد الله محمد بن عمر الخطيب الرازي ، طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

- نهاية السول شرح منهاج الوصول في علم الاصول للبيضاوي : جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة .

حرف الهاء

- هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي مطبوع مع كشف الظنون ، طبعة دار الفكر ١٤٠٢ هـ .

حرف الواو

- الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، الطبعة الثانية باعتناء س . ديدرينغ ، دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن ١٣٩٤ هـ .

- الوجيز في أصول التشريع الاسلامي : الدكتور محمد حسن هيتو ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس طبعة دار صادر بيروت .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

x x x x x x x x x x

العنوان		الصفحة

العنوان		الصفحة
	نقد السلف لمفهوم الوحدانية عند الباقلاني و المتكلمين عموما	١٤٩
	نقد السلف للادلة التي استدل بها الباقلاني على الوحدانية	١٥١
	نقد السلف لتقسيم الباقلاني وغيره من المتكلمين للوحدانية الى ثلاثة أقسام لا غير	١٥٤
	أنواع التوحيد عند السلف	١٥٦
المبحث الثالث:	تنزيه الله عز وجل عند الباقلاني	١٦١ ـ ١٦٩
	تنزيهه عز وجل عن مشابهة الحوادث	١٦١
	تنزيهه عز وجل عن الجسمية والعرضية والمكانية والزمانية	١٦٢
	موقف السلف من تنزيه الله تعالى عن الجسمية والعرضية	١٦٧

× × × × × × × × × × ×

الفصل الخامس:	رأي الباقلاني في الايمان والاسلام وأسماء الله عز وجل	١٧٠ ـ ٢٣٠
المبحث الاول:	رأي الباقلاني في حقيقة الايمان	١٧٠ ـ ١٩٢
تمهيد:	....	١٧٠
	رأي الباقلاني في حقيقة الايمان وأدلته على ذلك.	١٧٥
	رد شيخ الاسلام ابن تيمية على مذهب الباقلاني في حقيقة الايمان	١٨١
	مذهب السلف في حقيقة الايمان وأدلتهم على ذلك..	١٨٥
المبحث الثاني:	العلاقة بين الاسلام والايمان عند الباقلاني.......	١٩٣ ـ ٢٠١
	رأي الباقلاني في العلاقة بين الاسلام والايمان....	١٩٣
	الرد على مذهب الباقلاني في العلاقة بين الاسلام والايمان	١٩٥
	مذهب السلف في العلاقة بين الاسلام والايمان وأدلتهم	١٩٧

العنوان | الصفحة

× × × × × × × × × ×

العنوان | الصفحة

العنوان | الصفحة

العنوان	الصفحة

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx